

المجلس الأعلى للغة العربية

اللغة العربية

مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية

العدد الخامس

2001

اللّغة العربية

دورية تعنى بقضايا العربية وترقيتها

هيئة التحرير

— محمد لحسن زغيدي — زهير إحدادن

–صالح بلعيد – عثمان بدري

– الحواس مسعودي – الطاهر ميلة

العدد الخامس 2001

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

مجلة اللّغة العربية

دورية تعنى بقضايا العربية وترقيتها يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية

المجلة منبر حر، وليس كل ما ينشر فيها معبرا بالضرورة عن موقف المجلس.

التحرير والمراسلة

المجلس الأعلى للغة العربية

6 شاع العقيد أحمد بوقرة الأبيار-الجزائر

ص . ب . 575 ديدوش مراد.٠ الجزائر

الهاتف :0.2123 07 24/25

الناسوخ : 0.21 23 07 07

الرمز الدولي 213.0.21

المقالات التي ترد على المجلة لا ترد إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

محتويات العدد

كلمة أولى

عندما طلبت مني هيئة التحرير تقديم هذا العدد «الخاص» من دورية المجلس الأعلى للغة العربية، اعتبرت ذلك تكليفا وتشريفا كان من الأولى أن يحظى به سلفنا على رأس مجلسنا الموقر.

حالت ظروف شتى دون تحقيق ما رغبنا فيه، لذلك ارتأينا أن يكون التقديم مساهمة متواضعة بدراسة ألقي موجزها في مؤتمر اتحاد المجامع العربية الذي انعقد بدمشق في الربيع الماضي.

أملنا ومسعانا أن تبقى مجلتنا منبرا للبحث الجاد والإبداع والحوار بين الكتّاب والمختصين من جهة، والمعنيين بشؤون وشجون لغتنا العربية، في مختلف قطاعات الدولة وشرائح المجتمع من جهة أخرى، وللقراء الكرام بوجه عام.

سيكون لمجلتنا — إن شاء الله_ شقيقة تشد من أزرها هي عبارة عن نشرية تتحدث معكم عن نشاطات المجلس ومشاريعه وتحيطكم علما بما قطع من أشواط في تطبيق قانون تعميم استعمال اللّغة العربية، وما يعترض هذا الجهد الوطني النبيل من صعوبات موضوعية أو مصطنعة.

كما يسعد المجلة والنشريّة أن تتلقى مساهماتكم العلمية والفنية والأدبية، وكل ما تتفضلون به من ملاحظات واقتراحات تقرب المجلس الأعلى للغة العربية من الوفاء برسالته، والنهوض بما أنيط به من مهام في إطار دستور الجمهورية، وتحت الوصاية السامية للسيد رئيس الجمهورية، وهو كما لا يخفى، امتياز لا نظير له في الوطن العربي قاطبة.

إن اللّغة العربية، بعد عقيدتنا الإسلامية الغراء، وبها كانت وستبقى القطب الثاني لهويتنا الوطنية، عنوان انتماءنا الحضاري وخزان تراثنا العريق، لم تكن أبدا ضرّة أو غريمة لشقيقتها الأمازيغية، فالأمازيغ المسلمون هم الذين خدموها، وصنفوا متونها، ومنهجوا فقهها (علم الأصول)، وتذوقوا بلاغتها شعرا ونثرا، وهم اللذين اعتمدوها لغة وطنية ورسمية لكل الدول التي تعاقبت على الغرب الأوسط من الرستميين في تيهرت حتى الجماليين في بجاية (بقايث)، ومن جاء بعدهم وإلى يوم الناس هذا.

أمازيغ الجزائر وما جاورها مما كان يسمى إفريقيا هم الذين رفعوا راية الإسلام خفاقة وراء البحار وأعماق القارة السمراء ومع الإسلام العربية، بما حفلت به من علوم وفنون.

ينبغي أن نضيف إلى كل ذلك فضيلة التسامح، والتضامن واحترام الثقافات الأخرى، فلم تسجل أيّة واقعة في تاريخنا الموثق، تشير إلى اضطهاد قوم من الجزائريين أو غيرهم بسبب لون بشرتهم، أو اللسان المتداول ببنهم؛ إن القمع والإبادة العرقية الثقافية (Ethnocide)، هما ما سلطه العدو الكولونيالي الفرنسي من قهر واستئصال، _لحوالي قرن وثلث، على كل الجزائريين مهما كانت اللّغة التي ينطقون بها - بما فيها الفرنسية؟- ومن يطالع التراث الأسود لأند يجنوفيليا _(أدبيات الأيديولوجيا الكولونبالية)، سيجد من الأفعال والنوايا الشريرة ضد الجزائر عقيدة ولسانا، كيانا ومجتمعا ، ما يزيد على ما حدث في عهد القتل بالشبهة (Inquisition) والأبارتايد.

إن اللّغة العربية هي لغتنا لموحدة والرابطة التي تجمعنا حضاريا بأمتنا العربية والإسلامية، لا تعادي أية لغة أخرى، وباستثناء لغتنا وتراثنا الأمازيغي، فإن اللغات الأخرى، هي مجرد روافد لتحصيا العلوم والمعارف والتقانة (التكنولوجيا)، هي أدوات للتواصل مع عالم نطمح الأن بكون لنا فيه موقع فاعل، ومكانة تستحق المهابة والاحترام.

والله المستعان.

د.أ محمد العربي ولد خليفة.

علمية وعالمية اللّغة العربية

الإرادة السياسية والانطلاقة الحضارية•

الأستاذ الدكتور: محمد العربي ولد خليفة

رئيس المجلس الأعلى للغَة العربيَة

• بحث ألقي ملخصه في مؤتكر اتحاد المجامع العربية – دمشق- مارس 1999

I. من الجهد إلى الاجتهاد:

نعرض في الجزء الأول من هذه المقاربة، ملاحظات أولية حول جوانب من إشكالية المصطلح والمفهوم في علوم الإنسان، والمجتمع، على ضوء الجهود. التي بذلت في المجامع والجامعات ومراكز البحث، في منطقتنا العربية لملاحقة الانفجار الهائل في ميادين المعرفة الإنسانية، وما صاحبها من الإبداع في الفنون والآداب، تقوم المعلوماتية ووسائل الاتصال بنشره عبر العالم في لمح البصر، كما بدأ الحاسوب، في خوض غمار الإبداع وبرمجة القصص والروايات والموسيقى والترجمة الآلية إلى عشرات اللغات، وحسب الطلب.

ثم نناقش في جزئها الثاني، بعض إشكاليات الواقع المعرفي في السياق الحالي للتطور العلمي، والاجتماعي منه بوجه خاص، بدون أن ننسى أن ما هو راهن ومعاش اليوم، ليس بداية من صفر، بل هو نتيجة لتراكم المعرفة والخبرة والتجربة عبر مئات السنين، ونؤكد منذ البداية أن تراثنا الموروث هو مرجعيتنا الحضارية بما فيها من عقيدة

ولغة وعلوم وفنون لآداب ومسلكية، تضعنا أحببنا أم, كرهنا في مجال جغرافي سياسي– حضاري– واحد، أو متقارب عند الآخرين في عا لم الأمس واليوم ، فإذا كانت العقيدة هي ركن الهوية وأساس التضامن والانسجام في المجتمع، فإن التجربة التاريخية للمجتمع الجزائري لا تجعل اللّغة العربية من مقومات السيادة فحسب، بل تشخص فيها السيادة نفسها.

إن تلك المرجعية الحضارية الزاخرة بالمنجزات الثقافية والفتوحات العلمية، هي التي تحثنا على عدم الاكتفاء بالتنويه بمآثر الأسلاف، وتدفعنا إلى السعي الحثيث لمواصلة ما قام به الأجداد من جهد واجتهاد، لتضييق الفجوة التي تفصلنا عن موكب المقدمة.

اقترن الجهد بالاجتهاد، في وقت مبكر من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فمن جابر بن حيان (توفي 200ه. -815م) حتى ابن رشد (توفي 595ه–1198م) وابن خلدون (808ه–1406م) نجد عشرات المصنفات والرسائل فيما سموه الرسوم والحدود التي تعنى بالتعريف والمفهوم والمصطلح وحقله الدلالي أو مجال انتشاره (الأعسم 1991)، وحظيت الفلسفة وعلوم ذلك العصر مثل فقه اللّغة وقواعدها والمنطق والتاريخ والفقه وأصوله، فضلا عن الرياضيات والعلوم التطبيقية

على قصب السبق، و لم يكتف الرواد الأوائل بنقل علوم الأولين وحفظها من الضياع، بل أضافوا إليها الكثير وطوروها،

حتى تبؤأت اللّغة العربية مقام اللّغة العالمية، كما هو الحال اليوم بالنسبة للغة الإنكليزية، فقد كانت جسر النجاة الذي عبرت عليه أوروبا القرون الوسطى، نحو عصر النهضة والأنوار، إن بعض ما نقلوه إلى العربية تجاوز في دقته وجماليته الأصل، كما هو الشأن في رائعة كليلة ودمنة التي لا ينكر أحد مؤلفها الأول.

وقد أشار أبو حيان التوحيدي (التوحيدي نشر القاهرة **1929**) إلى أهمية إتقان لغة العلم المشتركة بين الأدباء والمختصين في فروع المعرفة الأخرى بقوله: " أحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات الأديب اللطيف الذي تحقق أن علم اللّغة آلة لدرس الفضيلة لا ينتفع به لذاته، ما لم يجعل سببا إلى تحصيل هذه العلوم الجليلة، ولا يستغني عن علمها طبقات الكتاب لصدق حاجتهم إلى مطالعة فنون العلوم والآداب".

* إذا أخذنا الفلسفة ام العلوم كمثال على جهد العلماء العرب واجتهادهم فإننا نجد أن التراث الهليني كان بالنسبة لهم نقطة انطلاقة والتفكير وتطويع اللّغة وإثرائها

بالمصطلحات والمفاهيم حتى أقرت الباحثة أ.م.غواشون **A.M.GOICHON** المختصة في معجمية ابن سينا (الأعسم، ن م م) بالحقيقة التالية :

* " سمح غنى النصوص الفعلية للغة العربية بقيام تحديدات كثيرة للمعجمية اليونانية ...، لقد كوّنت هذه الفكرة بعد أن درست معجمية أرسطو (٠٠)، إنه لمن المدهش حقا أن نجد، عندما ننظم سلسلة الكلمات الفنية لأرسطو وابن سينا، أن ثلث التحديدات السنوية غير موجودة عند أرسطو"

كما توصّل علماء الحديث وأصول الفقه، إلى وضع منظومة مفاهيمية ومصطلحية، على درجة عالية من التناسق والوضوح، ولذلك يعتبر الفقه وأصوله من العلوم العربية الإسلامية البحتة من ناحية المنهج والمضمون، وهو ما يمكن قوله أيضا على علم العمران الذي شرع ابن خلدون في وضع نظرياته ومفاهيمه ومصطلحاته، ومنها المعاش الذي تدرس المجتمع وظواهره الاقتصادية، في حالتها المتفاعلة وفي امتدادها التاريخي الثقافي وهو ما يطلق عليه المعاصرون اسم علم الأناسة في مقابل مصطلح "أنثروبولوجيا" الأنغلوسكسوني.

(د.عبد المجيد مزيان **1988**، محمد الشامي وحسن الجوهري: ترجمة لقاموس مصطلحات الإثنولوجيا والإثنوغرافيا، لريكه هولتراكس **1973**).

إن إشكالية المصطلح، وخاصة في علوم الدقة (**SCIENCES EXACTES**) أو العلوم التطبيقية وعلوم الانسان والمجتمع، لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللّغة العربية، وقدرتها على تسمية الأشياء، وضبط المفاهيم، وتوليد المفردات النمطية، واللّغة الوسيطية، أو المقوعدة في تعبير الأستاذ عبد الله العروي، الخاصة بكل علم، فذلك أمر لا يمارس فيه المستلبون ضحايا الاستعجام.(عبد الله العروي **1983**).

إن المعضلة تتعلق بتراجع النشاط العلمي، ثم توقفه لعدة قرون، حتى أن علماء مؤسسين، ومن أعلى طراز، مثل ابن الهيثم وابن رشد وابن خلدون...، عاشوا خارج عصورهم، بل تجاهلوا اللاحقون، ولم يستعيدوا مكانتهم في هرم المعرفة الإنسانية، حتى عني بهم المستشرقون، ودرسوا نظرياتهم، وشرحوا مفاهيمهم ومصطلحاتهم، وقد

ساهمت تلك الدراسات والترجمات، في إعادة تأسيس علوم الإنسان الحديثة على يد فرانسيس بيكون وأوغست كونت.

نحن على يقين بأن القضية الأولى التي تشغل بال الكثير من ساستنا ومفكرينا، هي اجتياز الهوة التي تفصلنا عن ركب المقدمة، واكتشاف السبيل الأنجع والأقصر لإنتاج العلم والمعرفة، وهما القيمة المضافة الأهم، والطريق الصحيح لاكتساب الهيبة والمناعة.

لا شك أن جهودا كبيرة قد بذلت في هذا الاتجاه، منذ بداية القرن العشرين على الأقل، كما عقدت مجامعنا العريقة، وجامعاتنا ومعاهدنا المتخصصة عشرات الندوات والملتقيات، وأسفر ذلك الجهد عن ثمار طيبة في ميدان المصطلح العلمي، وساهمت مخابر اللّغة، مثل مخبر اللسانيات والصوتيات في الجزائر، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، في تقنين اللّغة العربية، وإثراء رصيدها العلمي، غير أن الهدف الحقيقي يبقى توطين العلم بكل فروعه، والتحكم في التقانة والخبرة في النقطة التي وصلت إليها اليوم.

2- من المفهوم إلى المصطلح :

قد يكون من المفيد في أية مداولة حول قضايا المفهوم والمصطلح في علوم الإنسان أن نستحضر الجوانب التالية:

— تتصف تلك العلوم بالخصوصية، بسبب ارتباط أطرها النظرية وإنساقها المفهومية بالبيئة التي نمت فيها، والحقبة التاريخية التي حددت موضوعاتها ومناهجها، ونوعية اللّغة الغنية المستعملة فيها، فلو تفحصنا النظريات الكبرى التي هيمنت على الإنتاج المعرفي في القرن الماضي، مثل الوظائفية والتفسيرية والإنسانية والبنيوية، لواجدنا أن لكل منها منظومة مفاهيمية، وما يقابلها من المصطلحات، فإذا كانت الأصول (**Paradigmes**) المنهجية لإنتاج المعرفة واحدة، فإن التغيرات التي عرفتها العلوم الإنسانية، خلال مراحل تطورها، لا تشير فقط إلى حدوث قفزات علمية في أدوات المعرفة، بل أنها تعكس أيضا تغيرات نوعية في البيئة التي يحدث فيها البحث العلمي (كون **KHUN 1970**) .

2- إن الثروة المصطلحية في كل لغة، هي مرحلة تالية لازدهار البحث العلمي، وليست سابقة له، ولا شك أن معظم الإنتاج العلمي في علوم الدقّة والتقانة وعلوم الإنسان، يحدث خارج منطقتنا حيث

يتسابق التنظير (**Theorisation**) مع التطبيق.

يكفي لإدراك حجم التراكم المعرفي في فرع واحد من علوم الإنسان؛ القيام بجرد أولي لسنة واحدة ممّا تنشره الدوريات والحوليات الأكاديمية والجامعية، من ملخصات تعج بالمفاهيم والمصطلحات الجديدة، وما يعرف بالكلمات الفنية(**mots clés Key-Words,**) الخاصة بكل مبحث داخل التخصص الواحد. ساعد ذلك الإنتاج العلمي الغزير على إبراز حقيقتين :

أولهما : أن علوم الإنسان والمجتمع، لم ترد مجرد ضيف يستأجر غرفة صغيرة في "حوش" العائلة المعرفية الكبيرة، فقد انتهى منذ زمن بعيد تصنيف العلوم إلى نفيسة وخميسة، فهي تتبادل المناهج والمفاهيم والمصطلحات، وأصبح أي ابتكار في ميدان من عالم الوجود (الأنطولوجيا)، أو عالم المعرفة (الإبستمولوجيا)، يتطلب تظافر جهود عدد من المختصين في علوم مختلفة، وكثيرا ما تحدث الاكتشافات الهامة، في نقاط

التقاطع بين عدة علوم طبيعية وإنسانية، كما هو الحال في اللسانيات، والعلوم السلوكية، والاقتصاد، والكيمياء الحيوية إلخ......

(R.P Monge : quartly vol .25,N , 1977)

ثانيهما: إن التقدم العلمي عملية كلية ومترابطة، قد يأخذ فرع من المعرفة موقع القاطرة في فترة معينة، وقد يكون محركها النفاث، كما نلاحظ اليوم في المعلوماتية والهندسة الوراثية والاقتصاد، ولكن المعرفة نابعة من أقيانوس واحد، يستفيد كل فرع منها، مما حققه جيرانه من ثروة، في المفاهيم والمناهج والمصطلحات.

3- تشترك العلوم في أصول معرفية واحدة، إلا أن علوم الإنسان والمجتمع لا ترقى من ناحية ثبات ظواهرها ويقينية نتائجها، إلى مرتبة علوم الدقة والعلوم الطبيعية، ولذلك فإن الاهتمام بالتعريفات الإجرائية للمفاهيم، وما يقابلها من مصطلحات، مسألة على درجة كبيرة من الأهمية، فإذا كانت الألفاظ « حصون المعاني » فيما يتداوله الناس من خطابات عادية، فإن اختيار تلك الألفاظ وتحديد حقلها الدلالي، هو

حجر الأساس في بناء العلم الاجتماعي، ولا تقتصر فائدته على العلماء وحدهم، بل يفيد المتعلمين، ويغذي الثقافة العامة للجمهور.

غير أن تقنين المصطلحات، والاجتهاد في وضع كلمات عربية، أو معربة بدل المفردات الأجنبية، المهيمنة على لغة العلم بوجه عام، (ولا يستثني من ذلك الآداب وعلوم الإنسان) يبقى مطلبا عسير المنال، بسبب عدد من الصعوبات العملية نذكر منها :

1- يتكون المفهوم عبر ثلاث عمليات ذهنية معقدة، هي التعميم والتخصيص والتجريد، ويبقى في حالة. فكرة حتى يجد طريقه إلى شكل من أشكال التعبير اللغوي أو الرمزي، وبما أنه حاصل خبرة معرفية مكثفة، فإن مفردات اللّغة قد لا تستوعب أحيانا ما هو جوهري من المعاني والأفكار، فهي لا تحيط به كما يقال إحاطة السوار بالمعصم، إن الألفاظ قد تدل على معنيين أو أكثر، واحد منها هو الذي يريد الباحث إيصاله إلى المتلقي، ولكنه لا يستطيع أن يحيد ذاكرته الخبروية ويمنه المعاني الأخرى من التوارد في خاطرة، ولذلك فإن أهم ما يرسخ المصطلح بعد توليده، واختراعه هي إشاعة استعماله وتقبله من طرف المختصين في نفس المجال.

(د. حنفي بن عيسى **1987**، د. حامد عمار **1958**)

وقد أشار أبو سعيد الصيرافي (ت **386** ه) إلى هذه المسألة الهامة بعبارات تقترب من علم اللسانيات والمعجمية المعاصرة فهو يقول:

" بدا لنا مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبسطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أيّة لغة مان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سورا، ولا يدع شيئا من داخله، وشيئا من خارجه أن يدخل" (التوحيدي **1939**).

وفي انتظار حوسبة اللّغة العربية، وإحصاء الحقول الدلالية للمفاهيم والمصطلحات، فإن الإشكالية التي أثارها أبوسعيد الصرافي، مند أكثر من ألف عام قائمة إلى اليوم.

2- يستمد الفكر العربي رصيده من المصطلحات العلمية في مجالات المعرفة بوجه عام، والاجتماعية بوجه خاص، من طريقين، أولهما داخلي ويتمثل أساسا في

التوليد الدلالي بواسطة الاشتقاق والقياس ولكن الصعوبة لا تكمن في إيجاد المقابلات المصطلحية للمفاهيم المستجدة، بل في نقص، البحث الأساسي والاعتقاد الساذج بأن التطبيق هو الأهم ولا حاجة إلى التنظير الذي تولاه كبار اسماء الغربيون ومدارسهم بالنيابة عنا، ولذلك فإنه على الرغم من محاولات التأصيل أو إعادة التأسيس لأنساق ونظريات العلوم الاجتماعية، فإن قسمها الحديث بقي غريب المنشأ ومرتبطا بقضايا واشكاليات تخص مجتمعات مغايرة.

إن توطين تلك العلوم يتطلب البداية بصياغة فكر معرفي جديد، يقوم على تقييم ونقد الأطر المفهومية ومناهج البحث، وتكييف ادواتها لبيئتها الخاصة، وحاجاتنا الراهنة، ومشاريعنا المستقبلية، ومن الضروري أن تتزامن هذه العملية التأصيلية مع جهد يقع في صميمها، وهو اختراع المصطلحات، ووضع المعاجم التقنية المتخصصة، وتطوير الدراسات المعمقة في حقول فقه اللّغة واللسانيات.

يتمثل الطريق الثاني في التعريب، والمقصود به هنا هو نقل العلوم إلى العربية، في مقابل التعجيم، أي النقل من العربية إلى لغات أخرى؛ ولهذا التوضيح أهميته في مغربنا العربي والجزائر بوجه خاص، فكثيرا ما تتجاوز هذه المسألة موضوعها العلمي والعملي

وتنغمس في جدل ايديولوجي أضاف مصطلحات جديدة لقاموس الإعلاميين والتراجمة مثل الاستقرار(من قاوري أورومي والفرنسي بوجه خاص)، والاستعجام، والتأصل والتنصل والتثاقف والانسلاخ ...إلخ ٠ (د. حذغي بن عيسى **1987**).

III –اللّغة أداة لإنتاج المعرفة وموضوع لها:

بعيدا عن هذه المساجلات الايديولوجية، والعاطفية التي يرى فيها البعض، أن اللّغة مؤسسة منفصلة عن المجتمع، ينبغي أن تكون متقدمة في مجتمع متخلف، وينسى فيها البعض الآخر بأن – زيادة الألسنة تزيد من إنسانية الإنسان. (يوسف الحاج (؟))، أقول بعيدا عن تلك المساجلات، فإنه من الأجدى التعامل مع اللّغة باعتبارها أداة لإنتاج المعرفة وموضوعا لها في نفس الوقت، وتتضح هذه القضية على ضوء الملاحظات التالية :

–لا توجد لغة علمية كاملة ونهائية، في أي فرع من فروع المعرفة، فهي تتزود بالمفردات، وتعابير اللّغة الوسيطة من وتيرة الإنتاج العلمي، والترجمة، والأخيرة مصدر

لا يستهان به، فهي منذ أمد بعيد مورد نشيط للمفاهيم والمصطلحات في البلدان المتقدمة، حيث يترجم الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي، بعد فترة وجيزة من نشره في لغته الأصلية، كما هو الحال في غرب أروبا، والولايات المتحدة واليابان، ولعل ثراء اللّغة الإنكليزية، في التعابير والمصطلحات، يرجع جانب منه إلى قيام الباحثين (غير الناطقين بالإنكليزية) بوضع خلاصات لأبحاثهم باللّغة الإنكليزية، ونشرها في الدوريات المتخصصة، للتعريف بإنتاجهم واكتساب المكانة والشهرة .

2-تتوقف دقة المصطلح العربي الموضوع أو المترجم، على ضبط حلقه الدلالى، واقتصار اللفظ على المفهوم، أي تحاشي استخدام نفس الكلمة للتعبير عن مصطلحات أخرى في نفس المجال المعرفي، أو في مجالات أخرى، مما سب للدارس و الباحث الغموض و الارتباك،

ولا شك أن الطريقة المثلى هي اختراع مصطلح واحد مقابل مفهوم واحد.

وتساعد الحوسبة على جرد الحقول الدلالية والمفاهيم المتداولة؛ ووضع مصفوفات للمفردات، وتصنيفها من حيث المعنى والمبني في اللّغة العربية واللغات الأخرى التي ينقل منها المصطلح، فضلا عن إمكانية برمجة الأوزان، والجذور،

والاشتقاقات الصرفية، واختيار أنسبها للمفهوم، وتحقق هذه الآلية اقتصادا كبيرا في الوقت والجهد، وتسمح بالإسراع في تكوين رصيد مصطلحي يمكن أن يتحول بالتدريج إلى مسارد معلوماتية، وبنك للمعطيات، يسهل وضع المعاجم اللغوية العامة، والتقنية المختصة.

3- نظرا للعلاقة الوثيقة بين علوم الإنسان وفنون الإبداع الفني والأدبي فإنه من المفيد الاتفاق على مصطلحاتها المشتركة، سواء كانت موضوعة أصلا بالعربية أو معربة، وقد أقر هذا المطلب مجمع اللّغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين.

ولا شك أن العملة المصطلحية المشتركة، تساعد على توحيد اللّغة العلمية العربية عند الباحثين والدارسين والتراجمة الذين ينقلون من لغات أخرى، إلى العربية ما يصدر من أبحاث. ودراسات في العلوم الإنسانية، والآداب والفنون.

والملاحظ اليوم أن المعاجم المختصة، القليلة نسبيا التي صدرت في فروع المعرفة الإنسانية والأدبية والغنية ونظيراتها المترجمة، تقترح وتستعمل مصطلحات متباينة، مما يجعل حقول المعرفة العلمية والأدبية أشبه بسوق تستعمل أنواعا كثيرة من العملة، لها قيمة لا يعرفها إلا صاحبها.

4-على الرغم من تزايد الترميز والتكييم (**quantification**) في مختلف فروع المعرفة، واختزال المصطلحات المركبة في حروفها الأولى لتسهيل الانتشار والاستعمال، فإن اللّغة تبقى الناقل الأول للمعرفة، وخاصة في الآداب وعلوم الإنسان التي تطلب أكثر من غيرها تحكما في آليات اللّغة بوجه عام، واللّغة الوسيطة بوجه خاص، وهذه الأخيرة عبارة عن مجموعة متناسقة من مفاهيم والمصطلحات، تكون اللّغة الخاصة بفرع معين من المعرفة، ولكي تصبح الكلمة أو العبارة مصطلحا، ينبغي أن تتوفر فيها شروط من أهمها:

أ – أن تكون موضوعة في مقابل معنى أو مفهوم خاص، ليس هو المعنى اللغوي المتداول في الاستعمال العادي، وإلا أصبحت مفردة لغوية، لا علاقة لها بالمفهوم المراد تسميته .

ب– أن يشيع استعمالها بين أهل الاختصاص، وإلا فقدت دلالتها و فائدتها الاصطلاحية، ولذلك فإنّ صنع كلمة، أو اقتراح مقابل المصطلح الأجنبي، يبقى مجرد

مشروع مصطلح، حتى تصادق عليه الهيئات المختصة في مجامع اللّغة والأكاديميات ، ويتداوله أصحاب الاختصاص.

ج— إن اقتراح مصطلح، يعني إضافة فكرة أو مفهوم جديد، واللّغة وسيلة لذلك، وليست هدفا في حد ذاته، ولذلك ينبغي أن تتم صياغة المصطلح بعد دراسة وافية للمسارد المصطلحية الخاصة بعلم معين، وتشاور مع أهل الاختصاص، ليكون المصطلح الوليد منسجما مع النسق المفهومي للعلم، ومعبرا بدقه عن منطقة الداخلي.

لقد بذل علماؤنا جهودا كبيرة في الجامعات ومجامع اللّغة العربية ومؤسسات البحث، كما ساهمت الجامعة العربية عن طريق منظمتها للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها النشيط لتنسيق التعريب في الرباط، والمعاهد المختصة في المصطلحات والتقييس، ساهمت كلها في إثراء لغتنا الجميلة بالكلمات الفنية، وحل بعض المعضلات التي تواجه الباحثين والدراسين، في العلوم الدقيقة والتجريبية و الآداب و علوم الإنسان،

حققت تلك الجهود إذا نظرنا إليها مجتمعة، وخلال ما يزيد على نصف قرن إنتاجا معجميا لا بأس به، إذا قيمناه على ضوء الظروف الصعبة التي تجتازها أمتنا، في

كل أقطارها، وإصرار الدول المتقدمة في الغرب والشرق السابق، على احتكار العلم والخبرة والتقانة، واعتبار ذلك جزءا من أسرارها الأمنية، وضمانة لتفوقها الدائم.

أسفرت تلك الجهود على وضع ما يزيد على **150** عملا معجميا، في شتى فروع المعرفة، حظي الطب والأحياء والقانون وعلوم الطبيعية والكيمياء فيها، بالنصيب الأوفر، ولا توجد سوى مدونات قليلة للمصطلح في الآداب وعلوم الإنسان، موجهة في أغلب الأحيان، لمراحل التعليم الثانوي العام والفني، والقليل منها مخصص للطلبة الجامعيين.

اللّغة من رموز السيادة الوطنية وتجسيد للإرادة السياسية: لا شك أيها السادة العلماء أن كل واحد منا يطل على حديقة لغتنا الغناء، من نافذة اختصاصه، وأن الحديقة الزاخرة بما لذ وطاب، تتسع للجميع، وهي ضمأى، تنتظر فيضا من الإبداع والابتكار، يمسح عنها آثار القرون العجاف، ويعيد للعربية ما وصلت إليه من علمية وعالية، لا ينكر المنصفون في الغرب أنها ساعدت أوربا النهضة على دخول عصر الأنوار.

إن الثروة المصطلحية في مجال العلوم والفنون والتقانة هي أشبه باحتياطي الخزينة العمومية من العملة الصعبة، فهي فضلا عن كونها من مقومات سيادة الأمة وهيبتها ومصداقيتها، تكشف أيضا عن عبقرية علمائها ومدى إسهامهم في تقدم الإنسانية، وتؤهلهم لتقديم القروض المصطلحية إلى غيرهم ، والاقتراض منهم بلا عقد ولا تعقيد، أي بدون انبهار يؤدي إلى تحقير الذات **autodevalorisation**، أو انكفاء يدفع إلى العزلة القاتلة.

استعرنا هذا التشبيه من عالم المال والأعمال، البعيد عنا، للتأكيد أولا على أهمية الرهان الذي ينبغي أن تخوضه أمتنا بدون تردد ولا تأجيل، وللتذكير ثانيا بأن مدح لغتنا والتغني بتراثها –العريق.

لا يكفي ولا يعفي أهل الذكر والفكر، وكل الساسة في بلداننا، من وضع مخططات واقعية وطموحة، للنهضة بالعلوم والفنون والآداب، إن لغتنا العربية هي في البداية وإلى الأبد، خزان تراثنا المشترك والرابطة التي تجمع شعوبنا، وتنتسب إليها دولنا مشرقا ومغربا، وبجملة واحدة: العربية هي نحن، ضعفا ومهانة، وقوة ومهابة، هي مرآة ما نحققه من تقدم وازدهار، أو ما نكون عليه من تدهور وانكسار.

يمكن أن ترتكز تلك المخططات على منظور مشترك بعيد المدى، فإذا كانت السياسة تعني المهارة والحنكة، وامتزاج التجربة بالخبرة، فإن العلماء أيضا في مجالاتهم ساسة، ينبغي أن، تتظافر جهودهم في مثل هذه المؤسسات الموقرة التي تلتقي اليوم تحت لواء اتحاد المجامع العربية، وفي الجامعات ومراكز البحث التي هي بمثابة بحار بأسماء مختلفة، ولكنها تصب في محيط واحد هو اللّغة وفقها وعلومها، وعلى الخصوص العلوم التي تستخدم العربية في البحوث الأساسية (**Recherche fondamentale**) والتطبيقية.

من الواضح أن إشكالية وضع المصطلح لا تقتصر على اللّغة العربية بل هي فيها أقل مما في غيرها من شجرتها السامية الحامية وحتى في المائتي لغة علمية (**200**) المتعارفة في العالم (سالم العلي **1994**) بسبب قدرتها الفائقة على الاشتقاق، على العكس من اللغات الهند وأوربية التي تلجأ إلى التركيب.

وقد بدأ ابن جني (توفي سنة **392** ه **1002** م) في كتابه الخصائص تقعيد هذا المبحث الهام قبل حوالي ألف عام وعرف باسم " اشتقاق الأكبر" (ابن جني **1325**. ط مصر).

إن إشكالية المصطلح العلمي لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللّغة العربية، وقدرتها على تسمية الأشياء، وضبط المفاهيم فيما يعرف بالمفردات النمطية الموحدة (Lexical typology)، إن الأمر يتعلق بواقعنا المعرفي الراهن، فمن المعروف أن حصيلة الإنتاج العلمي، في وطننا العربي بما فيه براءات الاختراع التقني، ضئيلة جدا حتى مقارنة ببلدان خرجت لتوها من عهود التخلف والاستعمار، وتحررت حوالي قبل نصف قرن، أو أقل من الهيمنة الكولونيالية، مثل الهند والصين وكوريا وفيتنام، وكوبا المحاصرة منذ أربعة عقود من طرف العام سام، جارها المستبد .

إذا اعتمدنا مدخل مكاشفة الذات، فإننا سنرى أن لنا موقعا صغيرا جدا، حتى مقارنة بعدد من بلدان العالم النامي الذي ننتمي إليه، ولا يعني ذلك – كما سنبين فيما بعد— الاستهانة بمؤهلات أمتنا، وقدرتها التي تمر بمرحلة كمون، أو تبرير الركون إلى جلد الذات ورثائها، وقبول الصغار والمسكنة.

يمنعنا الخجل من عقد أية مقارنة أو ترجمتها إلى جداول بالنسبة المئوية، وأقول فقط بأنه ليس لنا أن نشتكي من اللّغة وقواعدها، قبل أن نعترف أيضا بأن من حق اللّغة أن تشتكي منا وتحتج على ما لحقها من تهميش وفقر وجمود، كانا السبب فيما

تعانيه من قصور في ميادين كثيرة من المعرفة، وتضاءل مترلتها في عقر دارها بدون رقيب أو نصير.

ليس الهدف من المقولة السابقة، البحث عن متهّم، أو تبادل اللعان إن الهدف الأول والأخير، هو دعوة نخبنا المفكرة والقيادية، لاستعادة الثقة بالنفس، بلا غرور ولا تغرير، والتكاتف لكسر طوق الانكسار والهزيمة المعنوية، ومن علاماتها التي لا تخطئ فتور الهمة، وإضعاف رصيد الأمة، والرضى بموقع صغير في ذيل قافلة العصر، وحسب إنذارات العولمة ومستجدات القرن **21**، فإنه لن يكون للعجزة والمعوقين من أهل الذيل، أي موقع ولا مستقبل على الإطلاق.

استعاده الثقة بالنفس تعني، الانتقال من واقعية الحضيض الانهزامية إلى الواقعية الطموحة التي تقرن الحزم بالعزم، وتجسد القائمة الطويلة من التنميات المتداولة شعرا وخطبا، وتمنع نخبنا من الاسترخاء والاتكال على الاستهلاك الذهني، وتضييع الوقت في رثاءات والغفلة عمّا نحن فيه من ضعف وتبعية.

وقد وصف ابن حزم الأندلسي (توفي سنة **456** م) هذه الوضعية بدقة، ولعله كان يصف حالة القوط (الاسبان والفرنجة بوجه عام) في القرن الحادي عشر مـي لاد ي، يقول في كتابه الهام " الإحكام في أصول الأحكام":

" إن اللّغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم. أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم"، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذّل، وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم، هذا موجود بالشهادة، ومعلوم بالعقل ضرورة".

وقد عبر عن هذه الحقيقة شاعر حكيم بقوله:

تعوي الذئاب على من لا كلاب له: وتتقى صولة المستأسد الضاري لا أدري هل تجد السطور السابقة مكانا في انشغالات السادة العلماء والخبراء؟ ولكني على يقين لا يشوبه ظن ولا تخمين، بأن معالجة مسألة المصطلح، سواء أكانت بالتعريب أو الترجمة أو الاشتقاق، لا بد أن تبدأ بتشخيص صارم ودقيق، لما قطعته هذه العملية الشاقة

والنبيلة من أشواط في الماضي القريب والبعيد، وذلك عن طريق التقييم المرحلي؛ والمقارنة بما أنجز في عيون التراث العلمي العربي والإسلامي، وما يجري حولنا في عالم تتلاحق فيه الاكتشافات وتتسابق التطبيقات بسرعة مذهلة، عولمت كل ما يصدر عن بلدان المركز، وأوصلتها إلى كل أرجاء المعمورة التي أصبحت كما يقال قرية كونية صغيرة يصح فيها المثل الشعبي الجزائري " اعمل مثل جارك وإلا حول باب دارك".

إن المصطلحات العلمية ليست مجرد كلمات، أو تراكيب تخزن في القواميس المختصة، أو ملاحق البحوث، وتصنف منها الموسوعات، بل هي كما أشرت فيما سبق، العملة الصعبة في بنوك العلوم والمعطيات لكل علم فيها " حساب جاري " ينبغي تغذيته باستمرار هن المخابر ومراكز البحث.

5 — علمية اللّغة العربية وعالميتها

بعد هذه التوضيحات السريعة، نحمل الان وجهة نظرنا المتواضعة في صورة ملاحظات واقتراحات وذلك على النحو التالي :

1- إذا كان الواقع المعرفي في منطقتنا العربية والإسلامية، يعاني حاليا من فجوة التخلف، ولا يحتل مكانه الطبيعي في موكب المقدمة، فإن ذلك ليس مصيره النهائي، ولا قدره المحتوم، فالمعرفة الإنسانية في أية نقطة وصلت إليها، هي متصل (**Continuum**) يتوالى فيه صعود الأمم وهبوطها، فهي أشبه بأمواج البحر، لا تتحرك موجة إلا بدفع من التي سبقتها.

إن كل نقطة في المتصل المعرفي، هي نتيجة لتراكم الخبرات والمعارف بالإنسان والطبيعة والعلاقات بينهما، وبالتالي فإن العلوم والفنون والآدب، ليست حكرا على زمان أو مكان واحد، ولا يتفرد بها أي عرق من الأعراق، وعلى هذا ينبغي تقييم منجزات الحضارات القديمة التي كان معظمها في الشرق، ولا يعني ذلك بالطبع أمتيازا عرقيا أو جغرافيا، فمن الناحية الديموغرافية كانت أغلبية من البشرية متواجدة هناك.

2- من الإنصاف أن نذكر بأن جزءا من معاناتنا الراهنة يرجع إلى ما تعرضت له ذخائر الحضارة العربية والإسلامية من نهب وتدمير، على يد جحافل متوحشة من الصليبين الذين شوهوا المسيحية السمحاء، والتتار والمغول المعادين للحضارة والعمران، وقد أجهزت الكولونيالية الإجرامية في القرنين الماضيين، على ما أفلت من نفائس

المخطوطات، فنحن من الأمم القليلة التي تطلع وتدرس تراثها الثقافي، والعلمي منه، بوجه خاص، في خزائن الأسكوريال وليدن ومدريد وباريس ولندن...، وحتى في الولايات المتحدة التي ظهرت للوجود منذ ما لا يزيد على قرنين من الزمان.

3 –ساعد النهب والقرصنة عددا من علماء الغرب، وبعض أساطين الاستشراق على الترويج لنظرية «الفراغ» العلمي في المنطقة، وعدم قابلية العقلية (**Mentalité**) " الشرقية " للعقلانية، وعجزها عن صياغة العلاقات بين الجزئيات في قوانين كلية، ومن الواضح أن هذا الفراغ المزعوم ليس مؤسسا من الناحية العلمية، ولا يتطلب دحضه سوى التنبيه إلى أنه لا علم بلا أخلاقية (**Epistéméthyque**).

4—لقد ظُلم العرب والمسلمون مرتين: ظلم عن طريق النهب والتدمير، وظلم بإنكار أو تجاهل مساهمتهم في التراث الإنساني، حتى توهم البعض، أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، تدريس العلوم الأداتية، مثل الرياضيات والحاسوب باللّغة العربية، فضلا عن العلوم التجريبية، مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء وفروعهما، قد أدى ذلك إلى ندرة استعمالها في البحوث المتخصصة، داخل الجامعات ومراكز البحث في العلوم والتقنيات، في كثير من أقطار الوطن العربي.

– إن وضع المصطلحات عن طريق التعريب، أو النقل أو الترجمة في العلوم الدقيقة والتجريبية، أسهل من وضعها والاتفاق عليها في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تستخدم الرياضيات، والمناهج التجريبية والمخابر، ولكنها تتطلب في كل اللغات، امتلاكا وتحكما أكبر في الرصيد اللغوي، واطلاعا أعمق على علوم الدلالة والسياق، فضلا عن الإلمام بقواعد اللّغة والبيان.

–إن سهولة وضع المصطلح العلمي وتعميمه، وعدم حاجة العلماء إلى تحميل لغوي وفير، لا يعني إعفاء الطلاب المتخصصين والباحثين، من إتقان اللّغة، فقد شا ع عندنا مشرقا ومغربا، أن إتقان اللّغة واحترام بنيتها وجماليتها هو من الحذلقة، أو البلاغة الكمالية. وهي من اختصاص الأدباء والخطباء والشعراء، وهذا بالطبع غير صحيح، فدقة التعبير وسلامة التبليغ مطلوبة من الجميع، وهذا ما نلاحظه في كل البلدان غير التابعة ثقافيا، حيث يتباهى ويتأنق الساسة والإداريون حتى في خطاباتهم اليومية والمكتبية.

إن أعظم العلماء في القديم والحديث، كانوا من النابغين في اختصاصاتهم التي أغنوا من خلالها لغاتهم، وتوجوا أعمالهم بمؤلفات نفيسة، في الفلسفة والأدب وقصص

الخيال العلمي، وقد ساهموا عن طريق وسائل الاتصال السمعي والبصري والمقروء فيما نسميه تعميم الفصحى، وتفصيح العامية، أي التثقيف العام وإثراء رصيد المجتمع من المصطلحات والأفكار، وقد كان العلماء العرب من السباقين إلى نظم المتون والأراجيز، في مختلف العلوم والفنون والآداب، ولأسلافنا في المغرب العربي باع وأيّ باع.

7-تتوفر اللّغة العربية على الشروط الأساسية لعملية اللّغة وعالميتها، وهي:

أ- العمق التاريخي الجغرافي، فهي من أقدم اللغات المكتوبة والمنطوقة منذ مئات السنين، في قسم كبير من آسيا وإفريقيا، وعن طريق الإسلام (القرآن) في القارات الخمس، كما أنها بقيت على العموم هي نفس اللّغة التي كتبت بها العلوم المقدمة **(Siences de Pointe)** ، حتى القرن السابع الهجري (الرابع ميلادي)، فلم تمنع الفتن، والتفكك السياسي، والعدوان الخارجي، من ازدهار العلوم والفنون في المغرب والمشرق الإسلامي.

ب- استقلالية اللّغة العربية من ناحية اللسان، **(Langue)** والكلام **(Parole)** سواء نظرنا إليها على ضوء علم النص، أو علم اللّغة الاجتماعي، أو

قارناها بلغات أخرى من شجرتها اللغوية (**Arbre linguistique**) أو خارج تلك الشجرة (علم اللّغة التقابلي أو المقارن).

ففد استمدت الكثير من مفرداتها من لغات أخرى، شل العبرية و الفارسة والهندية كما استعانت بها نفس تلك اللغات، وخاصة في لغة العلم والفلسفة والفقه وأصوله، وامتزجت بها كما هو الحال في الفارسية، والتركية، والمالطية، ولكنها حافظت لأمد طويل على خصائصها، وثرائها الكبير في الاشتقاق والمترادفات حتى قال (أدم ميتيز) أن العرب اهتموا كثيرا بالنثر « وفاقوا في ذلك جميع الشعوب» (آدم ميتز، ترجمة: أبو ريده، ط-ج-**1-1967**).

ج- التنميط أو القابلية للتعبير (**Normalisation**) ،أي اختيار مفردات معينة، بسبب تواترها، وملاءمتها للمفهوم المراد تعريفه، لما فيه من خصائص تقرب الدال من المدلول.

لم يهتم اللغويون العرب في القديم، بقضايا التنميط في المصطلح العلمي، لأنهم كانوا كما أشرنا ينتجون العلم، بما فيه فقه اللّغة، والمعاجم التي وصلت أوجها في نهاية القرن الرابع الهجري، على يد علماء من أعلى طراز، مثل ابن فارس (**395.**)، و

حمزة الأصفهاني (**350**)، و الحسن العسكري (**395**) و الجوهري (**392.**)إلخ....

والملاحظ أن وفرة النشاط العلمي، وتعدد المدارس والاجتهادات في وضع المفاهيم، تقلل من مصاعب التنميط في اللّغة الواحدة، كما حدث أثناء ازدهار الحضارة العربية في الفلسفة مثلا، حيث لا نجد سوى القليل هن الخلافات في المصطلح، ما بين الكندي و ابن رشد و يفصل بينهما زمن طويل، وكما نلاحظ اليوم في البلاد الأنغلوسكسونية، (بريطانيا—الولايات المتحدة -كندا—أستراليا)، حيث يتبنى كل واحد منها بسرعة، المصطلح الذي يطلق على اختراع أو ابتكار يسبق إليه أي بلد منها .

8-وصفنا اللّغة العربية بالمطاوعة والمرونة التي تشاركها فيها كل اللغات السامية بما فيها الأمازيغية المتداولة في شمال غرب إفريقيا، (وخاصة الجزائر والمغرب) ، غير أن العربية تتميز باستمرارية تاريخية، وعمق حضاري زاخر وثراء قل نظيره في عائلتها اللغوية، وقد أوصلها القرآن الكريم إلى أعلى درجات البيان والإتقان، وهو الإعجاز.

9-إن ثراء اللّغة العربية وتمتعها بالمطاوعة والاشتقاق، لا تقلل من المصاعب الموضوعية التي يعاني منها الخبراء والباحثون، في كل حقول المعرفة العلمية لأسباب كثيرة:

أولها : الفجوة المهولة بيننا وبين ركب المقدمة الذي يدفع يوميا، بآلاف المصطلحات والرموز والتراكيب التي تفرض نفسها على المجتمع العلمي، وحتى على المجتمع بمعناه الواسع، ويضطر علماؤنا إلى التعامل معها، وملاحقتها قبل الاهتمام بنقلها معربة، أو مترجمة إلى العربية.

ثانيها : إن العلوم كلها قد اتجهت منذ بداية القرن العشرين، إلى استخدام الرموز والإشارات الحرفية والرقمية، وأصبح الاختزال لغة اصطناعية يتعامل بها الناس، ابتداء بإشارات المرور حتى مخابر الفضاء والهندسة الوراثية، فعندما يرى الرياضي حرف (N) يفهم معناه، ولا يحتاج إلى جملة كاملة تقول له إنه مجموعة الأعداد الطبيعية، وعندما يضاف إليه (0) أو صفر (.N°)، فإنه يعرف أنها جملة أخرى، تعني مجموعة الأعداد الطبيعية مع الصفر... ، وقس على ذلك الاختزال في كل علوم الطبيعة والمجتمع

حيث تجمع حروف عدة كلمات لتصبح كلمة واحدة لها مدلول متفق عليه بين أهل الصنعة.

بعد هذه اللمحة المتعلقة ببعض إشكاليات علمية اللّغة العربية، فإنني أتقدم بالمقترحات العامة التالية:

1 – إن إثراء لغتنا الجميلة بالابتكارات المصطلحية، ليس مسألة تقنية بحتة، إذ لا بد أن تتوفر الإرادة السياسية بتجسيد المبدأ الوارد في دساتيرنا، ومؤداه أن العربية هي اللّغة الوطنية والرسمية، وبالتالي تحشد الجهود والإمكانيات، وتوظف وفق منظور منسق، وبعيد المدى، بإشراك الكفاءات العربية المتواجدة داخل أوطاننا وخارجها، فقد أثبت تفوق علمائنا في الجامعات و مراكز البحث الأوربية والأمريكية، أن العقل العربي لا يقل عبقرية عن غيره، فالعجز والقصور الحالي راجع في كثير من علله إلى « المناخ العام» ، وضعف الإرادة السياسية، وتطاول جماعات من بقايا المخازنية، و رقيق الكولونيالية على مكاسب حركة التحرر الوطني باسم حداثة قشرية، جماعات ليس لها من مواصفات النخبة سوى استخلاف الجاليات الكولونيالية السابقة، وحراسة تركتها المتعفنة فضلا عف البطر والاستعلاء، (من الملاحظ أن تلك الجماعات تريد

التميز عن جمهرة الناس من مواطنيها اللذين تضعهم وسائل الإعلام الأروالأمريكي، تحت اسم المسلمين أو العرب وتلحق بهم كثيرا من الصفات المنفرة)

2- ينبغي أن يتجه العمل المشترك والتنسيق بين المجامع إلى التوحيد، فاللّغة الواحدة لها مجمع واحد، وله مجامع قطرية، أو مراكز جهوية تخدم سياسة واحدة لترقية اللّغة العربية، ومن الواضح أن سياسة اللّغة لا تعني الضياع في المجادلات " الكلامولوجية " في تعبير الأستاذ المرحوم محمد عزيز لحبابي .

3- انطلاقا من أهمية العمل المشترك، فإنه بالإمكان أن يصبح الاتحاد أشبه بالبرلمان اللغوي الذي يعمل وفق قواعد الديموقراطية، و يسهر على تشجيع الاجتهاد، و يحتضن الإنتاج العلمي الراقي، والمتخصص، فمن المعروف أن كثيرا من دور النشر لا تعنى بطبع ونشر الأعمال الأكاديمية غير الموجهة إلى الجمهور الواسع، وهذا شأن التجارة التي تسبق مبدأ الربح والخسارة، ولذلك فإن تمويل مثل هذه الأعمال، ينبغي أن تكون من ميزانيات المجامع، وبالأساس على كاهل الدولة التي من مسؤولياتها رعاية العلماء، قبل حساب تكاليف الإنتاج والبيع والشراء .

4 – هناك في مسألة المصطلح واللفظ الأعجمي بوجه عام، اتجاهان يتقاسمان الرأي العام الثقافي : يرى الأول أن لا بأس من استعمال المصطلحات والكلمات كما هي في لغتها الأصلية ولا داعي للترجمة أو التعريب، بل يذهب المنشطون في هذا الرأي إلى تعويض العربية بلغة حية أو أكثر (الإنكليزية في المشرق الفرنسية في المغرب)، وتدور في هذا الشأن مجادلات ساخنة، وأحيانا إنفعالية، ومن الواضح أن من دوافع هذا الرأي الكسل العقلي، والاهتمام بشكل الحداثة والعصرنة، وليس بمضامينها ومناهجها، وكذلك الاعتقاد الخاطئ بأن اللّغة التي ننطق بها هي المتخلفة، وليس المرحلة التاريخية التي تعبرها المنطقة وأهلها ، فضلا عن عدم إدراك البعض أن اللّغة العربية، هي لغة موحدة وليست " أحادية " ، أي ترفض التعايش والتعاون والإثراء المتبادل مع اللغات الأخرى، فلا يقول إلا غافل أو مستغفل: لغة الضاد ولا لغة غيرها في العالم في عصر الأقمار الصناعية وقواعد وشبكات الاتصال العابرة للقارات.

أما الرأي الثاني فهو يتصور، أن الدفاع عن العربية يتطلب التشدد والتزمت، ورفض ما لم يرد في كتب التراث من مصطلحات وكلمات، لا شك أن في هذا الموقف غيرة على العربية، وتمسك بما يسمى طهارتها ونقاءها، ولكننا نعرف أن من "

الحبّ ما قتل "، فلا توجد في العالم لغة ليس فيها مفردات، ومصطلحات دخيلة بسبب الاحتكاك المباشر، وظاهرة التثاقف (**Acculturation**)، بل إن أسماء آليات ومرافق أخضعت لنطق تلك اللغات وتركيبها، وأذكر أن أحد القرويين في سهل المتيجة وسط الجزائر قال لى، (**Allumette**) ، وأنه من ١لسهل عليه نطقها بحكم العادة.

5- من الناحية العملية البحتة، من المفيد أن يستعجل الاتحاد والمجامع التي يضمها، ترجمة القائمة الطويلة، من الأبحاث والأطروحات التي كتبها الباحثون العرب بلغات أخرى في كثير من بلدان العالم، ونحن نقترح أن يلتزم أعضاء البعثات إلى الخارج، بترجمة أعمالهم، بعد أقل من خمس سنوات من تقديمها، وأن توكل ترجمة البحوث التي أنجزها العلماء العرب في الخارج، إذا صعب عليهم هم القيام بذلك، (ولكن بترخيص وتعاون معهم) إلى لجان متخصصة في نفس مجال البحث، وأن يتسع ذلك إلى ملاحقة منجزات البحث العلمي الذي قام به العلماء في كل القارات، إنه بلا ريب عمل مرهق، مكلف وعسير، ولكن هكذا بدأ أجدادنا مسيرتهم العلمية الباهرة، وأبدعوا أثارهم الخالدة.

6- من الناحية العلمية أيضا، هناك مسألة شغلت بالنا منذ مدة، عندما كان التدريس في العلوم الاجتماعية، في جامعة الجزائر يتم باللغتين العربية والفرنسية لنفس التخصصات، وأحيانا من طرف نفس الأساتذة، وتتمثل في خلو لغتنا من الحرف الكبير (Majuscule) الذي تبدأ به حروف الاسم العلم، أو يشير إلى بداية فقرة أو جملة جديدة في اللغات اللاتينية والسكسوجرمانية، كما أننا نفتقر إلى دلالة موحدة للعلامات، وخاصة المعقوفات والأقواس، المهمة في تحرير المذكرات والتقارير العلمية، وهذه المسألة ليست شكلية، إذ أن لها علاقة وثيقة بالمنهجية والمصطلحية العلمية، من المهم أن يتفق عليها الجميع وأن يتعلمها التلاميذ قبل نهاية المدرسة الأساسية.

إن العولمة تداهمنا في عقر دارنا، وتحمل إلينا غثها وسمينها، ويبدو لنا أن الحل لا يكمن في تجاهلها، أو اتخاذ موقف، يشبه موقف الثعلب من العنب بالتهجم على سلبياتها وشرورها، إن القافلة تتحرك بنا أو بدوننا، ومن الأفضل، بل من المحترم علينا، أن نفتك مكانتنا فيها.

وتبدأ تلك المكانة بالعلماء اللذين عليهم ان يقتنعوا فيما بينهم أولا، ويقنعوا أولي الأمر ثانيا، بأن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا، وأن منطقتنا دفعت ثمنا باهضا بسبب

التخلف والتشتت، وبعض الصراعات المفتعلة، وأن طريقنا إلى النجاة يبدأ بالتضامن الموضوعي، ويرتقي بالعلم والعمل.

إن زمن التنابز والادعاء بالزعامات والشعارات اللفظية قد ولى وانقضى، إن أمتنا العربية الإسلامية في حاجة اليوم إلى تفعيل مؤهلتها المادية والمعنوية، وقد أدركت النخب الحرة في تفكيرها، وشرائح كبيرة من مجتمعاتنا، أن قوة خصومنا هي من ضعفنا وتشتتنا وتخلفنا، ولا شك أن اللّغة العربية وما تحمله من مضامين الرقي في ميادين العلوم والفنون والآداب، هي رسولنا إلى محيطنا الحضاري العالمي، فهل يتحول الحلم إلى إرادة والطموح إلى حقيقة؟

أهمية تدريس الخط العربي
في المدرسة الجزائرية

الأستاذ الدكتور عبد الحميد اسكندر

لقد كان الاهتمام بتدريس الخط العربي في المدرسة الجزائرية غير وارد بالمرة، ولم تكن العناية به ضمن المنظومة التربوية إلا من خلال الكتابة مجرد (الكتابة) التي تنقل بها العلوم إلى التلاميذ دون مراعاة لجمال الخط ولا غاية في تحسينه، حسب قواعد مضبوطة ومقاييس ثابتة ومعترف بها لأن المعلمين الجزائريين عبر تكوينهم لم يتلقوا الأصول الغنية لتدريس مادة الخط العربي، بل لم تدرج هذه المادة أصلا في سياق

التعليم العام ولذا نرى اختلاف الكتابة بين تلميذ وآخر وبين معلم وآخر، لأن كلا منهما (التلميذ والمعلم) اعتمدا على عشوائية في التمكن من الكتابة العادية.

ونظرا لخطورة الوضع في مجال التعليم، فإن دراسة الخط العربي وفنياته للمعلم تعتبر ضرورة هامة. لأنه الوسيلة الدقيقة للتعبير الكتابي يساعده في ذلك الوضوح والترتيب الذي يعطي فهما دقيقا لمعاني الكلمات وصدق دلالتها. أما إذا كان الخط رديئا فإنه يثير في نفس شعورا بالملل لدى قراءته، ولا يستطيع القارئ (التلميذ) التعبير عن مقاصد الكتاب (المعلم) ولا التواصل إلى الفهم الصحيح للمعنى **المطلوب٠ وتتجلى** هذه الملحوظة الهامة في أوراق الإجابة في الامتحانات التي قد تشعر الأستاذ بالملل من رداءة الخط، ويصعب عليه بالتالي فهم مقاصد الطالب. **ومن** هنا تبرز الأهمية التعليمية الخط العربي على امتداد مراحل التعليم في قدرة الطالب على أن يكتب بسرعة معقولة كتابة يتحقق فيها الوضوح، مع التنسيق والجمال٠ وأما ١لوضوح فيتوافر في الخط باستيفاء السمات الميزة لكل حرف **من حيث حجمه** وشكله وكيفية اتصاله بغبره. وامتلاء أجزاء الحروف أو رقتها، وميلها واستقامتها وطولها وقصرها أما الجمال فيتحقق بانسجام الحروف والتناسق في أوضاع الكلمات وتناسب السافات بينها في السطر الواحد ومجموعة السطور.

ولذا **نركز** مبدئيا على استحداث مادة تدريس فن الخط العربي في دور تكوين المعلمين أولا وأساسا، لأن تحقيق هذه الأهداف يقوم بأدائها المعلمون عبر مختلف المدارس وفق تصور واحد ومنهج مضبوط وانطلاق شامل يعم كل أرجاء الوطن.

ونسجل هنا وبكل أسف أن الاهتمام بتدريس ماده الخط العربي في المدرسة الجزائرية جاء متأخرا إلى حد ما، ولم يكن على مستوى التكوين في دور المعلمين وإنما كان في آخر مرحلة. تمثلت في تدريس الخط العربي في أوائل الثمانينيات في المركز الوطني لتكوين إطارات

التربية بالنسبة للمفتشين في مجال التربية على أساس أن الخط العربي يدخل ضمن مفهوم مادة التربية الفنية، وليس فنا مستقلا بذاته. وهذا مما أثر سلبا في هذه المادة ولم تستفد منها المدرسة الجزائرية على نطاق واسع لأن الخط العربي يعتمد على الموهبة الطبيعية، ثم التعلّم والتدريب اللذين يقومان على العمل المتواصل، مما يساعد على تنمية القراءة على الترتيب والتنظيم والنظام والدقة في الملاحظة، والقدرة على التركيز في تمييز الخط الجيد، ذلك أن أصحاب المواهب المختلفة قادرون على تعويض النقص إن أحسن تدريبهم وتعهدهم بالتعلّم والتوجيه، وهنا لا بد من القول أن النهوض بتعلم الخط للطلاب منوط أولا وآخرا بالدرس الكفء الذي يتولى التعليم والتوجيه الصحيح ، إذ أن الخط العربي ليس من المواد الدراسية التي يستطيع الطلاب الاستقلال بتحصيلها دون الاستعانة بالمدرس الذي يزوده بالإرشادات والتوجيهات والمراجع، ولذا يقال إن الخط مخفى في تعليم الأستاذ.

ومن هنا كان إعداد مدرسي الخط العربي وتأهيلهم ثقافيا وفنيا للقيام بهذا الواجب خير قيام، أمرا ضروريا في مجال التربية والتعليم، وهذا الإعداد يكمن في أن يكون خط المدرس على جانب من الجمال والدقة، ويتمتع بالأصول الفنية التي تضبط معاني الكلمات أوضاع الحروف وصورها الفنية من حيث الارتفاع والهبوط والرقة والانحناء ليستطيع أن يقدم لتلاميذه كتابة صحيحة تتميز بالدقة والنظام **وحسن** الذوق وسهولة الفهم. ذلك أن الخط العربي هو عصب كل الفنون والعلوم والعامل المشترك في كل فروع المعرفة، فهو متواجد في كل مجالات الحياة على عمائر وتحف وأحجار ومخطوطات ومسكوكات وإعلانات إشهارية، ونشاطات ثقافية فبه ومنه استمدت الحضارة الإسلامية وجودها وأصبحت لها مكانة بارزة ومميزة.

وعلى هذا الأساس يجب التعرف على أنواع الخطوط وأسمائها، حتى يتمكن هذا الحضور الكريم من الاطلاع على كنوز هذا الفن وما يتوفر عليه من سمات وقيم جمالية وخصائص فنية إبداعية قلما توجد في غيرها من خطوط لغات العالم الأخرى.

وكلنا أمل أن تأخذ اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية هذا الجانب وتوليه ما يستحقه من العناية والرعاية في محصلة تقريرها النهائي. وذلك بتوصية منها على إنشاء مدرسة خاصة لتحسين الخطوط العربية على غرار ما هو معمول به في جميع الدول العربية.

وعلى سبيل التجربة تنشأ مدرسة نموذجية في العاصمة على أن تتبعها مدارس أخرى في أكبر الولايات من الوطن، ويلتحق بها أصحاب المواهب ومن له رغبة في تعلم هذا الفن الخالد.

لأن العناية بالخط العربي هو عناية باللّغة نفسها، وقد كان الخط الجميل في كثير من دول العالم هو المعيار الدقيق والعنوان المعبر عن تقدم ورقي أي لغة ٠ كما يدل

دلالة على تحضر مواطنيها ومدى رفعة ذوقهم الغني وعلو كعبهم في مجالات الإبداع والابتكار والتفوق الحضاري، وهو من أهم الراجع والمعالم التي ستتند إليها في تقييم النمو التاريخي عبر الأجيال والعصور.

ولا ننسى فضل مدرسة الفنون الجميلة من حيث أنها جعلت الخط العربي أحد المواد الأساسية في التدريس عندما كانت شعبة الفنون التطبيقية توليه عناية خاصة وتخرجت منها ثلة من الطلبة تخصصت في فن الخط العربي واستفادت ببعثة إلى القاهرة والتحقت بمدرسة تحسين الخطوط العربية هناك، فنالت بذلك تجربة وتعمقت أكثر في معرفة خصائص كل الخطوط واكتشاف أسرار الإبداع في كل نوع منها.

وها هي تقوم بمسؤولية في تعميم جمالية الخط في الجرائر، ولو أنها لم تبلغ ما بلغته بعض الأقطار العربية في تجويد الخط نظرا لقلة عددها ومحدودية عملها ونشاطها.

أنواع الخطوط وأسماؤها :

ينقسم الخط العربي إلى قسمين:

القسم الأول:

ذو الحروف اليابسة المستقيمة، وهو الخط الكوفي بأنواعه العديدة ومشتقاته الكثيرة، والخط الكوفي لا يحاسب به الخطاط، لأنه واسع المجال، ويستطيع الخطاط من خلاله أن يتصرف فيه كثيرا ، ويتفنن في الإبداع وإظهار مواهبه الإبداعية، والخط الكوفي يكتب عادة بالمسطرة وهو إلى الرسم أقرب ؛ حيث يتخذ أشكالا هندسية جميلة كالمربعات والمخمسات والنجوم والزوايا والعقود والضفائر **وغيرها** من التشكيلات الزخرفية.

- **القسم الثاني:**

ذو الحروف اللينة المطاوعة لحركة القلم أثناء الكتابة وهي المسطحة والنكبة والمقورة والمعقوفة، ولا تكون فيه الحروف مستقيمة أبدا، كما لا يستطيع الخطاط أن يكتب حرفا أو جزءا من حرف بالمسطرة وإنما يكتب بالقلم مباشرة.

ومن القسم الثاني الخطوط التالية: خط المثلث، المرسل، المحقق، المركب، وخط الإجازة، والنسخ والرقعة والديواني وجلي الديواني، والتعليق (الفارسي).

إن الخط العربي فن من الفنون، إنما نشأ بسيطا ثم تطور شيئا فشيئا وتناولته الأجيال عبر التاريخ بالتحسين والتطوير حتى بلغ هذا القسط من الضبط والإتقان والجمال، ولا نريد بالخطوط الكتابة المطلقة العامة، إنما نقصد بها الكتابة الفنية ذات القواعد والأصول الثابتة.

خط الثلث:

هو أصل الخطوط العربية؛ ورأسها وأبهاها وأجملها وأصعبها.

ولا يعتبر الخطاط خطاطا، ما لم يضبط هذا النوع ويتقنه، والذي يتمكن من الثلث فإنه يتمكن من سواه بسهولة ويسر.

ويستعمل هذا النوع على الأغلب في كتابة سطور المساجد في المحاريب والقباب والواجهات وفي المتاحف وعناوين الكتب والصحف، وأوائل سور القرآن الكريم، إلى غير ذلك من التحف الفنية كالمعايدات والبطاقات الشخصية.

وهو خط جميل سواء كان رقيقا أم حليا ويحتمل كثيرا من التشكيل والحركات، ويعزى تاريخيا إلى الوزير أبي علي محمد بن مقلة، إذ هو الذي اشتهر بأنه ولد خط المثلث واشتقه من (الجيل والطومار).

وابن مقلة هذا هو أول من هندس الحروف العربية، وقدر مقاييسها وابعادها بالنقط. وقد ميز بين الخطوط، وولد من بعضها البعض.

وقد تطور خط المثلث على أيدي الخطاطين الأتراك ص بلغو به درجة الكمال.

ومن العظماء اللذين تفننوا في الإبداع بخط الثلث الخطاط عبد الله الزهدي كاتب السطور الرائعة من المسجد النبوي الشريف. وشفيق بك كاتب سطور المسجد الأقصى (قبة الصخرة) في القدس الشريف، وراقم وأحمد الكامل وحقي وسامي ونظيف وعمر وصفي وشوقي وخلوصي وعثمان ياور وعزيز الرفاعي وماجد الزهدي وحامد الأمدي وحليم وهؤلاء كلهم من الأتراك، وفي مصر الخطاط حسني ومكاوي وعبد الرحمان والشيخ علي بدوي وسيد إبراهيم البرانس كاتب سطور المسجد الحرام في مكة المكرمة والشيخ رضوان.

وفي الشام الحاج محمد بدوي الديراني وفي لبنان الشيخ نسيب مكارم. وفي العراق المرحوم سفيان الوهبي البغدادي ومحمود الثنائي وإسماعيل الأنوري وعبد الجبار زادة ومحمد صبري الهلالي وهاشم

محمد البغدادي والمرحوم محمد الصالح الخماسي بتونس ومحمد شريفي بالجزائر.

وهنا لا بد من فتح قوس على الخطاط الدكتور محمد شريفي الذي كانت لي معه زمالة في مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة وكان نعم الأخ الصديق لكل زملائه الطلبة الجزائريين لدماثة خلقه وسعة صدره وتمسكه بالأخلاق والمبادئ وكان مثالا للطالب المجتهد ونال أرفع الدرجات وكان من المتفوقين الأوائل.

وعندما **رجع** إلى الوطن بعد الاستقلال، واصل مشواره الفني كأستاذ مميز في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة إلى غاية اليوم علاوة على بحوثه القيمة في مجال الخط العربي وقدم أطروحة لنيل الماجستير عن خط المصاحف مشرقا ومغربا وحازعلى شهادة الدكتوراه عن اللوحة الخطية في الخط العربي كما كانت له كراريس خطية في كل أنواع الخطوط.

ولذا وجب التنويه والاعتراف بمن كانت له الريادة، وباع طويل وتأثير في مسيرة الخط العربي بالجزائر، وقد حاولت أن يكون بيننا اليوم، لكن لظروف خاصة به والتزامات حالت دون حضوره ويساهم في إثراء هذه الندوة ويضفي عليها ما تحتاج إليه من خصوصية وموضوعية.

خط النسخ:

إن خط النسخ قريب من خط الثلث، في نواحي الجمال والأبهة والروعة والدقة، وكان يستعمل لنسخ الكتب، فسمي بالنسخ، وهو يحتمل التشكيل ولكن أقل من الثلث، ويزيده التشكيل حسنا ورونقا.

ويكتب بخط النسخ (القرآن الكريم) والأحاديث النبوية الشريفة، والأدعية والأوراد ويصلح لبعض اللوحات الكبيرة.

وكلما كانت الكتابة فيه دقيقة وصغيرة كانت أجمل، ولذلك تتخذ حروف الطابع على الأغلب من هذا النوع.

وايضا اغلب الكتب المطبوعة والصحف والمجلات اليوم هي بخط النسخ.

ويتمرن الخطاطون بخط النسخ أيضا، وذلك لاعتبار حروفه لينة مطاوعة ويكثر فيه المد أكثر من الثلث.

خط التعليق الفارسي:

هو خط جميل ويسمى (الفارسي) أيضا . ويبدو أنه اتخذ هذا ١الاسم (التعليق) لأنه يستعمل في كتابة التعليقات في الحواشي والهوامش، ليخالف فيه أصل الكتابة.

ويسميه العجم (نستعليق) وأصله (نسخ التعليق) ويلفظ نستعليق للسهولة وهو خط جميل في الكتابة الدقيقة والوسطى والكبيرة وفي الكلمة المفرده والسطر. ومن خصائصه أنه يحتمل المد كثيرا ويزدده المد جمالا وحسنا وتوزيعا ولا تكون سطوره مستوية ففيه حروف صغيرة مجموعة ثم يعقبها حرف ممدود.

وتارة تكون حروفه عالية جدا ثم يعقبها انحدار ونزول مفاجئ مما يجعل سطوره غير مستوية استواء الثلث والنسخ. ولذلك يعتمد الخطاط أن يحيط الكتابه بها يشبه الغمام من الزخارف. ويصعب إحاطة الكتابة الفارسية بمستطيل من الخطوط والزخارف الأخرى، كما هي في الثلث من الخطاطين العظماء في خط التعليق (الفارسي) مبر عماد الحسني، وأسعد اليساري ومن المعاصرين الشيخ حسن المعروف بزرسن خط (الخط الذهبي) ويرافقه المرحوم هاشم محمد البغدادي والحاج محمد بدوي الديراني والخطاط حسني وسيد عبد القوي وسيد إبراهيم بمصر .

خط الرقعة:

خط الرقعة رائع جميل، اخترعه الخطاطون الأتراك وأول من أجاد فيه وميز خصائصه الخطاط التركي ممتاز بك.

وهو لا يصلح للتركيب ولا للتوليد. وكتابتنا الاعتيادية في أمورنا الحياتية العامة أقرب إلى خط الرقعة من سائر الخطوط.

ومن خصائص خط الرقعة ، أنه تغمض منه العين المتصلة ، والواو ابتداء واتصالا كما تغمض منه الفاء ابتداء وتنفتح اتصالا وتغمض القاف ابتداء وتنفتح وسطا وتغمض انتهاء.

وخط الرقعة تجمع فيه النقط، ولا يجوز تفريقها، كما أنه النوع الوحيد الذي يجوز فيه أن تتصل نقط الشين والضاد والقاف والنون والياء في آخر الحرف.

ويستعمل خط الرقعة في الكتابات الكبيرة والإعلانات التجارية والمكاتب والدوائر الرسمية، لسهولة قراءته، وكذلك في عناوين الصحف والمجلات وبعض الكتب، وهو لا يحتمل التشكيل.

وقد أخذ خط الرقعة هذا الاسم من (الرقعة) وهي قطعة الورق الصغيرة في المكتبات وأشهر من يكتب خط الرقعة هو الأستاذ عزت والمرحوم الخطاط محمد صبري الهلالي البغدادي وحسنى الخطاط بمعمر والخطاطون الأتراك بصفة عامة.

وخط الرقعة متأخر زمنيا عن الثلث والنسخ وهو غير خط الرقاع المذكور قديما.

خط الإجازة:

خط الإجازة يكون مجموعا من خطي الثلث والنسلي وهو خط جميل وليس هناك قاعدة لضبط الإجازة في أوضاع حروفه من حيث تسلسلها في النوعين، فالخطاط حر في خط الإجازة أن يكتب حرفا. من الثلث ثم يعقبه بحرف أو أكثر من النسخ وبالعكس.

ويبدو لي أن خط الإجازة متأخر زمنيا عن خط الثلث والنسخ. وإنه مولد ومتفرع منهما، وهو خط للتمرين عند الخطاطين، وغالبا ما نجد الخطاط إذا مسك القلم وابتدأ بالشق قبل كتابة اللوحة الفنية التي يروم كتابتها، فإنه يبدأ بالثلث ثم ينتقل فجأة إلى الإجازة.

وخط الإجازة يكتب به عادة عناوين السور القرآنية الكريمة ، وعدد آياتها وقيل :

إن الإجازات العلمية كانت تكتب به فسمي خط الإجازة، وهذا الرأي صحيح ومقبول.

الخط الديواني:

إن الخط الديواني اخترعه الخطاطون الأتراك وولدوه من خط الرقعة، وهو يشترك مع خط الرقعة في كثير من أوضاع الحروف وهيئتها وقد خصصوه لكتابة الأوامر والمراسيم التي كانت تصدر عن ديوان السلطنة، فسمي (الخط السلطاني) أيضا، وتكتب به عادة اللوحات الفنية ذات الأهمية الكبيرة كالمراسيم الجمهورية والشهادات العلمية والسندات، كما تكتب به المعايدات والبطاقات الشخصية.

والخط الديواني تكون سطوره مستوية من الأسفل في الأغلب وقد ينزل منها بعض الحروف كالجيم والحاء والخاء والعين والفين والميم، ولا تستوي سطوره من الأعلى، والديواني كخط الرقعة لا يحتمل التشكيل، وتكون نقطه مجتمعة وتكتب أحيانا على شكل دائرة.

وأشهر من يكتب الخط الديواني، هو المرحوم مصطفى غزلان بك المصري، وقد أدخل عليه بعض التطوير وجعل حروفه متداخلة متصلة وسمي باسمه (الخط الغزلاني) وهو من الديواني.

وكذلك من البارعين فيه محمد صبري الهلالي وهاشم محمد البغدادي والخط الديواني جميل، في الكلمة المفردة وفي السطر ويكون جميلا في الكتابة الدقيقة والكبيرة على السواء.

خط جلي الديواني:

وهذا النوع يسميه الأتراك (جلي الديواني) وأصله الديواني الجلي اخترعه الخطاطون الأتراك أيضا، وولدوه من خطي الديوان والإجازة.

وكان اسم هذا الخط من الأضداد، حيث كان ينبغي أن يسمى (دقيق الديوان) ومطعوس الديواني أو (خفي الديواني).

ومن خصائص هذا الخط أنه يحتمل التشكيل كثيرا ويضاف إليه النقط الصغيرة الدقيقة، مما يزيد الخط جمالا وبهجة، ويتخذ جلي الديواني أشكالا بديعة وتراكيب لطيفة أثناء الخط، ويتصرف فيه الخطاطون كثيرا. ويستعمل في نفس الأغراض التي يستعمل فيها الديواني. وأشهر من يكتبه الخطاط التركي مصطفى عزة والشيخ عزيز الرفاعي، والشيخ نسيب مكارم والأستاذ هاشم محمد البغدادي.

وبعد هذا العرض الموجز عن خصائص كل خط ومميزاته الجمالية فإن المحاكاة وحدها ليست عاملا من عوامل إجادة الخط، بل ينبغي أن ترتكز هذه المحاكاة على معلومات تيسر للطالب الوصول إلى الإجادة بسرعة.

وتعتمد دراسة الخط العربي على إيقاظ الحواس وتنبيهها لتصل إلى معرفة ميزاته الفنية، وتدرك خواصه بالمناقشة والملاحظة النظرية، ويأتي ذلك بتوجيه التلميذ إلى النموذج توجيها عاما، ويناقش فيه مناقشة تكشف له عن الميزات والخصائص التي يريد المدرس توضيحها، وعلى هذه الأسس التربوية المعتمدة على حواس التلميذ واستعداده الجسمي والعقلي، تبنى الطريقة الحديثة في تدريس هذه المادة الحيوية.

والآن يحق لنا أن نتساءل: أين تكمن جمالية الخط العربي، وما سر هذه الروعة التي تثير الإعجاب في لوحة خطية؟

في الحرف العربى بكل أنواعه وأشكاله ومواقعه رشاقة تحسها في امتداد الألف وفي عنق الفاء والواو وفي طرف الحاء ونهاية السين، وتحسها في اتصالات الحروف بعضها مع بعض في تعانق ولهفة وانسجام، كما تلمسها في التفاف النهايات في الراء والدال والواو والقاف وغيرها وأخيرا في التشكيل الفني بين الكلمات دون فراغات أو مساحات خالية، مع ما يرافقها من حركات وعلامات زخرفية تكمل اللوحة في أطر فنية بديعة.

وهكذا غدت اللوحات الخطية تزين القاعات والغرف والمحلات بخطوطها المختلفة فهي ليست لوحات للتبرك فحسب وإنما لوحات زينة

وجمال مظهر، ولذلك حرص الناس على اقتناء عدد منها في كل بيت، وأصبحت وسيلة للتهادي في المناسبات والخط العربي هو جزء مهم من التراث الحي للأمة العربية، ويرتبط بلغتنا وتطورنا الثقافي ويرجع إليه الفضل في تماسك العرب ووحدتهم وحفظ تراثهم.

وهو على أهميته وجلال قدره ، لم يأتنا منزلا من السماء ، وهو كسائر الفنون الحضارية ثمرة يانعة لجهود، ومساع مباركة، بذلها أجدادنا، جيلا بعد جيل، حتى أصبح فنا راقيا تعتز به الدول العربية غاية الاعتزاز، وتفتخر به منتهى الافتخار، فهو ممثلا وفارضا وجوده الفني والحضاري في كتابات المراسلات الرئاسية والملكية والدعوات الرسمية والتهاني به في الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية ورسائل اعتماد السفراء لدى الدول 'الشقيقة والصديقة، ووثائق التصديق على المعاهدات، وهذا ما تبنته وقررته الدولة الجزائرية منذ الاستقلال حتى الآن. وهذا ما لمسناه وعايشناه عمليا وميدانيا في عهد فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي يحرص كل الحرص على إعطاء الأولوية للغة العربية أولا وللخط العربي ثانيا في كل نشاطاته الرسمية وهذا ما يؤكد توجهه العربي الرزين، وسعة نظره الثاقب في

معالجته لأبعاد مكونات هويتنا الوطنية، وتطلعاته بأن يكون لكل عنصر فيها دور فعال في التطوير والترقية. وبالتالي يعود من جديد ذلك التهوج والازدهار لحضارتنا العربية الإسلامية الذي عرفته أمتنا في سابق عصورها الذهبية.

وما إسهام المجلس الأعلى للغة العربية تحت وصاية رئاسة الجمهورية في عقد هذه الندوة الأولى حول الخط العربي وجمالياته إلا دليل على أننا دخلنا عهدا جديدا تكون فيه الصدارة لذوي الاختصاص وأصحاب الكفاءات وتشجيع المواهب في جميع العلوم والفنون والمعارف.

ونظرا للمكانة الحضارية التي ستفتحها هذه الندوة فقد بات من الضروري تعميق الصلة وإدامتها مع العاملين في هذا الحقل الواسع من

علماء لغة وباحثين وخطاطين ومزخرفين ومهتمين بهما في جميع أنحاء الوطن.

كما يتعين التعاون مع المؤسسات والهيئات ذات العلاقة بين ترقية اللّغة العربية من جهة وتحسين الحرف العربي من جهة أخرى على الصعد الرسمية أو غيرها حشدا للطاقات البدعة وتسهيلا لأداء مهامها في الميدان اللغوي والخطي على حد سواء.

كما يتعين التأكيد على الجانب العلمي في الخط والزخرفة بما في ذلك من أهمية في رفع المستوى الفني وترقيته لدى المهتمين بهذا الفن الجميل الرائع.

وأخيرا وليس آخرا، الاهتمام بأعلام الخط العربي قديمهم وحديثهم، والتوجه لدراسة حياتهم وآثارهم، وإعطائهم المكانة اللائقة بهم، باعتبارهم شوامخ يعتز بهم، وتكريمهم دوريا في كل قطر عربي، حرصا على الأصالة وإذكاء الجذوة الحية في تراث هذه الأمة التي فتن بها العالم أجمع قديما وحديثا، وما زال تأثيرها يثير الانبهار والإعجاب والجذب وهذا ما نسعى إلى تحقيقه مستقبلا بعون الله وقدرته.

علم اللّغة التطبيقي
ومناهج
تدريس اللغات

الأستاذ / محمد بكار

يعتبر علم اللّغة التطبيقي **La linguistique appliquée** مجالا مستقلا من مجالات البحث، نقطة انطلاقه الوعي بالمشاكل التطبيقية في ميدان تدريس اللغات، وتحليل هذه المشاكل، ثم العمل على إيجاد الحلول التربوية الملائمة لها. ويستمد معارفه اللسانية وطرق البحث فيه ومناهجه من علم اللّغة العام، قصد تحديد الحلول الممكنة.

ورغم تعدد مجالات البحث فيه، فعلم اللّغة التطبيقي علم حديث، وهو بالإضافة إلى ذلك يحاول أن يجيب عن السؤالين التاليين المتعلقين بتعليم اللغات:

1- ماذا نعلم؟ - كيف نعلم؟

ومن أهمّ خصائص ومبادئ علم اللّغة التطبيقي ما يلي:

* البراجماتية (النفعية): حيث يعمل على تلبية الحاجات المتزايدة، المتعلقة بتعليم اللغات، وخصوصا لغات الاختصاص أو ما يسمى باللغات الوظيفية المتخصصة كالعاملات التجارية، البنوك والمصارف المالية، الطب، الصحافة التكنولوجية المتقدمة.

** الانتقائية: بما أن علم اللّغة التطبيقي يهتم أساسا بتعليم اللغات، فإن التدريس يعني الاختيار والانتقاء، إذا فعلم اللّغة التطبيقي يقوم بعمليات اختيار وظيفية، على ضوء معايير النجاعة والاقتصادية والمردودية.

*** الفعالية : أهم مباحث علم اللّغة التطبيقي والأكثر نشاطا هي تلك التي تنصب على إيجاد الوسائل التربوية الأكثر فعالية في تعلم لغات المنشأ واللغات الأجنبية. وذلك بانتقاء المضامين الوظيفية اللائمة، والتراكيب الأكثر تكرارا في الاستعمالات التواصلية ووضع المناهج المتكاملة، واختيار المناهج والطرائق الأكثر فعالية والملائمة للتدريس.

**** دراسة التداخلات اللغوية: ذلك لأن مناهج علم اللّغة التطبيقي الحديثة، لا تغفل عن تأثيرات لغة المنشأ في تعلم اللّغة الثانية أو اللغات الأجنبية، ولذا كانت الدراسات اللغوية المقارنة من أنشط المباحث في هذا العلم، وخصوصا في المجالين الصوتي والمعجمي ودراسة الأنظمة الصرفية والتركيبية وتبايناتها، وهذا يؤدي بصفة حتمية إلى دراسة وتحليل الأغلاط اللغوية التي تساعد على تحديد تمارين وتداريب تقويمية أو وقائية علاجية؛ تكيف حسب خصوصيات المجموعة المقصودة بالتعلّم[1].

فميدان علم اللّغة التطبيقي الأساسي هو تعليم اللغات، وهو ميدان واسع أنجزت فيه عدة بحوث تتميز عما أنجز في مجال علم اللّغة العام بطابعها الوظيفي والتطبيقي. فعمل علم اللّغة التطبيقي يتمثل في تزويد مدرس اللّغة بالوسائل الناجعة والمناهج والتقنيات المناسبة لتعليم تلاميذه التكلم والقراءة والكتابة بلغة ما، وترسيخها لديهم حتى يتقنوها إتقانا تاما وتزويده كذلك بالتقنيات الملائمة قصد تسهيل رصد الصعوبات والاختلالات اللغوية التي تعوق تعلم التلميذ للغة الهدف، وتحول دون نموه وتطوره.

أ- علم اللّغة استي والمنهجان الوصفي والتعاقبي: تجدر الإشارة إلى أنّ علم اللّغة التطبيقي قد استفاد كثيرا من النهج الوصفي Synchronic الذي يعمد إلى وصف اللّغة ودارستها خلال حقبة محدودة من تاريخ تطورها، ولا يلجأ عالم اللّغة التطبيقي إلى المنهج التعاقبي Diachronic إلا نادرا. وينصب الاهتمام على ربط المضامين والأفكار والمعجم والأسلوب بتطور اللّغة عبر مراحل تاريخية معينة.

وقد استفاد علم اللّغة التطبيقي من البنيوية بصفة عامة؛ حيث يتم وصف اللّغة كنظام متداخل ومتكامل على اعتبارها مجموعة مركبة من عناصر، تحدد في إطارها المكونات والعلاقات التركيبية. وهذه العناصر والمكونات في تسلسلها وتكاملها تجعل الأنظمة تتداخل والوظائف تتضام

---

[1]- المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلّم اللغة العربية وثقافتها، بتصرف، ص: 34

وتتسق، وهي تتكون من مبادئ وصيغ لها معان صرفية على مستوى الكلمة، ومعان نحوية أو وظيفية على مستوى الجملة، ثم معان دلالية على مستوى المعجم تفهم من خلال الكلام وسياقه ومقامه. ذلك أنّ توليد الكلام في بناء منطقي متسق، يلعب دورا أساسي في عمليتي الفهم والتفاهم، والإرسال والاستقبال، والترميز، وفك الرموز[2]. والواقع أنّ المنهج الوصفي كان دافعا أساسيا لنشوء الاتجاهات الحديثة للسانيات الوصفية، كان له دور فعال في ظهور علم اللّغة التطبيقي وتطوره. ومن أهم مميزات الدراسات الوصفية الاعتماد على الملاحظة؛ ملاحظة الظواهر اللغوية في مرحلة من مراحل تطورها، يفترض أن تكون فيها اللّغة ثابتة، لأن التطور لا يلحق اللغات إلا ببطء شديد. ومن خلال نتائج الملاحظات يمكن وصف خصوصيات نسق اللّغة الملحوظة ومميزاته، مع إعطاء أهمية كبيرة لوصف اللّغة المنطوقة. لأنها أشمل من اللّغة المكتوبة، وأنّها تشخيص حي للغة؛ ذلك لأن عملية فحص اللّغة المنطوقة هي التي تسمح بتحديد مختلف رموزها، حيث تكون مؤتلفة نسقا بنيويا لكل اللّغة، يميّزها عن باقي اللغات.

فالبنيوية نظرية لسانية قد أفادت كثيرا؛ التربية والتعليم بصفة عامة، وتعلم اللغات بصفة خاصة، وكمثال على ذلك تمارين البنيوية التي لعبت دور؛ كبيرا في استثمار القواعد اللغوية، وهذا رغم ما وجه إلى هذه التمارين من انتقادات.

---

[2]- نفسه، ص 36

ب- علاقة الدراسات اللسانية بالبحوث التربوية: إنّ أغلب مدرسي اللّغة العربية ولا سيما في أطوار التعليم الأساسي عندنا، لا يتوفرون على ثقافة لسانية كافية نظر للتجاهل الذي يقفه أغلبهم تجاه الدراسات اللسانية انطلاقا من أنّ هذه الدراسات لن تفيدهم في أعمالهم. وفي المقابل نجد أن أغلب المنظرين اللسانيين لا يعيرون اهتماما للجوانب التطبيقية والتعليمية في نظرياتهم وأهداف بحوثهم.

إنّ ما حققته الدراسات العربية القديمة في علوم اللّغة من نتائج علمية وتعليمية باهرة وما حققته أيضا بحوث علم اللّغة التطبيقي من نتائج علمية، وما أسدته لمدرسي اللغات من خدمات جليلة، أمر لا يستهان به. والأكثر من هذا نجد بأن النتائج التي توصل إليها **Chomsky** تشومسكي نفسه في دراساته اللسانية الحديثة قد أفادت ميدان تعليم اللغات وتعلمها إفادة كبيرة، وتتجلى هذه الإفادات في مقومات نظريته التحويلية التوليدية مثل: البنية الباطنية **Underlying structure** البنية السطحية **Superficial structure** القدرة **Capacity**، و١الأداء **Performance** وكذلك الشأن بالنسبة لعملية التشجير.

وفيما يخص الباطنية والسطحية يمكن استثمارهما في دراسة القواعد اللغوية عند انتقاء عدد من الجمل، والعمل على تشريح علاقاتها التركيبية، والأنظمة الصرفية والنحوية والصوتية والدلالية التي تنبني عليها، ثم تحويل البنية الباطنية وتوليدها إلى عدد من البنيات السطحية. وفيها يتعلق بعملية التشجير يمكن أن تفيد في توضيح ضمائم الأفعال وضمائم الأسماء والصفات[3]، ثم الأدوات والضمائر والظروف... ويمكن أن تفيد عملية التشجير في إبراز مواقع مباني التقسيم العربية، وتوضيح رتبة ووظيفة كل منها، كما يمكن أن تستثمر في تشخيص العلاقات الوظيفية التي تربط بين مكونات الجملة.

[3]- نفسه، ص: 38

إلا أنّ المدرسين الذين يرغبون في الاستفادة من النظريات بطريقة مباشرة يتساءلون عن النظرية الأكثر مرونة وطواعية من غيرها في ميدان التدريس وأكثرها فائدة وقابلية ونجاعة واقتصادية في الميدان العملي الإجرائي. مع العلم أنّ هذه النظريات كثيرة ومتنوعة وتصل أحياناً إلى حد التناقض فيما بينها، الشيء الذي يجعل علماء اللّغة التطبيقيين ومدرسي اللّغة في حيرة، أية نظرية يتبعون وأيّ منهج يسلكون؟ يؤكد **Denis Gerard** دونيس جيرار[4]. على ثلاث أفكار أساسية، ونرى أنها تسمح بحل عدة مشاكل تعليمية في إطار المجال التطبيقي وهي:

1- يجب أن يفقه كل مدرس اللّغة، ويعلم بأنّه يعمل على تدريس اللّغة وظيفية استعمالها استعمالا صحيحا، ولا يعمل في ميدان اللسانيات؛ بحيث يجب أن يحفزه تعدد النظريات اللسانية على تطبيقها وتجريبها في التدريس حتى يكون هذا الأخير هو المحك المعياري والمنطلق وليس النظرية اللغوية في حد ذاتها.

2- لا يكون المدرس ملزما باتباع نظرية معينة، والالتزام بأسسها ومبادئها، عكس اللساني المنظر الذي يجد نفسه مضطر إلى الاختيار. كما يمكن لدرس اللّغة أن يعتمد فى عملية الانتقاء في عمله، وذلك بانتقاء كل ما يراه مفيدا في عملية التدريس بغض النظر عن الاختلافات النظرية؛ حيث يعتبر التنوع من العوامل الأساسية في كل عمل **تربوي.**

3- يتعامل المدرس مع عقول بشرية ، وطبيعة مهمته الأساسية سيكولوجية أكثر مما **هي** لسانية، فعليه ألا يطلب من اللسانيات إلا ما يمكنه أن تمنحه إياه، مع العلم أنّ هذه الأخيرة لا يمكن أن تمده إلا

4- **Linguistique appliquée Ed Armand Collin . Paris 1972 , P 23**

بتوجيهات متواضعة، في حين سيكولوجية التعلّم يمكن أن تقيده أكثر، وخصوصا فيما يتعلق بتسهيل النمو الطبيعي للتعلم [5].

ولذلك فإن علم اللّغة التطبيقي، سيتحول في مرحلة ثانية من تطوره، إلى ما يسمى بمناهج تعليم اللغات أو ديداكتيكا اللغات؛ حيث سيتم العمل على المزاوجة بين المعطيات اللسانية ومعطيات سيكولوجية التعلّم، والطرائق الخاصة في التدريس. نظرا لاقتناع الباحثين في مجال التربية والتعليم بأن ميدانهم يتطلب الاستعادة من مشارب مختلفة وليس فقط الاقتصار على الدراسات اللسانية الصرفي. وعليه يجب عليهم الاستعانة باللسانيات، واللسانيات التطبيقية مثل السيكولسانية والسوسيولسانية وعلم ديداكتيكا اللغات والثقافات وسيكولوجية التعلّم.

ديداكتيكا اللغات: يمكن تلخيص مباحث ديداكتيكا اللغات فيما يلي.

1- الدراسات اللسانية : على أساس أن تنتقى منها النتائج المفيدة في الميدان التعليمي وخصوصا منها الدراسات التي أنجزت حول نسق اللّغة الهدف، وحول التداخلات اللغوية المتفاعلة معها، والمؤثرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في بنيتها.

2-انتقاء المناهج: ويتجلى ذلك في اختيار الأدوات والتقنيات الديداكتيكية وتسخيرها قصد تنمية التعلّم وحل مشاكله والتغلّب على صعوباته وعوائقه. ينبغي أن نؤكد هنا على مسألة هامة يجب أن ينتبه إليها الباحثون والمدرسون والممارسون على السواء، وهي عدم الاعتماد على منهجية أو استراتيجية أو طريقة واحده في التدريس أو الميل إلى تقييم وجبات أو وصفات جاهزة، تصلح لكل مستوى ولكل موقف من مواقف التعليم والتعلّم. ذلك لأن العملية التعليمية عملية جد معقدة تتطلب تكوينا متعدد الجوانب والتخصصات، يستوعبها المدرس من أجل استثمارها حسب الظروف والملابسات التي يقوم فيها بمهمته، بردود

---

[5]- نفسه، ص: 24

فعل آلية تختار الأدوات التربوية والسيكولوجية واللسانية الملائمة في الظرف المناسب.

3— سبكولوجية التعلّم: لقد تبين للمتخصصين في ميدان التربية والتعليم بأن استعمال المناهج والتقنيات الحديثة حتى تلك التي تنبني على أسس لسانية متينة، لا يحقق في جميع الحالات الأهداف المتوقعة، كما لوحظ بأن إهمال أهم عنصر في العملية التعليمية، الذي هو التلميذ يؤدي إلى نتائج غير مرضية، في أغلب الأحوال لأن التفاعل في مواقف التعليم والتعلّم يجب أن يحدث بين المتعلّم والمدرس والمادة المدروسة باعتبار التعليم نواة هذا التفاعل.

وعليه تم إنجاز دراسات توصلت إلى نتائج تربوية وسيكوتربوية وسوسيوتربوية ذات أهمية خاصة في الميادين السيكولسانية. حيث تصدت لبعض قضايا تعليم وتعلّم لغات المنشأ واللّغات الأجنبية. وأسدت بذلك خدمات جليلة للمدرسين، بتسليطها الضوء على مراحل النمو النفسي والعقلي للتلميذ وتقدم نمو استعداداته الاستيعابية، وكذلك بدراستها لقضايا الإدراك والذاكرة، والقدرة التجريدية والتعميمية والإبداعية لدى المتعلم. كما أفادت المدرس في معرفة الدوافع والحوافز، تنمية الاهتمامات والميول ودور التدعيم والأنشطة السيكوحركية في نمو المتعلم وتقدمه[6]، هذا بالإضافة إلى دراسة قضايا أخرى كالحالات المرضية والمعيقات النفسية، ودور المسن في تعلم اللّغة، ونمو القدرة التأملية والإبداعية.

كما لا يخفى على كل مهتم وممارس الدور الحاسم الذي تلعبه الدوافع والبواعث في التعلّم، وهو مجال خصب للدراسات السيكوتربوية والسيكولسانية، يهدف إلى حل مشاكل أساسية في اكتساب الملكات اللغوية. وهذا ما يجعل الحاجات اللسانية للتلميذ ومدى تقدمه في تلبية هذه الحاجات مرتبطة ارتباطا وظيفيا بالحاجات النفسية التي تؤلف مجتمعه تركيبة خاصة من الدوافع والبواعث.

---

[6]- المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلّم اللّغة العربية وثقافتها ص: 41

ومن جهة أخرى، يظهر بأن اعتماد منهجية من مناهج دراسة الأغلاط اللغوية (تصنيفها وتحليلها وربطه بالواقع اللساني الاجتماعي النفسي للمتعلم والعمل على تشخيص الصعوبات والآفات الخاصة والعامة) يعتبر من المنطلقات الأساسية التي **تسهل** الاهتداء إلى تحديد دقيق للأهداف اللغوية، تحديدا إجرائيا دقيقا، وتساعد على انتقاء مناسب للإجراءات المنهجية والاستراتيجية، وللتقنيات والأدوات والوسائل الإنجازية والتقويمية قصد تحقيق أمثل للأهداف المتوخاة والمنشودة.

ت- علم اللّغة التطبيقي ومناهج التدريس: إن أهم المبادئ التي ينطلق منها علم اللّغة التطبيقي في ميدان تعليم اللغات تعتمد أساسا على نتائج البحوث اللسانية المعاصرة؛ حيث أصبح الاهتمام منصبا على البحث في اللّغة المنطوقة، الشيء الذي أثبت على وجود اختلاف كبير بين نسقي اللّغة المنطوقة والمكتوبة. ومن هنا وجب الإلحاح على الانطلاق في التعليم والتعلّم من الجانب الشفهي للغة، وبذلك نكون قد اتّبعنا النظام الطبيعي والتكويني والتعاقبي للغات نفسها؛ لأن اللغات تكون منطوقة قبل أن تصبح لغة مكتوبة.

ومن المبادئ الأساسية أيضا نذكر الوظيفة التي تلعبها اللّغة كوسيلة للتواصل بين أفراد مجموعة بشرية معينة، ولا يمكن لأي مدرس للغة أن يحقق نموا وتقدما في مهارات التلاميذ اللغوية إلا إذا اعتمد التواصل كحاجة غريزية لدى التلاميذ واستثمره كحافز من الحوافز السيكوتربوية، أو بعبارة أدق السيكولسانية. بالإضافة إلى التأكيد على أنّ ممارسة الفرد واستعماله للغة ما يمس سلوكه ويبلوره من حيث المظاهر الفيزيولوجية والتصرفات التي يمكن ملاحظتها، نلاحظ الاهتمام ينصب أيضا على الجهازين السمعي والنطقي، وعملية الفهم والإدراك ومكوناتها ووظائفها في اكتساب وتعلم اللّغة. وقد نتج عن هذا الاهتمام تأسيس مبادئ الطريقة السمعية النطقية.

ونجد بأن مبدأ الفصل بين الأنظمة اللغوية من النتائج التي توصلت إليها البحوث اللسانية المعاصرة في الغرب، وقد سبقتها إلى ذلك البحوث العربية القديمة، فأفادت بذلك مدرس اللّغة العربية بعدم الخلط بين الأنظمة لتسهيل عملية التعلّم، وتجنّب الصعوبات الناتجة عن تداخلها أو إغفال بعضها. إلا أنّ تطبيق مثل هذه العطيات اللسانية الصرفية وغيرها يطرح عدة صعوبات، من أبرزها عملية انتقاء هذه النتائج واختيار أنسبها لحلّ المشاكل التعليمية المطروحة في بيئة معينة، لها شروطها وظروفها الخاصة، وعلى مجموعة متميزة من التلاميذ بمستواها التعليمي الخاص ودرجة قابليتها واهتمامها باللّغة الهدف، ونوعية الأهداف والمهارات اللغوية التي يسعى المدرس إلى تحقيقها وترسيخها وتنميتها.

ويعتبر الاهتمام بالبحوث اللسانية الخاصة باللّغة المستهدفة بالتعليم أكثر فائدة في هذا المجال من البحوث البنيوية والتوليدية التحويلية العامة التي تنطبق على كل اللغات وعليه يحاول علم اللّغة التطبيقي في تدريس اللغات الإجابة عن السؤال: ماذا ندرّس؟ أما السؤال: كيف ندرس؟ فتكمن الإجابة عنه في مناهج تعليم اللغات، وحينئذ يحاول علم اللّغة التطبيقي الربط بين الدراسات اللسانية التي تهتم بالنشاط اللغوي وآلياته، في الوقت الذي تهتم المناهج التعليمية بتشخيص هذا النشاط وإذكائه.

وقبل محاولة الإجابة عن هذين السؤالين المتعلقين بمادة التدريس ومسائله وتقنياته يجب التعرف على الشروط البيئية الخاصة التي يتم فيها التدريس، وكذلك على ظروف التلميذ الخاصة وبمؤهلاته الذاتية.

1 * أشهر مناهج التدريس في علم اللّغة التطبيقي: لقد مرت مناهج تعليم اللغات بمراحل متعددة، ابتدأت بالطرائق التقليدية كطريقة النحو والترجمة، والطريقة المباشرة ثم الطريقة السمعية النطقية، واستنبطت بعد ذلك تباعا طرق ومناهج تعتمد على ما استحدث من اكتشافات تكنولوجية والكترونية. وهكذا تأسست طريقة تعليم اللغات بالوسائل السمعية البصرية، ابتداء باستثمار آلة التسجيل الصوتي ومخبر اللغات

القديم وعرض الصور الشفافة، والورق الشفاف بواسطة عارض الصور والمشط العاكس و**gluigua Sova** في تصحيح النطق، آلة الفيديو وما فتحه من مجالات واسعة في استنباط طرق جديدة لتعليم اللغات، ثم انتهاء بالاستثمارات التي أتاحها الحاسوب في الدرس اللغوي أخيرا.

فعلم اللّغة التطبيقي يميز في مباحثه بين نوعين مختلفين من المناهج والطرائق التي يقترحها في- تعليم اللغات:

— مناهج تعليم اللغات الأصلية.

— مناهج وطرائق تعليم اللغات الأجنبية الأولى والثانية إلخ... التي لم ينشأ عليها الطفل في بيئته التعليمية الأولى.

وإذا ألقينا نظرة تاريخية خاطفة على علم اللّغة التطبيقي نجده قد ابتكر تباعا عدة مناهج وطرائق لتعليم اللغات، سنتطرق إلى بعضها بشيء من الإيجاز:

- طريقة النحو والترجمة: وتنتمي هذه الطريقة إلى ما يسمى بالطرائق التقليدية وتعتمد على الوثائق المكتوبة كمنطلق لتعليم اللغات. وعليه كان التركيز منصبا على الكتابة والقراءة، مع استعمال المنهج التاريخي في البحث المعجمي والنحوي، نظرا لأهمية التحليل التاريخي بالنسبة لتعليم اللغات القديمة. أما فقه اللّغة فكان دوره ينحصر في الفهم الجيد للنصوص القديمة، وتوضيح معاني ودلالات الفقرات التي تتضمنها النصوص، كما كان يولي أهمية كبرى لصورة الكتابة مع الاعتماد على مقارنة لغة قديمة بلغة حديثة. وكانت الترجمة وسيلة الدرسين في تقريب لغة أجنبية إلى أذهان المتعلمين. هذا بالإضافة إلى تلقينهم القواعد النحوية من أجل حفظها عن ظهر قلب.

هذه الطريقة تشبه كثيرا، في معظم جوانبها، الطريقة التي كان يستعملها شيوخ وفقهاء الكتاتيب والجامعات الإسلامية كالأزهر والزيتونة والقرويين، خصوصا فيما يتعلق بالكتابة والقواعد النحوية

والحفظ عن ظهر قلب، وكذلك الاهتمام بالشروح والهوامش والتعقيبات التي كانت تنجز بطريقة إلقائية. ويمكن الاستفادة من بعض جوانب هذه الطريقة في تحليل النصوص المنتقاة من التراث العربي وذلك باعتماد المنهج التاريخي عند تحديد ظروف النص وشروط إنتاجه، وأثناء دراسات معطياته المعجمية والدلالية أو بصفة أخص عند شرح المفردات المهجورة اعتمادا على الفصحى المعاصرة.

أما مسألة الترجمة، فخضعت لنقاشات حادة بين الباحثين والمربين، فمنهم من يرى أنها ضرورية في أقسام تدريس اللغات الأجنبية لتحقيق الفهم، خاصة في المستويات الأولى. ومنهم من يرى أنّ الترجمة تعوق تعلم التلميذ وتعرقل تقدمه في اكتساب اللّغة الهدف، وذلك انطلاقا من الفرضية اللسانية القائلة بأن لكل لغة نظاما خاصا يختلف من أنساق باقي اللغات الأخرى. واللجوء إلى الترجمة يجعلنا نقحم نظاما لغويا خاصا في نظام مخالف قد يحدث صعوبات لدى المتعلم ويضاعف من الآفات والشوائب الناتجة عن التداخلات اللغوية.

وتتمثل مكونات هذه العملية التعليمية في هذه الطريقة التي تهدف إلى إكساب المتعلم معرفة قواعد النحو، لذلك تتميز المادة التعليمية بالتدرج في عرض القواعد. أما طريقة التدريس فإنّها غالبا ما تكون عبارة عن خطوات من الأمثلة إلى القاعدة أو العكس. ويقتصر نشاط التعلّم على حفظ القواعد وتطبيقها[7].

---

[7]- معجم علوم التربية مطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، مجموعة من المؤلفين ط1. الرباط: 1994 دار الخطابي للطباعة والنشر، ص 202.

وتتمثل مآخذ هذه الطريقة[8] في :

* إهمال الاستعمال الشفهي للغة.

** تهميش المعطيات السيكولوجية للمتعلم.

ــ الطريقة المباشرة: لقد تأسست هذه الطريقة كرد فعل ضد طريقة النحو والترجمة؛ التي كانت سائدة في ميدان تعليم اللغات. وقد انتشرت الطريقة المباشرة في أوربا في وقت قصير، ثم انتقلت إلى أمريكا. وهي طريقة لاقت إقبالا كبيرا -آنذاكــ وانتشرت في جميع الأنحاء على نطلق واسع. وأساس هذه الطريقة هو أن التعليم السليم لا يكتمل إلا بالاتصال مباشرة مع اللّغة الهدف وهي مشخصة في مواقف مادية محسوسة، لأنه لا يكفي الاتصال مباشرة باللّغة كي يتم تعلمها بل يجب أن توضع في تخطيط محكم تتضح فيه الأهداف والوسائل، وتنتظم في مقررات متدرجة تخصص لمستويات تصاعدية مختلفة.

ومن مبادئ هذه الطريقة أنه يمنع منعا باتا استعمال الدارجة أو أية لهجة أخرى أثناء تعليم الفصحى، وبذلك قضي على دور الترجمة نهائيا، فاعتمدت في ذلك على أقسام خاصة. ويعمد المدرس إلى الجمع بين الوسائل السمعية البصرية والحركات الميمية واستعمال الرسوم والصور، وكل الوسائل التوضيحية لتحقيق هدف الفهم، وشرح الكلمات وتفسير العبارات انطلاقا من الفرضية اللسانية القائلة بأن الترجمة تعطل نمو تعلم اللّغة الهدف وتخلق صعوبات واختلالات يصعب علاجها. ويلاحظ أن هذه الطريقة كانت رائدة في استعمال الوسائل السمعية البصرية كبديل لعملية الترجمة.

أما بالنسبة لقواعد النحو، فقد عمدت الطريقة المباشرة إلى تعويض حفظها عن ظهر قلب، بالاتصال مباشرة باللّغة، والتدرب على استعمالها استعمالا سليما بالنطق والممارسة وتنشيط عملية التواصل.

---

[8]- نفسه، ص 203

– الطريقة السمعية النطقية: تأسست هذه الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية في إطار الاستراتيجية العسكرية الأمريكية تلبية لحاجات الجيش الأمريكي الذي يرسل إلى أوربا وآسيا. ومان الهدف منها تكوينا لغويا سريعا في تأدية اللغات الأجنبية، اعتمادا على الطريقة السمعية النطقية، وقد عمل Bloomfield بلومفيلد على إنجاز هذا المشروع، وشارك في المشروع العلمي اللغوي حول تعميم اللغات الأجنبية بمؤلف (مشروع دليل في الدراسة التطبيقية للغات الأجنبية).

وتتلخص مبادئ وأسس الطريقة السمعية النطقية فيما يلي:

- اللغة أولا وقبل كل شيء هي تكلم وتعوّد على النطق

** السمع قبل الكلام، والكلام قبل القراءة قبل الكتابة

*** اللغة هي ما يتكلم به الناطق الأصلي

واعتمادا على هذه المبادئ والأسس تستعمل البنيات المستخرجة من الاستعمال اللغوي نفسه لاستقراء واستنباط القواعد، بدل عرض الضوابط النحوية الجاهزة بطريقة تلقينية إلقائية، تليها تمارين قد لا تفيد في شيء

**** اللغات يختلف بعضها عن بعض فلكل لغة نظام مستقل يختلف عن غيره ولهذا تستبعد الترجمة.

***** اللّغة عبارة عن عادات يكتسبها الطفل أو المتعلم عن طريق التعود والممارسة والتمرين، ويحصل التعود اعتمادا على المقولة السلوكية المتجلية في العناصر التالية:

المثير (الحافز)، الاستجابة (رد الفعل)، التعزيز(التدعيم)، وتظهر هذه العناصر لدى التلاميذ أثناء حدوث الفعل التعليمي على شكل سلوكيات نفسية وفطرية

فالطريقة السمعية النطقية كانت وليدة المدرسة السلوكية التي ظهرت في البداية على شكل المذهب النفسي، ثن ابثق عنه اتجاه لغوي أمريكي، يمكن أن نستشفه من كتابات بلموفليد المتأثر بمذهب واطسن، واضع أسس المذهب السلوكي انطلاقا من عدة تجارب واختبارات قام في مجال السلوكيات الحيوانية وفي ميدان سيكولوجيا الأطفال. وقد وضخ بلموفليد اتجاهه اللغوي متأثرا بالبنيوية والسلوكية في آن واحد، حيث قام بتحليل عملية التواصل انطلاقا من التعاقب الزمني للأحداث وهي:

*مرحلة الأحداث السابقة للكلام، وهي ما يسميه السلوكيين بالحافز/ وقد يكون مثيرا ماديا أو معنويا، وقد يكون ذاتيا أو موضوعيا

** عملية الكلام المشخص في مواقف خاصة، يرى السلوكيون، بأنها استجابات خاصة للحوافز الدافعة للفرد كي ينشئ الكلام

*** أحداث تلي عملية الكلام، تتجلى في استجابة المخاطب، أو في رد فعله المناسب للموقف فتكون اللغة على هذا الأساس سلسلة من الاستجابات لحوافز.

وقد أضاف Skinner سكينر إلى هذا بأن اللغة مجموعة منسجمة من العادات السلوكية يكتسبها الفرد نتيجة التقليد والاستجابة للحوافز.

وجه تشومسكي انتقادات لهذه الطريقة من خلال انتقادات المدرسة السلوكية، ومن خلال انتقاد المنهجية التجريبية التي تعتمدها السلوكية والتي تعتبرها حجر الأساس بالنسبة لنظرية اكتساب اللغة عند السلوكيين، فانطلق من الفلسفة العقلانية التي تربط قضية اللّغة

بالثقافة الإنسانية أو ما يسمى بنظرية المعرفة الإبداعية[9]. والتي ترى أنّ اللّغة خاصة إنسانية؛ لأن الإنسان يتوفر على إمكانات فطرية تساعده على اكتساب اللّغة واستعمالها **ومن** هنا يرفض المقولة التي تعتبر اللّغة مجموعة عادات يكتسبها الانسان انطلاقا من المفهوم السلوكي للاكتساب، إذ يتساوى فيه الانسان بالحيوان.

- طريقة التعليم بالوسائل السمعية البصرية: هي طريقة تعليم اللغات تطورت بفضل إدخال الأجهزة السمعية البصرية والمختبرات اللغوية والتكنولوجية إلى ميدان التربية. وأهدافها اكتساب مهارات التعبير الشفهي وإغناء الرصيد المعجمي عن طريق الاستعمال اللغوي، أما مقوماتها المنهجية فهي:

* تجزئة المتن اللغوي معجما وتركيبا، والانطلاق من الجملة كوحدة أساسية في اكتساب اللّغة.

** الاعتماد على التمارين اللغوية (الصرف والنحو) والمنهج الاستقرائي من الأمثلة إلى القاعدة.

*** التدريب على مهارات النطق وعلى الجانب الصوتي.

**** ملاحظة الظواهر اللغوية ومحاكاتها معجما وتركيبا

***** استعمال الأجهزة والوسائل المساعدة.

****** التركيز في التقويم على التطبيق وإنتاج الجمل[10] .

9- **Chomsky , Theorie de langage , theorie de !'apprentissage Ed : Seui'1. Paris 1979 p-5**

10- معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ص 188.

ويجمع جلّ الباحثين في ميدان التربية والتعليم على أنّ الوسائل السمعية البصرية لها فوائد كثيره في نمو التعلم وتحقيق أهداف التعليم، وكذا في حلّ عدد من الصعوبات التعليمية، خصوصا في التعليم الابتدائي؛ حيث يتم التركيز على مهارة التمييز السمعي ونطق مخارج الحروف قصد تدريب المتعلم على تمييز القيم الخلافية لمخارج الحروف والتعود على نطقها نطقا سليما، وكذا الاهتمام بالتمارين البنيوية مع محاولة إخضاع البنيات اللغوية للشروط المقامية اعتمادا على الصورة والصوت، وهكذا نجد بأنّ الوسائل

السمعية تسمح باستثمار العناصر اللغوية التي اكتسبها التلميذ واستعمالها استعمالا مقاميا مناسبا• في خطابه الشخصي، كي يتحرر لسانه شيئا فشيئا من الاستعمالات المحصورة، لينتقل إلى مستوى التعبير العفوي السليقي؛ الغني بالوحدات المعجمية، المتنوع الدلالات والإحالات، ومن شأن هذا النمو في مهارة التكلم أن يؤدي إلى تطوير مهارة التعبير الكتابي، وتعتمد الصورة والصوت لإثارة وتنشيط هذه المهارة اللغوية.

وفي المراحل المتقدمة من تعليم اللّغة يشرع في التقليل من الصور العادية واختيار وسائل بصربه أكثر غنى؛ الغرض منها تركيز الحمولة الدلالية المطابقة للموقف التعليمي المحدد سابقا، والتي تعكس جانب من ثقافة اللّغة المدرسة، وهكذا يشرع المدرس في إدماج نماذج ثقافية، مع اعتماد تسجيلات أكثر تنوعا، تمزج بين النصوص الحديثة والنصوص التراثية، تساعد التلميذ على استظهار تراكيب لغوية جديدة انطلاقا من نصوص منتقاة لهذا الغرض.

ويرى الدكتور تمام حسان أنّ الأشرطة المرئية والمسموعة هي أنسب الوسائل لواقع تدريس اللّغة، ذلك لأنّ هذه الأشرطة التي **تحتوي** على حوار بالفصحى من شأنها أن تخرج اللّغة العربية من المكتبات

والأقسام إلى الحياة الفصيحة النابضة ، لأن العين أبلغ من الأذن في التعليم[11].

- المنهجية البنيوية الكلية السعية البصرية **- Méthodologie Globale Audio-Visuell Structural**: نشأت هذه المنهجية انطلاقا من بحوث لسانية ولغوية تطبيقية متعددة، تعتمد أساسا على الفرضية القائلة بأن الإنسان لا يدرك البنيات اللغوية مجزأة، وإنما **يدركها** بصفة كلية. وقد كانت نشأة البنيوية الكلية والسمعية البصرية بإنجلترا، ثم تطورت بظهور بحوث حول الفرنسية الأساسية والهدف منها تحديد الوحدات اللغوية الفرنسية الأكثر تداولا وترددا وتكرارا في الاستعمالات التواصلية الوظيفية، وذلك اعتمادا على بحوث ميدانية خاصة بلغة التداول اليومي، ثم إحصاء تكرار كل وحدة معجمية ونسبتها المئوية، والعمل على ترتيبها بواسطة الآلي انطلاقا من هذه النسب[12] .

وقد اتسع نطاق تداول هذه المنهجية خصوصا عندما تبنت نتائج بحوث كوبرينا ونظرية حول التجربة الصوتية التي تمحضت عنها المنهجية اللفظية الإيقاعية في تصحيح النطق أخيرا. ومن المبادئ العامة لهذه المنهجية تدريب الجهاز السمعي للمتعلم على إدراك القيم الخلافية للأصوات، ثم تدريب جهازه النطقي على إخراجها بطريقة بنوية كلية أولا، قبل الرجوع إلى الثغرات الملحوظة والعمل على تصحيحها اعتمادا على المنهجية اللفظية الإيقاعية في تصحيح النطق. فالنهجية لم

---

[11]- من المحاضرة التى ألقاها الدكتور في ندوة نظمت بالمدرسة العليا للأساتذة. الرباط: 1977.

[12]- لقد سبق الباحثون الإنجليز الفرنسيين في مثل هذه البحوث اللسانية الوظيفية **.The basic English**

تتجاهل التعبير الكتابي ولكن وعيا بالصعوبات التي تطرحها الكتابة في أية لغة على المتعلم المبتدئ، يجب التمهل في الشروع في التعامل مع النصوص المكتوبة وتدريب المتعلمين على التعبير الكتابي إلى أن يتمكنوا من التعبير الشفهي أولا، ويتقدموا في اكتساب مهارات اعتبرها واضعوا هذه المنهجية من أولويات تعلّم اللّغة، ولا سيما إذا تعلق الأمر بتدريس اللّغة العربية. وتعطي هذه المنهجية الأسبقية للتعبير الشفهي، أمّا الكتابي فيأتي في مرحلة متأخرة يتم خلالها التركيز على تنشيط التلقائية والإبداعية لدى التلميذ، باللجوء إلى خلق وضعيات ومواقف حقيقية أو شبه حقيقية، كإرسال برقية أو رسالة أو إلقاء خطبة[13]. وفي المستوى الثاني من التعبير الكتابي، يدرب المتعلمون على تنظيم المعلومات التي يراد كتابتها، ابتداء من الجملة أو الفقرة أو العنصر، وتتنوع التداريب الكتابية وتختلف حسب مراحل التعليم والتعلم ومستوياته؛ وحسب اختلاف المواضيع والمواقف التعليمية الحية، وفي نفس الوقت يجب التركيز على تصحيح هذه التمارين والتداريب حتى تتحقق الأهداف المتوخاة من ورائها.

ونلخص **أهم أسس** ومبادئ المنهجية الكلية البنيوية السمعية البصرية فيما يلي:

1- إعطاء الأسبقية للمهارة الشفهية، لأنها بمثابة القاطرة التي تحرك المناهج الحديثة في تعليم وتعلّم اللغات.
2- التركيز على الأدائية التواصلية وتنميتها لدى التلميذ باللجوء إلى تحفيز النشاط الكلامي واللّغة الوظيفية الأساسية، ولا سيما ما يلبي حاجات المتعلّم المباشرة المرتبطة بالتعبيرات في إطار مواقف التعليم والتعلّم التي تشخص مواقف الحياة العامة.

---

[13]- المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللّغة العربية وثقافتها، ص 57.

3- !لاهتمام بتصحيح الجوانب الصوتية والاخلالات الملاحظة في المتعلم ونطقه لمخارج الحروف، ولا ينبغي أن ينصب اهتمام المدرس على تصحيح مخارج الحروف فقط؛ بل يجب أن يتعداه إلى التدريب على النبر والتنغيم والاسترسال والطلاقة في !لكلام، ومسايرة مختلف المواقف الكلامية من حيث الإيقاع والتبئير

4_ إدماج النظام الإيقاعي الكلامي والتدريب النطقي، ذلك لأن النشاط الكلامي يتطلب التوفر على قدرات لغوية متطورة، واستعمالها بطريقة عفوية ومن هذه القدرات، انتظام القدرة الادراكية عند الاستقبال والقدرة النطقية عند الإرسال وانتظام هاتين القدرتين لايتم إلا بتدريب سمع المتعلم على إدراك الأصوات المستهدفة بالتعلّم لتسهيل عملية نطقها نطقا صحيحا، خصوصا تلك الأصوات المنعدمة في النظام الصوتي للغة المنشأ. فما أحوج مدرس اللغة العربية إلى منهجية الإيقاع المنطقي والتصحيح الصوتي, لتمكين متعلم الفصحى من نظامها الصوتي المتنوع والثري، وإذا لم يتم الاهتمام بمعالجة مشاكل النطق وإدراك الأصوات منذ المرحلة الأولى من التعلم يمكن أن تنعكس هذه انعكاسا. سلبيا على نمو التعليم والتعلّم اقتم، ونحدث خللا عميقا يصعب علاجه فيها بعد ولذلك تعتبر المراحل الأولى من تعلم اللّغة، مراحل حاسمة في بناء أسس المملكة اللغوية.

الخطّ العربي
إشكاليات وحلول

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد
عضو المجلس الأعلى للغة العربية

مقدمة: يرجع أصل الكتابة العربية إلى المصرية القديمة (الهيروغليفية) التي اشتقّ منها الخطّ الفينيقي ومنه اشتّقت عائلات الخطّوط التي ينتمي إليها الخطّ العربي. كما أنّ الحرف العربي يحمل كل الخصائص اللغوية من هجائية وإيمائية وإيحائية، وله من نسيج المنطق والمعقولية والموقعية كل التوافق.

لقد حصلت طفرة هائلة في الكتابة بعد أن دوّن القرآن الكريم، الذي بدأ بتجويد الخطّ وتحسينه، فكان ذلك في المرحلة الأولى التي تمت على يد كتاب الوحي ورسائل الرسول. وأما المرحلة الثانية فكانت على يد أبي الأسود الدؤلي ت 69 هـ الذي وضع نقط الإعجام بعلامات فوق الحرف، وبين الحرف وأسفل الحرف، وأكمل هذا العمل الهام كل من نصر بن عاصم ت 89 هـ ويحيى بن يعمر العدواني ت 90هـ، وتأتي المرحلة الثالثة على يد الخليل بن أحمد ت 70هـ الذي وضع علامات الشكل. ومن خلال هذه المراحل المنجزة التي وقع فيها هذا الرسم بشكل غير اعتباطي، وما كان يكون بهذا الشكل لولا تجسيده لصوره شيخ القبيلة الفصيح، ولذلك الشاعر الذي ينشد قصيدته في عكاظ، وللبدوي الذي كان يروي روايات عن أنساب العرب وخصائص لغتهم، فلقد كان الحرف المخترع الرابط الأقوى الذي يجمعهم والمظهر الأبرز لإنسانيتهم، فأعطوه عناية خاصة وصلت درجة التقديس.

إن الخطّ العربي يرمز إلى الشخصية العربية، فالعربية ملتصقة به، والفرد العربي والإسلامي يحترم المكتوب بالعربية، وكلما يلقى ورقة مكتوبة بهذا الخطّ يحملها ويضعها في شق الجدار، ولا يتجرأ على حرقها أو رميها لتداس. ومن ذلك وجدت الدعوات التي تنادي باتخاذ غيره صدودا وحربا، فكان الأحرى أن تتجه الأبحاث إلى مناقشة قضايا داخل ذات، الخطّ مثل اللبس الذي تحمله بعض الفقرات نتيجة الفهم أولا والقراءة الصحيحة ثانيا، وكل دعوة إصلاحية لا تراعي استبقاء الحرف

العربي كان مصيرها الفشل. وهذا ما دلتنا التجارب والدراسات التي عملت وتعمل في إطار ترقية اللغات[1]؛ واللّغة العربية خاصة، فلا تكون الترقية إلا من ذات حروفها

إنني أشيد بهذا الخطّ الذي هو طابع هذه اللّغة، ومن خلاله أدعو إلى حاضر أصيل لا يذهب بحرمة ماضيه، فلا أدعو إلى تغيير الحرف العربي بقدر ما أبتغي تطويره وتحسينه للاستجابة لطالب العصر لأني أرى أنّ الحرف العربي الأن يعيش مضايقات تقنية عديدة، فكان لابد أن يحصل فيه تطوير آخر على غرار فعل القدماء كما برزت الحاجة ملحة إلى إعادة النظر في إصلاح الكتابة العربية[2] حروفا وإملاء مع تطور الطباعة ودخول عالم المعلوميات. وهذا ما أريد التركيز عليه.

1- الكتابة وتقنية الاتصالات الحديثة: لقد كان للتطور المذهل للاتصال انعكاساته الإيجابية على تقنية نشر المعلومات لأغراض

---

[1]- أستحضر هنا الدعوة التي رفعها اللسانيون الصينيون في الأربعينيات من الألفية الماضية بغية كتابة الصينية بالحرف اللاتيني، وفعلا حصل ان تم ذلك بموافقة الحكومة، فدعي تلاميذ المدارس للتعامل مع هذا الخط الجديد، وخرجت جرائد تكتب بالحرف اللاتيني، ووصل توزيع جريدة من تلك الجرائد إلى أربعين مليون نسخة في اليوم، ولكن بعد ستة أشهر خرج الشعب الصيني متظاهرا يستنكر هذه الظاهرة، ومن ذلك دعوا للعودة إلى توظيف تلك الصور العجيبة المرتبطة بتراثهم، وهي جزء منهم، ولا يرضون عنها بديلا. واجبر الشعب الحكومة على التراجع على القرار المجحف في حق اللغة الصينية حروفها الذي ارتبطوا به مهما خالفوا به العالم، فهو الشخصية الصينية، ولم يمنعوا البحث في ذاته من أجل تحسينه.

[2]- دعوت في كثير من المناسبات العلمية والثقافية للنظر في مسألة الخط العربي التي ما يزال الحديث يدور في اللبس الذي يطرحه الخطّ وكان من الأجدر أن نناقش هذه المسألة القومية في المؤسسات العربية العاملة على ترقية اللغة العربية، ومع ذلك أحاول كلما يستدعي الأمر طرح هذه الإشكالية وتدارسها وتقديم الحلول، ينظر (الخط والخطاطة العربية) في كتابي: محاضرات في قضايا اللغة العربية، الجزائر: 2000 مطبعة دار الهدى، ص: 27-43

الاستفادة من التطور الحاصل، وإنّ شبكات الاتصالات الإلكترونية مظهر من مظاهر التقنية الحديثة في مجال الاتصالات، وهي تمكّن الناس -بغض النظر عن اهتماماتهم- تبادل الآراء والأفكار ووجهات النظر المختلفة في أي موضوع من الموضوعات، وبطرق تختلف عن الطرق المتبعة وهي الطبع على الورق، ولقد حصل الآن انفتاح تكنولوجي متطور على الكتابة العربية وفي المبرقة، حيث إنّ التطور الآلي أعطى الحرف العربي شكله المناسب، بعد معرفة موقعه في الكلمة. كما حظي الحرف العربي بدراسات من قبل الشركات المسوّقة لإنتاج المطاريف، ونالت العربية معالجة علمية خوارزمية. ولكن هذه الاجتهادات لم تكن منسقة بما فيه الكفاية، وأحيانا تنتهي عند الحصول على بعض النتائج الجزئية، كما تفعل شركة العالمية وصخر وباسم وغيرها من الشركات التي لم تستطع حلّ هذا المشكل. وفي كل الأحوال نجد أنفسنا أحيانا نلحن في القراءة مهما بلغنا درجة من العلم بسبب غياب الحركات الضابطة للحروف، فمن ذلك انبرى مشكل الشكل مع التعليم الذي أصبح عائقا في كثير من المواقف التعليمية، ومشكل عدم وجود برمجيات عربية، **إلى** جانب كيفية كتابة الإبراقيات باللّغة العربية. في الوقت الذي "لم تعد هناك مشكلة يمكن أن تفرض على المتكلمين والكاتبين للّغة العربية، بأن يقبلوا أيّ نوع من الكتابة المشوّهة بسبب القصور التكنولوجي، أو أن يرضوا بالخطأ اللغوي لعدم وضع علامات التشكيل على الكلمات. كذلك لم يعد هناك سبب يفرض على هيئات الاتصالات السلكية واللاسلكية بأن تضع اللّغة العربية في زوايا النسيان لعدم صلاحيتها لتعدّد أشكال حروفها، إلى أن تكون واسطة الاتصال

البرقي وبكافة أنواع أشكال الخطّ العربي والقراءة الصحيحة"[3]، وأمام هذا الإنجاز الحضاري ظهرت ضرورة **إصلاح** الكتابة.

2- ضرورة إصلاح الكتابة: لا يجب أن تأخذنا العزة بالإثم فنقول: إن الحرف العربي كامل وراق ومعبر عن ذاتيتنا فلا يجب المساس به، وهذا كبرياء ما بعده كبرياء، فالخطّ اصطلاح وضعه البشر للتعبير عن أغراضهم، فيبقى معرضا للتقص مهما ارتقى. ولذلك يحصل في كل خطوط اللغات أن تقوم إصلاحات لكنها بطيئة ومحافظة. ومن هذا الموقع تفرض علينا الآلية بعضا من المساس أو الزيادة في هذا الشكل العظيم. ولذا أدعو إلى:

1- تبني نظرية حديثة في مجال الشكل.
2- استخدام وسائل تكنولوجية حديثة.
3- تنميط الحرف على غرار حروف اللغات الحيّة.

وهناك حتمية أخرى وهي استعمال الحرف العربي كأداة لتبليغ التكنولوجيا للأسباب التالية:

- عدد الناطقين والكاتبين لهذا الحرف.
- عدد المسلمين المتبنيين لهذا الحرف.
- انتشار الإسلام يكون بهذا الحرف أفضل من غيره[4].
- المضايقات العصرية من عولمة وما يقتضيه العالم من تكتل.
- التراجع الملاحظ في كتابة اللغات بالخطّ العربي.

---

[3]- المهندس صلاح عامر "تطويع التكنولوجيا لاسترداد جمال الكتابة العربية" مجلة مجمع اللّغة العربية، القاهرة: 1986، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء الثامن والثلاثون ص 75.

[4]- ينظر كتابنا: في المسألة الأمازيغية، فصل: مشكلة الخط الجزائر: 1998، مطبعة دار هومة

وهذه الحتميات الراهنة، تفرض علينا إيجاد انتفاضة في هذا الخطّ، أضف إلى هذا الإشكالات الموضوعية التي يعيشها.

3-إشكالات الخطّ العربي: يجب أن بعلم أنه لا يوجد خط مثالي في أية لغة يستجيب لكل المطلوب لكن الذي يهمنا في هذا المجال هو أنّ الحرف العربي يعيش إشكالات؛ فهو لا يخلو من نقائص. ولما أحس مجمع اللّغة العربية بالقاهرة بذلك، رصد جائزه معتبرة لمن يقدم أحسن مشروع لتطوير الخطّ العربي فتقدم إلى دائرة المسابقة أكثر من 250 مشروعا، ولما فحصت لم تجد لجنة التقويم مشروعا يستحق نيل الجائزة؛ كون المشاريع لم تستطع تقديم حل نهائي لإشكالية الخط. وكان ذلك الوقت لم يتقدم العالم في مجال المعلوميات. ولا يعني ذلك أنّ البحث عن تطوير الخط قد توقف، بل يعتبر رصد الجائزة لمن يقدم مشروعا في مجال إصلاح الخط هو الوعي بضرورة الإصلاح. وتمّ بعض الإصلاح على جبهات جزئية على يد المجمعيين اللذين مسوا قضايا تسهيل كتابة الحروف العربية، ومنها ضوابط رسم المهزة وتنظيم كتابتها[5]، وقواعد الشكل في القواعد المدرسية. وأما الآن فإن المعطيات من كلتا الجهتين مختلفة: الضرورة العصرية تفرض على الخط العربي التطور، والضرورة التقنية أفادتنا بآلات تستطيع المساعدة على حل إشكالية الخط. أضف إلى ذلك جملا من الدراسات وإلملتقيات العلمية الداعية إلى إعمال الفكر في مسالة تحديد مواطن إشكال الخط لعربي، وتقديم الحلول النوعية في ذلك والتي حصرها الباحثون المختصون فيها يلي:

* الخط العربي يفهم ليقرأ صحيا: وهذا بسبب غياب الشكل؛ لأن الشكل في العربية أساس القراءة الصحيحة، ولم يندمج داخل اللفظية مثل

---

[5]- ينظر: مجمع اللّغة العربية بالقاهرة؛ مجموعة القرارات العلمية في خمسين يوما 1932 1984 القاهرة: 1984 الهيئة العامة لشؤون الطابع الأميرية، ص 9323/318/313/310/308) 325/3.

الفرنسية أو الإنجليزية. والمشكلة التي تطرح في هذه القضية أكثر من هذا، بحيث نجد أسمائنا في الدوائر الرسمية يكون بالحروف اللاتينية لأنها لا تحمل الإشكال الذي تحمله اللّغة العربية. ولذلك تطرح التباسات مثلا في كتابة: كَريم وكْريم فكيف يكون التمييز في ظل غياب الشكل. وأحيانا تكتب أسماؤنا بالحرف العربي في مقابل الحرف اللاتيني، وتطرح فيها سوء التنسيق بينهما، وتارة لا توجد بينهما أدني علاقة٠ في الوقت الذي يجب أن نعلم أنه في حالة تسجيل المواليد مثلا يجب أن يشارك الوالدان في تثبيت اسم ابنهما كي لا يحصل اللبس، مثلما يلاحظ في اللغة الفرنسية بين ثلاثة أسماء لها نفس التلفظ وهي:

Renaul Renau- Renaud

فالولي هو الذي يختار نوع الكتابة. وسردي للحرف اللاتيني كمثال كونه:

1- يضمن في كتابته العادية النطق السليم للعربية.
2- يوجد في جميع الآلات المعيارية وغير المعيارية في صورة واحدة وشكل واحد.
3- يوجد في المحارف العصوية (أي التي تمثل الحروف لا بخطوط ولا بنقط ولكن بعصيات) ولا يمكن للحرف العربي أن يمثل بها.
4- يمكن من كتابة على سطر واحد سفلي بدون نزول أو صعود.
5- يمكن من رسمه في إطارات مربعة أو مستطيلة عمودا أو أفقيا على عكس ما يمكنه الحرف العربي.
6- هو عديم النقط إلا في حرف أ
7- يمكن بسهولة وضع علامات خاصة فوق أو تحت أو بجانبه لتأدية أصوات أجنبية.
8- يمكن من استعمال الترخيمات (كلمات يعبر عنها بحروفها الابتدائية).

9- إنّه مختلف الأشكال بالنسبة إلى اختلاف الأصوات.

10-له نوعه الكبير ونوعه الصغير المفيدان في الرموز العلمية.

11- لأنّه ينتشر بكيفية تدريجية ومنتظمة في العالم بأسره[6].

وإذا تكلمنا في اللّبس فنجده متنوعا في الحرف العربي بسبب غياب الشكل دائما فتأملوا معي هذه الأمثلة:

* يحصل أن يكون الاتفاق في الهجاء والاختلاف في الحركات، أو يشتبه في الخطّ وهجاء بعض الحروف مختلف مثلا: ثابت بن يزيد. نابت بن يزيد.// نسير يسير// صفر سفر// جرير حرير// غرب هرب حرب... والقائمة تطول.

* يحصل أن يكون في المتشابه من الرسم: ف ق//ب ت ث ن // ص ض // ط ظ// ر ز//ع غ // ج ح خ //، وبعضهم لا يضع النقاط على الياء/ مثل: عمي عمى: إذ الجهل عمى.

*مواطن اللبس في القراءة: داء الكلب يحتمل الكلْب أو داء الكلَب. صل على بركة الله: تُقرأ : صَلِّ صِلْ. إنّه بعد تحكّم الإنسان والإرادة الإنسانية: يحتمل: بُعد وبَعد. لم يرو يحتمل: لم يُروَ أو يرو، ولم يصل اليوم. يحتمل: لم يصلْ ولم يُصلِ. لقد كنت منذ خمسين سنة شابا. يحتمل كنتَ كنتُ. إن يسرها عندنا. إن يسُرُها عندنا. علام استحضر الموت، هل علام اسم استفهام أم اسم فقط. يميز الخبيث من الطيب يميز أم يميّز. في تفكير ملك، هل يعني مَلِك، أم ملك حفني ناصف، إن الإسلام لم يحل الموسيقى لم يحل، لم يُحِل. اللبس بين الدّين والدين. وبين لم تبنِ ولم تبنَ.

---

[6]- احمد لخضر غزال "مناقلة الأصوات العربية بالحروف اللاتينية" مجلة مكتب تنسيق التعريب. الرباط: 1995 أعمال مؤتمر التعريب السابع لإقرار مشاريع المعاجم ونظم الكتابة العربية العلمية، ص 152-153.

فالدولة التي تمثّلها، أو تمثلها. ولولا خشية الإملال لعرضت عليك أكثر من هذا.

* كثرة النقط: لا تشكل النقط عيبا في الخطّ العربي، لو كانت قليلة، لكن القضية في كثرتها التي تجعل الكاتب أحيانا ينسى وضع النقطة، أو وضعها في غير مكانها. أضف إلى ذلك تنوع الخطوط، وكل خطّ يستدعي تغييرا في شكل النقط. ونعرف ما جاءنا عن طريق التصحيف والتحريف نتيجة هذه النقاط. وكان يجب النظر إلى المسألة وحلها بطريقة علمية بالمحافظة على جمال الخطّ العربي.

* نقصان أصوات مهمة : نحن في عصر نستوعب ونضيف إلى لغتنا بحكم ضعفها في المجال الصطلحاتي. ونعرف أنّ المصطلحات العربية ننقلها من اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية، وفي هاتين اللغتين تكثر الأصوات التالية: **P/V/G**. وكان يجب أن نضيف هذه الأصوات وأصواتا أخرى يكثر دورانها على ألسنة الجماهير العربية. وهذا ما يجب أن يخرج من دراسة واقع استعمال اللّغة العربية في المحيط العربي. ولا يعني هذا أن نضيف كل الأصوات الغائبة **في** العربية. وذلك جنون واصطناع بل أن تحصل الإضافة الضرورية وفي حدودها المعقولة.

* المدقق الإملائي والنحوي واللغوي: من مظاهر الآلية التي أعطاها لنا الكبتار التدقيق الإملائي والنحوي واللغوي، وهي ثمرة بنوك المعطيات التي وضعت في الذكاء الاصطناعي في اللغات الحية والتي لا نجدها في العربية، بحيث إذا فتحنا أيقوناتها نجدها فارغة إلا من أيقونة المدقق الإملائي، وهي بسيطة جد، بل لا تصل إلى التمييز بين همزة الوصل وهمزة القطع أحيانا. ومن هنا تعد هذه القضية إشكالية تعيشها اللّغة العربية. وأرى أن القضية سهلة إذا ما تولاها مختصون يخزنون الرصيد اللغوي العربي ويصنفونه حسب الحقول الدلالية. ويوجدون المنطاقيات المسهلة لكل عمليات الاسترجاع والتصنيف والتبويب حسب الخصائص اللغوية المعاصرة.

* الترجمة الآلية: هي نتاج المعطيات التي تخزن في أية لغة، وهي من خصائص العصر الذي دخلت فيه الآلية ميدان التلفاز والأخبار والكتابة وترجمة المصطلحات، وغير ذلك من الأعمال المصرفية ولقد تمحورت هذه الجهود حول الترجمة الالية وبنوك المصطلحات والتوثيق واعتماد الجانب الصرفي في المعالجة. وخرجت ببرمجيات معربة، والكثير منها لم تأخذ بعين الاعتبار خاصيات اللّغة العربية[7] . ولذا كان يجب أن تنصرف جهود اللسانيين وأهل المعلوميات إلى سد هذا الفراغ من أجل الحديث عن معايشة الواقع باللّغة العربية. والترجمة الآلية كما نعلم تعتمد على وجود بنوك المصطلحات والعطيات في مجالات عدة، فتخزن في الذكاء الاصطناعي الذي يستعملها عند الطلب.

4_ الحلول: إننا في عصر الكبتار، أمام تحد جديد وصعب وهو استعمال الحرف العربي في هذا الجهاز على مستوى الإدخال والمعالجة والنشر والطباعة، فكان علينا القضاء على تلك الإشكالات، أو بعض أجزاء المشكلات، وتستمر الأعمال في لاحق من الأبحاث، وفيما تنتجه الآلة في المستقبل الذي هو مفتوح لما لا يخطر على بال. ويبدو لى أنه لا بد من أخذ المعطيات العلمية التالية بعين الاعتبار:

1/4- الاستئناس بطريقة الأخضر غزال[8] : ظهر اجتهاد الأخضر غزال في الوقت الذي وجد من ينادي بتغيير الحرف العربي مهما تكن النتائج. ولكن الأخضر غزال بعقلية متفتحة ومحافظة استطاع أن يدخل الإصلاح على الحرف العربي بالمحافظة على جماليته، وبتوظيف تقنيات غربية، واستعمال المعالج الدقي (الصغري) Microprocesseur الذي وظفه في السرعة والعمل على تغيير شكل

---

[7]- محمد بن ساسي "استعمال اللّغة العربية في مجال المعلوميات (نبذة تاريخية)". تونس: 1996 ، العدد الخاص باستخدام اللّغة العربية. في المعلوماتية، ص 12.

[8]- ينظر كتابنا: في قضايا فقه اللغة العربية. الجزائر: 1995 ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 219—255.

الحرف حسب مكانه. واستطاع بفضل طريقته (العمم-شع) وبالمنهجية التكنولوجية والعلمية والمنهجية التنظيمية أن ينجح في تجربة رائدة حلت مشكلة الحرف العربي[9]، فأصبح الحرف العربي مشكولا حيث يجب الشكل، أو حيث يحصل اللبس. ولقد مست هذه الطريقة ميدان الآلات والأجهزة والوسائل الحديثة التي تتوفر لأكابر اللغات في

الطباعة والرقانة والإبراقيات والمعلوميات وقاعدة العطيات. وذلّل كثيرا من الصعوبات الكبرى وجعل الحرف العربي قابلا للاستثمار في الطباعة الحديثة، فمن مميزاته:

1- ضبط شكل واحد للحرف الواحد في المحرف المعياري الواحد.
2- اعتبار علاقات التحريك بمثابة محارف مستقلة قابلة للتصفيف المتجانب
3- عدم تجاوز عدد المحارف الموجود في العتاد المعياري الدولي.
4- نفس الشكل لكل حرف أينما وجد.
5- تعريقة لكل حرف له حجم إلى الأسفل وحالة اتصاله بحرف آخر.
6- إضافة الحروف اللاتينية التالية: **G/ V ا P**. وحرف الجيم المصرية، والزاي المشبعة الفارسية.

والحقيقة إنه منذ ظهور العربية المعيارية المشكولة بدأت تنفتح أمام العربية آفاق واسعة؛ حيث كانت السبيل لولوج التكنولوجية العصرية، وأنها قفزة نوعية وجهد جبار وبكل أسف فإن جهود الأخضر غزال رغم

---

[9]- ينظر كتابي: في قضايا فقه اللّغة. العربية. الجزائر: 1995 ، ديوان المطبوعات الجامعية. وينظر أحمد لخضر غزال "الحرف العربي والتكنولوجيا" مجلة الأكاديمية الملكية المغربية. الرباط: 1988، ص 13-14.

تبنيها من الألكسو إلا أنها بقيت في حدود المملكة المغربية. ومن خلال هذا كان علينا أن نستفيد من هذه الطريقة ما دامت قد أوجدت بعضا من الحلّ، ولا نقف عندها بقدر ما يجب أن تتواصل الجهود للتحسين؛ ببناء بنوك المعطيات التي تعمل لاحقا في التصحيح اللغوي، ووضع المنطاقيات والبرمجيات.

2/4- اعتماد الكتابة العلمية : تعدّ الكتابة العلمية ضرورة في اللّغة العربية، وإنها من الأمور المهمة جدا بغية التطوير اللغوي. والكتابة العلمية كما نعلم هي التي تعتمد المصطلحات العلمية، والكتابة الدولية والمختصرات. وهي التي تعتمد الكمال والاتساق والبساطة، إلى جانب:

- الوضوح.
- عدم اللبس.
- الاختصار.
- توظيف رموز عالمية
- تنميط الحرف العربي.

ومع كل هذا فإنني أدعو إلى تبني اللّغة العلمية التي سوف تدخل بها سوق الاتصال العالمي، والذي لا يجب أن تبقى اللغة العربية مهمشة. ونأمل في أن تتطور الأبحاث في ميدان الاتصالات الرقمية التي تكسر حاجز الترجمة الآلية ٠ وغيرها من وسائط الاتصال.

3/4- إعداد الذخيرة اللغوية العربية: ما نقصد بالذخيرة اللغوية هو تخزين كلام العرب قديمة وحديثه بتقسيمه على الحقول الدلالية. ليستفاد منها في وضع المصطلحات وفي الدراسات الإيتيمولوجية وتواتر الألفاظ ودلالاتها المتغيرة. ومن مزاياها يمكن الإشارة إلى:

- تحصيل معلومات تخص الكلمة العربية عادية كانت أم مصطلحا.
- تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكلم.
- تحصيل معلومات تخص أجناس الكلم.

- تحصيل معلومات تخص حروف المعاني.
- تحصيل معلومات تخص المعرب عامة الذي ورد في الاستعمال.
- تحصيل معلومات تخص صيغ الجمل والأساليب التي وردت في عصر معين أو في مؤلف أو عبر العصور.
- تحصيل معلومات تخص بحور العروض والضرورات الشعرية والزحافات والقوافي وغيرها.
- تحصيل معلومات تخص المفهوم الحضاري أو العلمي (البحث عن ألفاظ عربية لتغطية مفاهيم علمية).

4/4- وضع برمجيات للتدقيق اللغوي : عندما نبني الذخيرة اللغوية، يمكننا أن نستقي منها الكثير من التدقيقات، والتي يمكن أن تكون الحجّة التي يعتمدها المدقّق حسب التقسيم الذي يعتمد من : إملائي ونحوي وأسلوبي. ويخدم في نفس الوقت التطور اللغوي باعتماد منطاق التصحيح الذي يأتي عن طريق بناء آليات الذكاء الاصطناعي.

وأقترح في مجال الخطّ في جانبه التربوي ما يلي:

- أن يكون الاتفاق على النموذج الفني الصالح للتدريس.
- أن يعلم هذا النموذج للصغار وفق مقاييس مضبوطة.

- أن تعتمد مادة الخطّ في البرامج المدرسية.

- أن تطبق قرارات مجمع اللّغة العربية بالقاهرة في مجال:

- تسهيل كتابة الحروف العربية.

- قواعد الشكل في الكتب المدرسية.

- وضع نموذج اختصار صور الحروف الطباعين موضع التنفيذ.

وفي المجالات العامة أقترح:

- ترسيم خط واحد في المكاتبات الرسميات.

- إضافة أصوات جديدة منتشرة في اللغات المتقدمة، وهي: /G ا P/ V وكنا إضافة صوت الزاي المفحمة الموجود في الأمازيغية والفارسية، وبعض الأصوات الكثيرة التداول، علما أن **G** "الكاف التي بين الجيم والكاف[10]، وسمّاها العرب الكاف الخفيفة التي نستعملها في عصرنا بدل القاف، وقد عربها بعض القدامى بالغين، وبعضهم بالجيم. و**P** يسميها سيبويه الباء التي كالفاء[11]، عربها بعض العرب باء وبعضهم فاء**V**٠ فاء تكاد تشبه الباء، وتفع في لغة الفرس، وعربت مذاهب شتى: باء/ فاء باء تحتها ثلاث نقاط/ فاء فوقها ثلاث نقاط. وإذ التطور الذي سوف يحصل من إضافة هذه الحروف يجعل الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية تعتمد الحرف العربي، وتجده يعبر عن أكثر أصوات لغاتها. وهذه اللغات كتبت بالحرف العربي[12] بتعديلات طفيفة في بعض الأصوات التي لا تتوفر عليها الكتابة العربية ٠ ووصل عدد اللغات التي يكتب بالحرف العربي إلى أكثر من ستين لغة من لغات الأمم والمجموعات الإسلامية[13] وبعضها الآن في طور التقنين. ولا شك أنّ هذا العمل يترك لها مزيدا من إضافة أصوات أخرى دون تحريف.

---

[10]- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: 1966، الجزء 4، ص 432. وينظر: أبو على ابن سينا رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيقي: محمد حمق الطيان، ويحيى ٠ير علم. دمشق: 1983؛ مطبوعات مجمع للغة العربية٠، ص 127/75/74.

[11]- الكتاب، الجزء 4، ص 432 وانظر رسالة أسباب حدوث الحروف؛ ص 92 /131 .

[12]- محمود عباس حمودة، دراسات في علم الكتابة العربية. القاهرة. د ت. ص 53—57.

[13]- يوسف الخليفة أبو بكر "الحرف العربي واللغات الإفريقية" المجلة العربية. للثقافة. تونس: 1983 . العدد 4، ص154

نقد المنحنى الشكلي في مقرر النحو للمرحلة الاساسية

الأستاذ الدكتور عبد الجبار توامة.
الأستاذ المحاضر في اللغويات في دائرة اللغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي بالأغواط

إن الدرس النحوي المقرر على تلاميذ المرحلة الأساسية قد صاغه معدوه وفق المنهج الشكلي الإعرابي للنحاة القدماء المتأخرين منهم خاصة. وهو القائم على أساس نظرية العامل المرتبطة دائما بغايتها القصوى، وهي تفسير الأثر الإعرابي ظاهرا أو مقدرا بعامل من العوامل ولو على حساب المعنى، وقد كان من الطبيعي أن يوجد هذا النهج مع بداية نشأة النحو العربي. التي كان من أهم دواعيها مكافحة اللحن في الشكل الإعرابي وليس في شيء آخر، إذ لم يكن اللحن في المعنى مطروحا يومئذ ٠ ولهذا عدت نظرية العامل في بدايتها نظرية تعليمية الغرض منها معرفة مواطن الرفع والنصب والجر والجزم في الكلمات في التركيب.

ومما زاد في شكلية نظرية العامل بعد سيبويه والفراء أنها ارتبطت بقواعد وقوانين تحكمية لا تحترم المعنى في كثير من الأحيان. كالقول – مثلا-:

- إنّ أداة الشرط الجازمة لا تعمل في الجواب متقدّما، وأن الشرط كالاستفهام في أن شيئا مما في حيزه لا يتقدّمه، وقد ترتب على هذه القاعدة الشكلية التعسفية أن جعل نحاة البصرة الجواب محذوفا إذا تقدم على شرطه مع أنّه مذكور مقدما للعناية والاهتمام في نحو الآية: (فذكر إن نفعت الذكرى). ونحو قولك: (آتيك إن تأتني)[1] فالالتزام بقوانين

نظرية العامل الشكلية -ومنها أن أداة الشرط الجازمة يجب أن تعمل في الشرط والجواب متأخرين عنها. فإذا تقدم الجواب عنها بقيت بدون عمل فلزم من ذلك تقدير الجواب بعدها محذوفا -هو الذي أدى بنحاة البصرة (السائد نحوهم اليوم) إلى إهدار المعاني الوظيفية في التركيب بشكل واضح. ومن أهمها معاني التحويل بالتقديم، وأدت أيضا إلى تصور أبعاد وهمية في النص تسيء إلى المعنى والى دقة ١الكلام وجماله٠ وبديهي أن منطق اللّغة يفرض اعتبار ما تقدم هو

الهوامش:

[1]- انظر: شرح المفصل ج 9 ص7

الجواب المقدم لغاية وظيفية لا تغير من حقيقة التركيب النحوي، وما القول بأن الجواب محذوف إلا تجسيد لمبدأ التقدير الذي عمل به النحاة بمجرد أن ألزموا أنفسهم بمبادئ نظرية (شكلية) ما قبلية[1].

ومن أبرز أمثلة ذلك قولهم - حسب نظرية العامل دائما- إنّ (إنْ وإذا) الشرطيتين لا يليهما جملة اسمية وتختصان بالدخول على الجملة الفعلية وحسب، فإذا وليتهما جملة اسمية - بحسب تصنيفهم أو تعريفهم الشكلي للجملة الاسمية- أهدروا المعنى القصود وظيفيا في النص ولجّوا في التأويل والتقدير بدون طائل، فإذا صادفهم نحو قوله تعالى: (وإن أحدٌ من الشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) قالوا - مكرهين - إن كلمة(أحد) في الآية ليست مبتدأ للخبر الفعلي بعدها بسبب ما أشرنا إليه آنفا وليس فاعلا للفعل المتأخر- وإن كان يطلبه حثيثا في المعنى - لأن الفاعل في صناعتهم لا يتقدم على فعله، بل هو عندهم فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده.. والتقدير:(وإن استجارك أحد من المشركين استجارك قال ابن يعيش:(وقد يحذف الفعل وجوبا كقوله تعالى وإن أحد من ١امشكرين استجارك فأحد فاعل بفعل محذوف وجوبا والتقدير وإن استجارك أحد استجارك وكذلك كل اسم مرفوع وقع بعد إن أو إذا فإنه مرفوع بفعل محذوف وجوبا ومثال ذلك في إذا قوله تعالى (إذا السماء انشقت) فالسماء فاعل بفعل محذوف والتقدير إذا انشقت السماء انشقت وهذا مذهب جمهور النحويين)[2] ، يقررون ذلك غير آبهين للإساءة إلى كلام الله تعالى ودقة تركيبه وجمال صورته بهذا التقدير الركيك الممجوج،

وغير مكترثين لإهدار المعنى القصود وظيفيا من تقديم الفاعل وتأخير الفعل في الآية، فقد كان من الجائز شكلا أن يرد التركيب في

---

[1]- انظر الشرط في القرآن، د. عبد السلام المسدي و د. محمد الطرابلسى، الدار العربية للكتاب، طرابلس الغرب ، 1985 ،ص18

[2]- شرح ابن عقيل 2/86 .

الآية بدون تقديم الفاعل : (وإن استجارك أحد من المشركين.....)، ولكن هذا التركيب لو ورد لم يكن ليؤدي وظيفة التعبير عن الموقف الذي أنزلت فيه الآية ' (وهو ما يعبر عنه القدماء وعبد القاهر بالفصاحة أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وما يعبر عنه بعض المحدثين بالصحة الوظيفية)، فالفاعل قدم في الآية ليظل فاعلا لفعله المذكور قطعا، لأنه محل العناية والاهتمام والتركيز بسبب أنه المقصود بالذكر مقدما، فهو يؤكد بالتقديم حتى يقع الامتثال التام للأمر المذكور في الجواب (فَأَجْره) • ويلاحظ هنا - لأجل ذلك - أن الضمير المتصل بفعل الجواب يعود على الفاعل المقدم بغرض التوكيد. والمعنى المقصود (أجر بدون تريب كل واحد من المشركين يستجيرك حتى يسمع كلام الله) ، والعرب إذا أرادت العناية بشيء قدمته وهذا واضح في الآية، ولكن قواعد نظرية العامل لا يهمها ذلك مطلقا ولا تقيم له وزنا.

ولست أدري ماذا يقول النحاة أو من ينافح عن منهجهم الشكلي هذا عندما يكونون إزاء أمثلة وشواهد تخرق قولهم: إن(إذا) الشرطية لا يليها إلا الجملة الفعلية. كبيت السموأل الشهور:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقول المعلوط القريعي:

إذا المرء؛ أعينه المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

فهذه أمثلة صريحة على مجيء الاسم بعد (إذا) وليس فاعلا في المعنى للفعل بعده ، ولهذا لا يمكنهم القول - تأويلا - انه فاعل لفعل مخذوف يفسره المذكور بعده بدليل أننا لو حذفنا (إذا) من الكلام ظهر ذلك جليا، ففاعل الفعل (يدْنَس) في المثال الأول هو (اللؤم) وليس (المرء)، وكذلك قل في المثال الثاني.

وما دمنا نتحدث عن (إذا) الشرطية هذه فلا بأس أن نشير إلى التحليل الشكلي (الإعرابي) لها لدى النحاة القائم على فكرة التأثير أو

العمل رغم أن تأثيرها لا يظهر أبدا، لأنها. لا تتضام إلا مع الجمل، فهم يقولون عنها إنها ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، فعبروا عن وظيفة الإضافة بين (إذا) وشرطها شكليا دون أن يكون في التركيب شكل لفظي –كالجر- يدل عليها فيسوغ ذكره، فهذا الإعراب الشكلي ل (إذا) ما يزال تلاميذ العربية يرددونه دون أن يفهموا مغزاه التركيبي حتى وهم طلاب في المرحلة الجامعية (في قسم اللّغة العربية)٠ إذ هم لا يلحظون خفضا في الشرط ولا نصبا في (إذا)، ولا يفهمون معنى أن تكون (إذا) منصوبة بالجواب . والحق أن مثل هذا التحليل الشكلي لا يكسب قواعد العربية للشباب فضلا عن الشداة الصغار فهذا التحليل - إن كان صحيحا في مغزاه - لا يعبر عن الوظائف أو الدلالات التركيبية في السياق.

وقد كان على النحاة أن يقولوا في إعراب (إذا) الشرطية - إن أرادوا تجسيد مقولتهم الشهيرة: (الإعراب فرع المعنى) - إنها مضافة إلى شرطها لا خافضة له. لأن الإضافة ملاحظة ذهنيا (قرينة معنوية) ومعبرة أيضا عن العلاقة التركيبية التلازمية التي بين الأداة الشرطية وشرطها، والخفض بوصفه دليلا أو قرينة لفظية محسوسة لا يلحظ ولا يعبر عن المعنى الوظيفي المذكور آنفا. وكان عليهم أن يقولوا أيضا عن (إذا) إنها متعلقة بالجواب الذي هو مظروف لها أي واقع فيها. وهذا هو التعبير

الوظيفي عن علاقة الظرفية أو الوعائية التي بين (إذا) وجوابها. أما النصب فلا يكون، لأن الأداة مبنية. ولا يعبر وظيفيا لأنه - وإن ظهر- لا يرتبط بباب نحوي معين كما نلاحظ ذلك في اشتراك أبواب كثيرة في النصب تربو على العشرة تعرف شكليا بالمنصوبات.

- حتى إن تحدثوا عن تعليق الظرف وظيفيا أفسدوا حديثهم عنه بتحكيم قواعد نظرية العامل المناقض بعضها للمعنى صراحة. كتعليقهم للظرف الزماني في بيت كعب بن زهير الشهور:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أعن غضيض الطرف مكحول

فقد قالوا إن الظرف (غداة البين) لا يتعلق وظيفيا بما بعد (إلا) في الشطر الثاني وإن كان المعنى يتطلب ذلك طلبا (غير مقيمين وزنا للقاعدة الذهبية التي يقوم عليها النحو الإعراب فرع المعنى).- وعللوا هذه المناهضة الصريحة للمعنى في الإعراب بأن من قواعد نظرية العامل الصارمة أن الأداة (إلا) حاجز حصين لا يعمل ما بعدها فيما قبلها أو ما قبلها فيما بعدها.. واقترحوا أن يتعلق الظرف –شكليا-بأداة النفي (ما) في أول البيت، والمغنى" انتفى عن سعاد غداة البين...[1] قالوا هذا وذهلوا عن أن النفي منتقض ب (إلا) وأن المعنى على التوكيد بالحصر كان الشاعر قال "سعاد غداة البين ...أغن غضيض الطرف مكحول"، فيتضح بذلك أن الظرف *تعلق* في البيت بأحداث الصفات المشبهة (أغن) وما بعدها. ومن هنا نضطر" آسفين" إلى القول إن النحاة قد أنستهم نظرية العامل" بكثير من قواعدها الشكلية التي ما أنزل الله بها من سلطان"، أن المعنى أهم شيء في النحو وأنه إذا أهدر أو

ضيع فلا نحو للغة ينتحى، ويكفي لتوكيد ذلك أنهم أصحاب المقولة الجامعة التي لا نمل من ترديدها دائما " ونحن نصبو إلى صناعة نحو وظيفي حقيقي للغتنا العربية "الإعراب فرع المعنى".

وقال نحاة آخرون -معتمدين على قواعد نظرية العامل- إن (إذا) في الآية: (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)(الروم 25) لا يتعلق بالجواب. لأنه مقرون ب (إذا) الفجائية التي هي بزعمهم حاجز حصين لا تسح للعامل قبلها بالعمل فيما بعدها ولا تسمح بالعكس، ورأوا أنها تتعلق بشرطها[2]، ناسين أنها لا معنى لها من دون شرطها

---

[1]- انظر أصول النحو العربي د. محمد الحلواني . الناشر الأطلسي الدار البيضاء 83 ا.

[2]- المختار من أبواب النحو د. محمد الحلواني ، مكتبة دار الشرق ، بيروت . ط1 ، ص204

فهو كالجزء الذي لا ينفك عنها، والعروف بداهة في معاني النحو أن الشيء لا يتعلق بنفسه أو بجزء منه، ثم إن المعنى في الآية لا يسمح بذلك، بل انه مبين في أن (إذا دعاكم) متعلق بفعل الجواب (تخرجون) لا غير.

وقد نص النحاة - بإجماع -على أن الظروف التي تضمن معنى (إن) الشرطية تتعلق بفعل الشرط، وعلى هذا نجدهم يعلقون – دون سند من المعنى- (متى وحيثما وأينما وأيان وأنى) بفعل الشرط لا بالجواب وذهلوا عن أنّ القياس المعنوي فيها أن تعلق بفعل الجواب مثل (إذا) تماما، لأن الجواب هو الواقع فيها وظيفيا وما فعل الشرط إلا جزء منها إذ لا معنى لها من دونه فالواجب أن تضاف إليه كما في (إذا). فإذا قلت (متى تأت أدرس) يكون من الواضح تماما أن المعنى بترجمة دقيقة أخرى هو (عندما تأتي أدرس)، فالواقع هنا أن (عندما) تتعلق ب (أدرس) لا ب (تأتي). ولو علقنا (متى) ب(تأت) فبم يتعلق (أدرس) أي ما الظرف الزماني الذي يحتويه في الجملة، وهذه مسألة مهمة جدا لم ينتبه إليها معظم النحاة عندما علقوا تلك الظروف الشرطية بشرطها.

—— ومنهج العامل (الشكلي) لم يدع لنحاة البصرة فرصة للتقسيم الوظيفي للجملة العربية، فهم قد قسموا الجملة إلى اسمية وفعلية، ولم يكن هذا التقسيم الثنائي بحسب علاقة الإسناد فيها كما قد يتوقع أي دارس أن تكون العناية بالمعنى أولا في هذا التقسيم، كأن يكون التقسيم قائما على ماهية المسند الصرفية (التقسيمية)، مثل القول إن الجملة الفعلية ما كان فيها المسند فعلا، تقدم هذا المسند أو تأخر عن المسند إليه، لأن ذلك لا يغير من الطبيعة التصنيفية للجملة. ولكن النحاة البصريين نحوا منحى شكليا في التصنيف لا يترك مجالا لإبراز المعنى، وذلك قولهم إن الجملة الفعلية ما بدأت بفعل، والجملة الاسمية ما بدأت باسم، ويظهر ذلك من خلال المثالين:

اـــ جاء محمد (جملة فعلية)

2- محمد جاء (جملة اسمية)

وهذا يعني أنه لا يمكن في العربية تقديم الفاعل (بحسب اصطلاح النحاة). وذلك بقصد العناية به أو التركيز عليه، ولم يكن هذا إلا لأجل مانع شكلي عند البصريين يتصل بمسألة العمل الوهمية، إذ لا يجوز في نظرية العامل إعمال عامل في معمولين متماثلين إلا على جهة الاشتراك، فإن جاز رفع الفعل للاسم المتقدم عليه أدى ذلك إلى رفع المعمولين معا (الاسم المتقدم والضمير المستتر في الفعل)، ولا نظير له في العربية. وذكر المبرد أنه لا يجوز تقديم الفاعل في هذا الباب إلا على جهة نقل المقدم من حكم إلى حكم اخر. وإعطائه إعرابا غير إعرابه ٠ فيجوز حمله على الابتداء لا على الفاعلية، ورد على من زعم أنه مرفوع بالفعل المتأخر عنه بأنه أحال من جهات منها:

ـأن الفعل لا يقوى على رفع فاعلين إلا على جهة الاتباع، نحو قام عبد الله وزيد، فكيف يرفع (عبدالله) وضميره، وإذا أظهر الضمير بأن يجعل في موضعه غيره بان لك، نحو قولك (عبد الله قام أخوه)، فإنما ضميره في موضع أخيه.

ـأنك تقول (عبد الله هل قام)، فيقع الفعل معه بعد (هل) ، ومحال أن يعمل ما بعد حرف الاستفهام فيما قبله[1]. واحتج ابن السراج على بطلان منهب القائلين بتقديم الفاعل بأنه لو جاز رفع (زيد) في عبارة (زيد قام) ب (قام)، لجاز أن تقول (الزيدان قام) و(الزيدون قام)، تريد قام الزيدان وقام الزيدون[2].

---

[1]- المقتضب للمبرد ، ص128/4

[2]- الأصول في النحو لابن السراج ، ص228/2 .

والتأمل في هذه التعلات البصرية المتصلة أساسا بفكرة العامل، لا يجد فيها ما يجدي أو يقنع من الناحية الوظيفية أو الدلالية التي ينبغي ويجب أن تكون أساس الدرس النحوي وصفا وتفسيرا ،ففكرة أن الفعل لا يقوى على رفع فاعلين (عبد١لله) وضميره في نحو (عبدالله قام) فكرة وهمية لا علاقة لها بطبيعة التفكير اللغوي، فالفعل لا يعمل ولا يرفع ٠ وإذا تصور الرفع فيه تجوزا أو اقتضاء فليس هناك مجال البتة لتصور أحكام عقلية (وهمية) تتصل بالعمل وبعدمه، وكل ما في الأمر في الواقع وبكل بساطة في هذه المسألة أن الفعل يسند لغويا أو نحويا إلى فاعله، فان تقدم عليه لم يطابقه عدديا، وان تأخر عنه وجبت مطابقته له بإحدى لواصق المطابقة التي يسميها النحاة بالضمائر المتصلة، وقد فطن إلى هذا قديما نحاة الكوفة، وليس الأمر قاصرا على الفعل وحده في هذا، بل إن الصفات تشارك الأفعال في ذلك كما نجد في الأمثلة المتناظرة الآتية:

-ما يقدم الرجلان - ما قادم الرجلان

-ما الرجلان يقدمان - ما الرجلان قادمان

-ما يقدم الرجال - ما قادم الرجال

- ما الرجال يقدمون - ما الرجال قادمون

ولم يجز القول (الزيدان قام) ولا (الزيدون قام) ، ليس لأن الفعل لا يتقدم عليه فاعله لأنه لا يعمل فيه متقدما كما زعموا أو توهموا ، بل لأن المطابقة لم تحدث ; كما لم يجز القول (الزيدان قائم) ولا (الزيدون قائم)، هذا كل ما في الأمر. .

وأما قياس (عبدالله قام) على (عبد الله قام أخوه) بزعم أن فاعل (قام) ليس (عبدالله) بل ضمير مستتر يأخذ مكان (أخوه) في الجملة المقيس عليها كما ذكر المبرد ففيه مغالطة واضحة، ذلك أن الجملة الثانية مركبة لم يسند فيها الفعل إلى (عبدالله) والأولى بسيطة أسند فيها الفعل إلى (عبد الله)، وجملة (عبد الله قام) البسيطة هي في المعنى مثل

جملة (عبد الله قائم)البسيطة أيضا. كما أن جملة (عبد الله قام أخوه) المركبة هي في المعنى مثل جملة (عبد ا لله قائم أخوه) ، ولو صح الزعم أن (عبدالله) ليس فاعلا للفعل المتأخر (قام) لأنه مشغول بضمير قد يحل محله اسم ظاهر نحو (أخوك).. لصح أيضا بالمثل الزعم أن (عبدالله) ليس فاعلا أو مسندا إليه للصفة (قائم) في قولنا (عبد الله قائم) ، لأن الصفة تتحمل ضميرا أيضا قد يحل محله اسم ظاهر نحو (أبوه) في مثل (عبد ا لله قائم أبوه)، وهذا ما لا يصح ولا يستقيم البتة عند ذي حجر.

وأما الاستدلال بنحو (عبد الله هل قام ؟) على أن الاسم المتقدم ليس فاعلا للفعل المتأخر لأن (هل) فصلت بينهما ٠ ويستحيل أن يعمل ما بعد (هل) فيما قبلها فمما لا أساس له في واقع اللّغة وهو من أوهام نظرية العامل، وهو باطل معنى وحكما. ولهذا لا يعتد به فيما نحن فيه من حديث لا يقيم وزنا إلا للعلاقات ولروابط الوظيفية الدلالية بين أجزاء الكلام، سواء ما تقدم منها وما تأخر إلا في مسائل قليلة معدودة ليس منها مسألة تقدم الفاعل، لأن العلاقة الإسنادية بينه وبين فعله المسند إليه لم تتأثر وظيفيا بتقدمه كما بينا ٠ كما أنها لم تتأثر وظيفيا أيضا بالفصل بينهما بأدوات زعم نحاة البصرة أنها تجعل التعالق بينهما إسناديا محالا بسبب ما توهموه من امتناع عمل أحدهما في الآخر بسبب ذلك الفصل الشكلي بتلك الأدوات. فالتعالق الوظيفي بين الكلمات في التركيب لا يخضع البتة لما اصطنعوه من قوانين وهمية تحكمية للعمل والعوامل.

واتباع هذا المنهج الشكلي في تقسيم الجملة بقواعده اللالغوية والخاضعة كليا لنظرية العامل (كالقول - مثلا - إن الفاعل إذا تقدم لا يعمل فيه فعله ، ومن ثم لا يكون فاعلا بل يصبح مبتدأ والفعل بعده يكون فاعله ضميرا مسترا ٠ والجملة الفعلية هذه تكون في محل رفع خبرا للمبتدأ) لم يترك البتة فرصة لإبراز المعنى، إذ لا يبدو الفرق الوظيفي بين الجملة الفعلية المبدوءة بفعل والمبدوءة بفاعل والمبدوءة باسم بعده وصف ،ففي حالة الجملة الفعلية المبدوءة بفاعل لا ينص على

الفرق الوظيفي الأسلوبي بينها وبين الجملة الفعلية الأصلية، بل يطمس طمسا في حال القول بإسميتها، ذلك أن الفاعل فيها -كما يبين الواقع اللغوي القائم على ملاحظة المعنى -قد تقدم ليزداد بروزا وعناية واهتماما كما يقول سيبويه والبلاغيون من بعده، لا أن يكون مستترا في فعله المتأخر. فمن الشطط والخطأ البثن القول إن الفاعل في الآية: (الله يحيي الأنفس بعد موتها) مستتر، وهو قد تقدم في الآية لكي يكون بارزا واضحا لا جدال فيه ف (الله) هو الفاعل تركيبيا ووظيفيا كما هو كذلك دلاليا، وهو بعبارة اوضح نحويا المسند إليه للسند الفعلي (يحيي) كما هو واضح من

منطوق الآية ومفهومها. وقد أدرك ابن جني أن الفاعل عندما يتقدم يبقى فاعلا في المعنى وأن جعله مبتدأ هو مسألة صناعة شكلية خاضعة لمقتضى العامل، فقال في الفاعل عندما يتقدم عن فعله في نحو " زيد قام " : (ربما ظن بعضهم أن "زيدا" هنا فاعل في الصنعة كما أنه فاعل في المعنى)[1] وقال أيضا:(ألا تراك إذا سئلت عن "زيد" من قولنا "قام زيد" سميته فاعلا، وإن سئلت عن "زيد" من قولنا "زيد قام" سميته مبتدأ اللفظ، فاختلفت السمة، فأما المعنى فواحد، فقد ترى سعة طريق اللفظ وضيق طريق المعنى[2]).

فاتباع قواعد نظرية العامل الشكلية لدى النحاة هو الذي أهدر المعنى ههنا بأن غطى على المعنى الوظيفي لتقديم الفاعل بالقول إنه مستتر بعد تقدمه، وهذا أدى بدوره الى بروز تصنيف شكلي للجملة العربية لا يخدم المعنى بل يناهضه في كثير من الأحيان، ويبدو هذا بوضوح في عدم وجود فرق لدى نحاة البصرة بين الجملة الفعلية المتقدم فاعلها والجملة الاسمية المكونة من اسم معرفة متلو بصفة نكرة، فكلتاهما جملتان اسميتان عندهم بسبب ابتدائهما باسم، ولا يهم

---

[1] - الخصائص لابن جنى ، ص 280/1.

[2]- السابق ، ص343/1

عندهم اختلافهما في الأصل ولا اختلافهما في الإسناد أو في الزمن، كما لا يهم أيضا الاختلاف بين التركيبين في الأسلوب، فالأولى جملة فعلية مؤكدة بتقديم الفاعل (فهي خبر غير ابتدائي بحسب تعبير عبد القاهر) والثانية جملة غير فعلية مثبتة وحسب (فهي خبر ابتدائي على اصطلاح عبد القاهر)، وهذا أمر مفهوم لأن ذلك التصنيف الشكلي للجملة الذي أخذوا به لا يدع مجالا لإبراز المعنى أو تصور الفروق الوظيفية بين مختلف أشكال التراكيب، وأدى إلى بروز تحليلات ومصطلحات شكلية قسرية لا مسوغ لها إلا أنها

نتاج قواعد نظرية العامل الشكلية، وأوضح مثال على ذلك اختلاقهم العجيب لباب الفاعل الساد مسد الخبر في الجملة فير الفعلية التي قدم المسند فيها، فالنحاة يذكرون أنه يغني عن الخبر مرفوع وصف معتمد على استفهام أو نفي، ويشرحون هذا بأن المبتدأ إذا كان وصفا معتمدا على نفي أو استفهام استغنى بمرفوعه عن الخبر نحو. (أقائم الزيدان؟) و(ما قائم الزيدان)، ف (الزيدان) فاعل للوصف (قائم) والكلام مستغن عن الخبر، لأن الوصف هنا في تأويل الفعل[1] ، ويعربون كلمة (الزيدان) في الجملتين المذكورتين فاعلا سد مسد الخبر.

والحقيقة أن العملية الإسنادية تظل واحدة سواء تفدم المسند (الخبر) هنا أو تأخر، أو اعتمد على نفي أو استفهام أم لم يعتمد، وقد فهم بعض كبار النحاة القدماء ذلك، فهذا المبرد يرى جواز تقدم الخبر (أي المسند) دون أن يعتمد على وصف، اذ قال (وتقول: منطلق زيد، فيجوز إذا أردت ب منطلق) التأخير، لأن (زيدا) هو المبتدأ)[2].

والإشكال الاسنادي الذي يطرح فيما سماه النحاة الفاعل الساد مسد الخبر هو ذلك التناقض الصارخ في المعنى الإسنادي فيه، لأن

---

[1]- شرح قطر الندى لابن هشام، ص121 .

[2]- المقتضب. ص127/4

ذلك الوصف المتقدم أصبح مسندا ومسندا إليه في نفس الوقت بهذه التسمية المختلفة دون مسوغ، واعتماده على النفي أو الاستفهام لا يصوغ له هذا التناقض أبدا، بخلاف لو جاء الوصف بين فعل واسم نحو (جاء العالم أبوه)، ف (العالم) صلح مجيئه مسندا إليه ومسندا في آن واحد لأن الفعل قبله أسند إليه كما أسند هو بدوره إلى الاسم بعده، وشتان ما بينهما فالقياس مع وجدود الفارق الكبير لا يصح، والمسألة بعد هذا لا تحتاج الى أخذ ورد، فالوصف المتقدم فيما ذكروه من أمثلة قاطع في معناه، أي في

كونه مسندا لا غير ولا جدال في ذلك، ومن هنا وجدنا نحويا ومفسرا كبيرا - هو الزمخشري - يحلل الآية: (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) (مريم: 46) على أن الخبر(المسند) مقدم على المبتدأ(المسند اليه)، لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى ، وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته، ما ينبغي أن يرغب عنها أحد[1]، وهذا تحليل وظيفي يكشف عن معاني النحو المتوخاة ههنا، وهذا تطبيق واضح من الزمخشري لنظرية النظم لعبد القاهر التي تهدف أساسا الى توخي معاني النحو وأحكامه الحقيقية في تحليل نصوص اللّغة، في حين جوز ابن عقيل هذا التحليل كما جوز أن يكون (راغب) مبتدأ و(أنت) فاعلا سد مسد الخبر، ثم رأى أن الوجه الثاني أولى، لأن قوله (عن آلهتي) معمول ل(راغب)، فلا يلزم فيه الفصل بأجنبي بين العامل والمعمول، لأن (أنت) على هذا التقدير فاعل ل(راغب) فليس بأجنبي منه[2] . والملاحظ هنا أنه رغم وضوح المعنى في أن (راغب) في الآية هو مسند لا غير، ازور عنه ابن عقيل الى ذلك التحليل البين الخطأ، والحجة والمسوغ في ذلك-كما هو واضح- القواعد الشكلية لنظرية

---

[1]- تفسير الكشاف للزمخشري ، ص 511/2 .

[2]– مختصر شرح ابن عقيل، ص63–64 .

العامل (كالقول بالاعتماد ههنا والفصل بأجنبي وعدمه ...الخ) والتي نراها هنا تحرف المعني عن مواقعها، إذ ما قيمة القول بالفصل بأجنبي بين العامل والمعمول شكليا -وهو في الحق ليس كذلك لأن كل ما في الأمر أن هناك تقديما على نية التأخير أهمل النحاة ههنا وظيفته ومغزاه بسبب قيود نظرية العامل الشكلية - أمام العلاقة التركيبية الوظيفية الواضحة جدا- دلاليا بين الوصف التقدم والضمير الذي أسند اليه، والتي لا يحجبها لا

دخول همزة الاستفهام على الجملة ولا التقديم للمسند، وهما عنصرا تحويل طرأ على الجملة ولا تتعدى وظيفتهما تعديل الغرض الأسلوبي لها، فالأول أدخل الجملة في حيز الاستفهام، والثاني أضاف إليها معنى التوكيد. ولا ريب في أن كلا التحويلين من معاني النحو وأحكامه التي انصرف عنها النحاة انصرافا لانشغالهم (الضار بنحو اللّغة كما تبين) بقضايا العامل والمعمول ومسائلها الأجنبية عن اللّغة ووظيفتها اكتسابا واستعمالا.

ويلاحظ بعد هذا شكلية مصطلح المبتدأ فيما سموه بالجملة الاسمية، فهذا المصطلح لا يعبر حقيقة عن وظيفة المسند إليه في الجملة، أي بحسب علاقاته النحوية أي الإسناد؛ قال ابن هشام عن الإسناد إلى الاسم: (هو أن يسند إليه ما تتم به الفائدة سواء كان المسند فعلا أو اسما أو جملة ...)[1]، وهذا انتحاء وظيفي صرف يتجاوز الأشكال والرتب، ضاربا في عمق الدلالة النحوية، ولكن - للأسف- لم يلتزم النحاة بهذا المنهج الوظيفي في تحليل الجملة ووصفها وتفسيرها، فراحوا يستعملون مصطلحات متناقضة لا تعبر مطلقا عن العلاقات الإسنادية ووظائفها التركيبية في الجملة، فسموا المسند إليه فيما اصطلحوا عليه بالجملة الاسمية (المبتدأ)، وسموا المسند فيها (الخبر)،

[1]- شرح شذور الذهب لابن هشام . ص 23/1 .

وهاتان تسميتان متناقضتان، فالأول: تسمية شكلية تشير إلى الرتبة في ظاهرها، وتشير فيما وراء ذلك إلى مسألة العمل والعامل عند النحاة الذين أطلقوا هذه التسمية أو أخذوا بها، قال ابن جني: (اعلم أن المبتدأ كل اسم ابتدأته وعريته من العوامل اللفظية وعرضته لها، وجعلته أولا لثان، يكون الثاني خبرا عن الأول ومسندا اليه، وهو مرفوع بالابتداء، تقول: "زيد قائم" و "محمد منطلق" ف(زيد) و(محمد) مرفوعان بالابتداء وما بعدهما خبر عنهما). (كتاب اللمع في العربية ج: 1 ص:25)،

فهذا كلام واضح لا لبس من إمام كبير من أئمة النحو البصري القائم أساسا على نظرية العامل الشكلية، يدل على شكلية مصطلح (المبتدأ) وعدم وظيفيته قول ابن هشام – وهو من كبار أئمة النحو البصري المتأخرين ـــ عن (المبتدأ): (المبتدأ: هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية للإسناد، ... وخرج بالمجرد. نحو زيد في (كان زيد عالما)، فإنه لم يتجرد عن العوامل اللفظية...)، فالمسند عندهم لا يسمى مبتدأ إذا دخلت عليه (كان) الناقصة وما شاكلها من العوامل اللفظية الأخرى، لأنه لم يبتدأ به معرّى من العوامل كما قالوا، قال أحد النحاة في شرح التجريد من العوامل اللفظية في المبتدأ والخبر: (المبتدأ والخبر... هما الاسمان المجردان للإسناد نحو قولك: زيد م ـ شرح قطر الندى لاس هشام، ص: 116-117- .

نطلق، والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي كان وإن وحسبت وأخواتها، لأنهما إذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع)[1].

وقد حاول عبد القاهر بعقليته الوظيفية أن يلبس هذا المصطلح الشكلي الصرف رداء وظيفيا فقال: (وهاهنا نكتة يجب القطع معها

---

[1]- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ٠ ص 1/ 43.

بوجوب هذا الفرق أبدا وهي أن المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى، تفسير ذلك أنك إذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق لزيد وأسندته إليه فـ(بزيد) مثبت له و(منطلق) مثبت به، وأما تقدم المبتدأ على الخبر لفظا فحكم واجب من هذه الجهة، أي من جهة أن كان المبتدأ هو الذي يثبت له المعنى ويسند إليه، والخبر هو الذي يثبت به المعنى ويسند ، ولو كان المبتدأ

مبتدأ لأنه في اللفظ مقدم مبدوء به لكان ينبغي أن يخرج عن كونه مبتدأ، بأن يقال (منطلق زيد)، ولوجب أن يكون قولهم : إن الخير مقدم في اللفظ والنية به التأخير محالا ...)[1] ، ولو كان ما ذكره عبد القاهر صحيحا لظل النحاة على تسميتهم للمسند إليه مبتدأ بعد دخول ما سموه العوامل اللفظية عليه. نحو (إن عليا ناجح)، ولكنهم لم يفعلوا، وهذا يرد عليه، وكلام ابن جني المذكور آنفا يفند ما ذهب إليه؛ لاسيما قوله: (اعلم أن المبتدأ كل اسم ابتدأته وعربته من العوامل اللفظية وعرضته لها وجعلته أولا لثان...)، ثم إن قوله:(وأما تقدم المبتدأ على الخبر لفظا فحكم واجب من هذه الجهة أي من جهة أن كان المبتدأ هو الذي يثبت له المعنى ويسند إليه)؛ فليس مسوغا أبدا لتسميته مبتدأ، وإلا لسمينا (الفعل) في الجملة الفعلية مبتدأ أيضا، لأن حكم تقدمه على الفاعل واجبة عندهم، بل هو أوجب في هذا، لأنهم يسوغون في حالات كثيرة تقدم المبتدأ على الخبر، ولا يسوغون أبدا تقدم الفاعل على الفعل، ولو تقدم لسموه مبتدأ، فالفعل من ناحية وجوب حكم الابتداء به أولى بتسميته مبتدأ من المبتدأ، إذن فالإبداء سمة لفظية لا معنوية وليست محفوظة للمبتدأ ، إذ هو قد يتأخر لعدة دواع وعندها لا تكون قرينة لفظية له، أي دليلا لفظيا عليه، بل الذب يبقى هو الدليل المعنوي

1- دلائل الإعجاز ، ص 51

الوظيفي وهو الاسناد ولهذا فتسميه مسندا إليه هي الأليق به والأصلح له وظيفيا، وأما قوله: (ولو كان المبتدأ مبتدأ لأنه في اللفظ مقدم مبدوء به لكان ينبغي أن يخرج عن كونه مبتدأ، بأن يقال "منطلق زيد"، ولوجب أن يكون قولهم: إن **الخبر** مقدم في اللفظ والنية به التأخير محالا) ؛ يردّ حقيقة على اساة في تسميتهم المسند إليه في الجملة غير الفعلية مبتدأ.

هذا ولم تقف سيطرة المنهج الشكلي على النحو القديم (البصري) - الذي أوجده بالتأكيد الأخذ بنظرية العامل في التقعيد النحوي وصفا وتفسيرا -عند حدود معينة بل اكتسح أغلب جوانب الدرس النحوي فلم يفلت من قبضته إلا النزر اليسير ويتبدّى ذلك بوضوح في التصنيف الشكلي لأبواب النحو وموضوعاته ومسائله، والمعروف بداهة في الدرس النحوي قديما وحديثا أن قواعد النحو يجب أن تتوخى المعنى في كل جوانبها، حتى إن الشكل يجب أن يخضع للمعنى، وتصنيف الأبواب أو الموضوعات للدرس النحوي لأي لغة هو عمل تنظيمي يهدف إلى توزيع جملة الأشباه والنظائر من المسائل وتقسيمها على أبواب مختلفة، ولا يتم ذلك – وظيفيا وطبيعيا - إلا بحسب المعنى، إذ التناظر والتشابه هو دلالي بالأساس.

وليس يخفى أن تقسيم موضوعات النحو وتصنيف قواعده منذ القديم في العربية يقوم في معظمه على سمت شكلي صرف، إذ هو مبني على أساس شبه إعراس أو تماثل حركي أملته فكرة العمل النحوي بما تصوره من صلات شكلية بين العوامل والمعمولات، أما العلاقات والروابط الوظيفية والدلالية فلم تكن محل قصد إلا لماما ط وتبدى ذلك واضحا في ضم عناصر إلى أخرى لا يجمع بينها رابط من معنى سوى اشتراكها في شكل الأثر المحدث سواء أكانت عوامل أم معمولات، كجعل باب للمنصوبات يضم العمد والفضلات.

ومن أبرز أمثلة التصنيف الشكلي التبويب الشكلي للأدوات أو حروف المعاني (لاحظ تسمينها أي حروف المعاني وليست حروف الأشكال)، كجمع أدوات نصب المضارع في باب واحد دون جامع دلالي وظيفي بينها وهو الأهم كما في جميع اللغات، إذ هو الذي يبين طريقة الاستعمال، وهذا التبويب الشكلي للأدوات عام في المنهج وينسحب على جميع الأدوات النحوية، وهذا عين المنهج الشكلي القديم.

وكالجمع بين أدوات لا صلة بينها الا ما تحدثه من أثر إعرابي كباب (إنّ) وأخواتها الذي أدرج فيه النحاة أدوات لا صلة بينها في المعنى الذي تفيده، فكل أداة منها تفيد أسلوبا يختلف عن أسلوب الأخرى، فـ(إنّ) تفيد التوكيد و(لكنّ) الاستدراك و(لعلّ) الترجي و(ليت) التمني وهلم جرّا، ولا جامع بين هذه الأدوات سوى ما تقتضيه من نصب في مدخولها. وكالجمع بين (إنْ) الشرطية و(لم) و(لمّا) النافيتين في باب واحد لمجرد ما تقتضيه من جزم للأفعال بعدها، والمفارقة هنا أنهم قد أخرجوا أدوات تفيد الشرط ك(إذا) و(لو) و(لولا) من هذا الباب لأنها لا تقتضي الجزم، وهذا دليل صارخ على طغيان المنحى الشكلي على التصنيف النحوي للأبواب والموضوعات.

وقد يوهم بعض الأبواب بأن التقسيم أو التصنيف هو وظيفي، ولكن عند التدقيق يبدو الأمر غير ذلك كباب (كان) وأخواتها الذي يبدو أن عناصره تشترك في كونها دوال زمنية مثل (أصبح) و(صار) و(بات)، ولكن تحليل النحاة الشكلي الصرف لتراكيبها وإدراج أدوات أخرى معها من أسلوب النفي ك(ليس) و(ما) يبطل ذلك الوهم إبطالا، فالنحاة جمعوا بين عناصر هذا الباب في التصنيف لكون كل واحد منها يقتضي رفع المسند إليه ونصب المسند وحسب، وهذا ما عرف عندهم النواسخ، لأنها تنسخ حركة المسند (الخبر عندهم) بعكس أخوات (إنّ) التي تنسخ حرمة المستند إليه، وقد سميت بالفعل بالنواسخ في مقررات النحو في مرحلة التعليم الأساسي . أما كونها دوال زمنيه فلم يدر بخلد

النحاة قط أثناء تصنيفهم لها ; وقد يشرون الى دلالها الزمنية ولكن على استحياء ودون قصد .

وهناك "التوابع"، وهو مصطلح شكلي قديم قصد به خمسة أبواب مشهورة من أبواب النحو، هي النعت والتوكيد المعنوي والبدل والعطف وعطف البيان،

والمقصود بالتبعية في هذه الأبواب التبعية في الشكل الإعرابي، جاء في كتاب السنة السابعة:(التوابع كلمات تتبع ما قبلها في الحركات الإعرابية، وهي النعت، العطف والتوكيد، والبدل) (ص145)، إذن التبعية بين هذه الأبواب النحوية شكلية وليست دلالية وظيفية، ولو كانت وظيفية - وهو الأحرى أن يكون- لكان باب الحال مثلا أقرب رحما معنويا إلى النعت من العطف أو التوكيد، آية ذلك أن النحاة قد لاحظوا تقاربهما الشديد لاسيما إذا كانا جملتين، فصاغوا لأجل ذلك قاعدتهما الشهيرة "الجمل بعد المعارف أحوال وبعد النكرات نعوت” ، هذا فضلا عن أن النعت والحال كليهما لتخصيص أو تقييد ما تعلقا به في الجملة، في حين أن العطف هو لمشاركة ما قبله في وظيفته التركيبية إسنادية كانت أو تخصيصية، وشتان ما بين الغرضين هذين نحويا، وعلى هذا كان على صانعي المقرر الأساسي في النحو أن يفصلوا فصلا تاما بين العطف وبين ما سموه بالتوابع من الأبواب الأخرى، فيجعل في فصل وحده في ختام الحديث عن أبواب الإسناد والتخصيص، لأن العطف هو توسّع تكراري في كل باب نحوي، أي أنه يفيد الشركة وظيفيا في التركيب إثر كل باب معطوف عليه، فالمعطوف على المسند مسند مثله، والمعطوف على المسند إليه مسند إليه مثله، والمعطوف على المفعول مفعول مثله، والمعطوف على الحال حال مثله في المعنى، وهلم جرا مع بقية الأبواب.

والنظرة الدلالية الوظيفية إلى أبواب ما سمّي شكليا بالتوابع (ما عدا العطف) تقتضي جعلها مع بقية الأبواب الأخرى (المسماة

بالفضلات أي ما يفضل على المسند إليه والمسند من أبواب نحوية كالحال والتمييز والمفعول فيه والمفعول المطلق...) في قسم واحد يجمعها وظيفيا هو التخصيص، لأن كل باب منها يقوم بهذه الوظيفة العامة في مقابل وظيفة الإسناد، ولكن على طريقته الخاصة التي تميزه عن غيره من

ابواب التخصيص، فالحال والنعت مثلا يتشابهان في كونهما من المخصصات في الجملة ، بيد أن طريقة التخصيص في كل واحد منهما مختلفة عن الأخرى نحويا والشكل الإعرابي لا يهن هذا كثيرا فقد تتبع الحال صاحبها في الشكل الإعرابي في حالة النصب كما النعت، وقد لا تظهر حركة الإعراب فيهما كما في الأمثلة التالية:

أ- رأيت الرجلَ **ضاحكا**: حال

ب - رأيت الرجلَ **الضاحك**: نعت

ج - رأيت رجلا **على رأسه طير**: نعت

د - رأيت الرجلَ يضحك: حال

وعلى هذا لا يلاحظ متعلم العربية التبعية الإعرابية كمميز شكلي بين النعت والتل لتماثلهما فيها كما في المثالين (أ، ب)، أو لانعدام الحركة الإعرابية فيهما أصلا كما في المثالين (ج، د)، ولا ينبyى في مثل هذه الحالات إلاّ الفارق المعنوي بينهما في مقابل الجامع الوظيفي الذي يجمعهما أي التخصيص.

في درس البناء والإعراب يلاحظ ترسّخ المنهج الشكلي الإعرابي في تحليل هذا الموضوع، ويتمثل في جعل ١العلامة الإعرابية مناط الاختلاف الوظيفي الوحيد بين الكلمات في التركيب٠ ويبدوا هذا واضحا في تعريف "المعرب" و"المبني"، يقول كتاب السنة الثامنة: (كل كلمة تؤدي وظيفة معينة كالفاعلية والمفعولية والخبرية، وهذا التنوع في الوظيفة يستلزم تغيير آخرها، ويسمى هذا إعرابا وتسمى الكلمة بسببه معربة لكن توجد كلمات يلازم آخرها علامة واحدة، وإن

تغيرت وظيفتها، وهذا يسمى بناء، والكلمة بسببه تسمى مبنية) (ص34).

وهذا التعريف يهمل حقائق مهمة جدا، منها أن العلامة الإعرابية لا تدل على تنوع الوظائف في التركيب في المعربات، فهي في أكثر الأحيان قاصرة عن ذلك لأنها

لا تظهر على كثير منها، كما في الكلمات المقصورة والمنقوصة، ومن الحقائق الهمة الأخرى أن التنوع في الوظيفة لا يستلزم تغيير آخر الكلمات المعربة ولو كان التنوع في الوظيفة يستلزم تغير آخر الكلمات لما وجدت الأبواب النحوية المختلفة وظيفة في التركيب والمتناظرة إعرابا، وهذه هي السمة الغالبة على الوظائف في التركيب. وهذا أمر حتمي لأن الحالات الإعرابية قليلة جدا لا تتعدى الرفع والجز والنصب وأحيانا الجزم في الأفعال، في حين الوظائف النحوية هي أكثر من ذلك بكثير، فنحن واجدون -مثلا -أن أبواب التخصيص في النحو تشترك أغلبها في النصب مع أنها تربو على العشرة (المفعول الطلق والمفعول به والمفعول فيه والمفعول له والمفعول معه والمستثنى والتمييز والحال والنعت المنصوب والبدل المنصوب والتوكيد المنصوب)، فهذه الأبواب المختلفة الوظائف لا تجدي حركة الاعراب فتيلا في التفريق ببنها، لأنها هنا. مناط اللبس وهذا يدل دلالة قاطعة على ان التعويل على حركة الإعراب وجعلها قرينة كبرى في التحليل الوظيفي منهج خاطئ لا ينهض بفهم نحو العربية ولا بتفسير قواعدها. وعلى هذا يظهر أن الإعراب ليس في الغالب إلا شكلا اقتضائيا وهو أحيانا قد يكون قرينة متواضعة وذلك إذا كان اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف الوظائف، كما في الآية: (وابتلى إبراهيم **ربه** بكلمات...).

ومن أعظم آثار المنهج الشكلي القديم التسمية الإعرابية لأدوات التي هي حروف معان أولا لآخرا، كتسمية حروف الإضافة بحروف الجر، كأن وظيفتها هي الجرّ. وقد سماها النحاة المتأخرون بهذا المصطلح الإعرابي الشكلي الصرف لكونها تعمل إعراب الجر كما

قيل حروف النصب وحروف الجزم[1]، والواقع أن الجز اقتضاء شكلي وحسب، فالكلمات التي يظهر عليها الإعراب تجن اقتضاء بعدها ٠ أما وظيفة هذه الأدوات في العربية فهي ابلاغ معنى الفعل أو ما هو في حكمه إلى صورة من صور المفعول أي المتعلق بالفعل (انظر نحو القرآن 50،51)، ومن هنا وجب إعادة النظر في هذا المصطلح الشكلي" لأنه لا يعبر عن معناها ووظيفتها الحقيقية في الكلام، والمصطلح اللائق بها وظيفيا هو حروف الإضافة، وهذه التسمية معناها - كما يقول ابن يعيش- أنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها[2] والإضافة هي نسبة وارتباط بين شيئين على وجه لا يدل ارتباطهما على فكرة تامة[3]. وقد فهم حذاق النحاة اصطلاح الإضافة على أنه النسبة إلى الشيء بواسطة حرف الإضافة لفظا أو تقديرا، وهذا يشمل النوعين: ما سموه الجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه[4]، وقد سمى سيبويه مدخول حرف الإضافة بالمضاف إليه[5]، وقد شرح سيبويه دقة معنى الإضافة" في تركيب حروف لإضافة فقال:(وأما الباء وما أشبهها فليست بظروف ولا أسماء، ولكنها يضاف بها الاسم ما قبله أو ما بعده... وإذا. قلت: مررت بزيد فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء، وكذلك هذا لعبد الله...) [6]، وقد سمى الخليل حروف الجر

---

[1]- الهمع للسيوطي19/2

[2]- شرح المفصل لابن يعيش، ص 7/8.

[3]- في النحو العربي قواعد وتطبيق د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، ص183.

[4]- انظر الأمالي النحوية لابن الحاجب، ص 59،

[5]- انظر الكتاب لسيبويه، ص: 419/1,

[6]- السابق 1 ص: 420.

بحروف الإضافة[1] وتابعه سيبويه في هذا وأكثر من استخدام اصطلاح حروف الإضافة[2]: وسماها أيضا بحروف الخفض متأثرا بمنهج نظرية العام، وقال الزمخشري:(ومن أصناف الحرف حروف الإضافة سميت بذلك لأن وضعها على أن تقضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء، وهي فوضى في ذلك وان اختلفت وجوه الإفضاء[3]، وقال أحد النحاة عن (حيث): (تضمنت معنى حرف الإضافة، إذ من حكم كل مضاف أن يظهر بعده حرف الإضافة نحو غلامك وثوب خز وقدامك، فلما لم يظهر كان متضمنا لها)[4] وقال ابن جني عن معنى "الباء": (وأما الإضافة فقولك مررت بزيد أضقت مرورك إلى زيد بالباء. وكذلك عجبت من بكر أضفت عجبك من بكر إليه بمن) [5].

ولطغيان المنهج الشكلي في درس الأدوات النحوية (أي حروف المعاني) لا يعرف جل المشتغلين بتعليم العربية أو تعلمها التسمية الحقيقية لما يسمونه شكليا بحروف الجر، بل يستغربون التسمية الوظيفية لها وهي (حروف الإضافة)، وأحيانا ينكرونها مع أنها هي الصواب عينه، وهي تسمية الخليل وسيبويه. ولنفس السبب الذي ذكرناه آنفا لا يعرف أيضا هؤلاء الصلة الوظيفية بين حروف الإضافة وبين ما يطلق عليه في النحو (المضاف والمضاف إليه)، فهم لا يعرفون أن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه - وهي الإضافة- لا تتحقق إلاّ من خلال بعض حروف الإضافة ومعانيها، فهم يقفون عند كون هذه الحروف جارة وعند كون المضاف إليه يأتي مجرورا، ويحسبون أن

---

[1]- السابق ص: 497/3.

[2]- انظر مثلا ص17/1'، 38، 225.217/3 .

[3]- المفصل للزمخشري ص 337 .

[4]- الباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء بن الحسين، ص: 2/ 79.

[5]- سر صناعة الاعراب لابن جني، ص 123 .

العلم بهذا هو غاية النحو، وما عرفوا أن هذا هو في معظمه لا يكاد يتجاوز قشرة الشكل، وأنهم ما زالوا بعيدين كل البعد عن لبّ الدرس وفحواه ، لأن الأهم في هذه الأدوات هو درس ما تفيده من معان دقيقة تضيفها إلى مدخولاتها أو متعلقاتها أو إلى كليهما، والجر كسمة شكلية قد لا يظهر البتة، وكذلك عندما تدخل هذه الحروف على المقصورات والمنقوصات والمبنيات (وما أكثرها)

والجمل بعد (أنْ) و (أنّ) الرابطتين. وعندها لا تبقى إلا المعاني والدلالات. وهي المقصودة قصدا في اللّغة من استعمال هذه الأدوات.

ومن أقبح صور التحليل الشكلي الساذج اختزال وظائف بعض أدوات الجمل المهمة جدا في وظيفة شكلية وهمية. كالقول عن (إنما) - وهي أداة قصر وما أدراك ما القصر في القرآن وفي كلام العرب— إنها كافة ومكفوفة. وقد علموا المتعلّم أن يكتفي في إعرابه لها بهذا التحليل الذي لا علاقة له بواقع اللّغة العربية أو بنحوها. فهل نقول لشخص صيني مثلا— "يتعلم العربية قاصدا استعمالها وفهم تراكيبها" عن هذه الأداة الرائعة في نحو (إنّما عليّ طالب) مثل هذا الكلام المضلل والحاجب لمعناها ووظيفتها في الاستعمال؟ ويفسرون كونها كافة ومكفوفة شكليا بأن أصل(إنّما) هو (إنّ) التوكيدية الناصبة للمسند إليه. فلمّا دخلت عليها (ما) كفتها عن عمل النصب. يقولون هذا غير ملتفتين إلى معناها النحوي في التركيب. وغير عالمين بأن هذا التفسير على شكليته وضحالته هو مضلل لأنه غير صحيح. ذلك أن (إنّما) هي أداة مستقلة لفظا ومعنى عن (إنّ) التوكيدية. آية ذلك معنى القصر الذي تدل عليه وظيفيا وكذا دخولها على الأفعال كما في الآية ; (قل إنّما حرّم ربي ا لفواحش ...)، فكيف يقال هنا إنها كافة وكفوفة؟ هل تدخل (إنّ) على الفعل حتى تكف عنه؟ وحتى لو كانت الأداة مركبة مما زعموا فإن بناءها الجديد دل على معنى وظيفي جديد مخالف للتوكيد كليا هو "القصر". وليس مهمّا البتة اقتضاؤها الإعرابي فيها تضامت معه. ويكفي هنا ملاحظة أنها لا تقتضي حركة بعينها في ضميمتها. قال أبو إسحاق عن (إنّما) في الآية: (إنّما حرم عليكم الميتة...): (والذي أختاره

أن تكون "ما" هي التي تمنع "إنّ" من العمل ويكون المعنى ما حرّم عليكم إلاّ الميتة،

لأن "إنّما" تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه)[1]، وقال عبد القاهر عن معناها الوظيفي في الكلام: (اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره. فإذا قلت "إنما جاءني زيد" عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو إلا أن لها مزية وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وفي حال واحدة وليس كذلك الأمر في جاءني زيد لا عمرو فإنك تعقلهما في حالين).[2]

ومن أوضح آيات المنهج الشكلي في كتب النحو في المستوى الأساسي نكر الإعراب التقديري والمحلي في التحليل والتمثيل. وهو مما لا فائدة منه وظيفيا أو دلاليا في التعليم الأساسي. بل إن فيه إرهاقا للذهن بدون طائل. كما أن الكلمات التي لا تظهر عليها العلامة الإعرابية. لكونها مبنيه أو منقوصة أو مقصورة. ليس من المنهج الوظيفي ربطها شكليا بالإعراب المحلي أو التقديري. لأن العلامة الإعرابية لم تظهر عليها، ومن ثم فقدت عالميتها (فكيف تكون عادمة وهي لم تظهر؟). فنحن قد نستغني عن ذكرها في التركيب وهي ظاهرة إذا لم تخرج عن أصلها ولم تكن قرينة لفظية دالة. فكيف بها وهي غير ظاهرة أو منعدمة أصلا. كما في الجمل أو أشباه الجمل عندما تسند إليها بمجملها وظيفة تركيبية.

أما ما سمّوه بعقدة التوابع في تسويغهم للإعراب المحلي أو التقديري. فليس ذلك بمسوغ لتعميم هذا الإعراب بدون طائل أو فائدة وظيفية على كل الكلمات والتراكيب، فقولنا: (ضرب موسى عيسى): فـ

---

[1]- دلائل الإعجاز ص235.

[2]- السابق ص 275.

(هوسى) مسند إليه، و(عيسى) مفعول به، ولا حاجة هنا إطلاقا لتقدير الحركات لا وظيفيا ولا شكلها، فالرتبة لفظيا هي التي عينت وظيفة السمين في الجملة، والعجب هنا أن المعرب لا يقدر الحركة إلا إذا عرف الموضع، وهو لا يعرف الموضع إلا بواسطة القرائن المعنوية كالإسناد والتعدية والملابسة وغيرها، أو اللفظية كالأداة والرتبة، وإذن ما فائدة تقدير الحركة وظيفيا؟ أما إذا جيء بالنعت بعد هذين الاسمين مأن نقول: (ضرب موسى الطويل عيسى القصير)، فمن الواضح هنا، موضع (موسى) الرفع لأنه مسند إليه ولهذا فنعته مرفوع، و(عيسى) موضعه النصب لأنه مفعول به فنعته منصوب، هذه هي عقدة التوابع التي سوغوا بها الاعراب المحلس والتقديري وما هي بعقدة كما رأينا، ثم إن العربي عندما كان يتكلم لم يكن بقدر الحركة هنا، وحتى المتكلم العربي المعاصر لا يقدر الحركة، بل يكفيه أن يعرف الموضع المعهود للفظ المنعوت حتى ينتقل إلى النعت.

ويزداد تسويغ الإعراب المحلي والتقديري غرابة إذا كان التابع والمتبوع مما لا تظهر عليه العلامة الإعرابية، كأن نقول: (جاء فتى يتكلم) وكذلك إذا كان الباب النحوي أو الوظيفة التركيبية في صورة جملة لا تقبل أن يتبعها تابع معرب نحو: (محمد "أخوه قادم")، فما هي الجدوى في النطق أو المعنى -ولو ضولت جدا-من جعل الجملة الواقعة مسندا في محل رفع إلا تحقيق الأثر الوهمي الذي تقول به سفسطة نظرية العامل عند نحاة البصرة؟ والغريب هنا، النحاة يعربون المسند الفعلي في تركيب (كاد) وأخواتها في نحو(كاد المطر يسقط) جملة في محل نصب خبر (كاد) ، وفي هذا أخطاء متراكبة، منها أن الفعل (يسقط) مفرد وقع مسندا . ما الفائدة من إعرابه جملة وهو قد أسند إلى (المطر) قبله وظيفيا؟ ثم لماذا أعربوا هذه الجملة المزعومة في محل نصب ولم يأت خبرها (كما سمّوه) اسما أو صفة منصوبين يمكن القياس عليهما كما فعلوا في (كان). وهم قد أقروا في قواعدهم بأفواههم أن خبر كاد لا يأتي إلا فعلا مضارعا؟

يجب أن يعرف الناس اليوم أن النحاة قد جعلوا هذا وغيره لتحكيم قواعد نظرية العامل الشكلية التي تقوم على مبدأ سقيم هو تأثير العامل في العمول رفعا أو نصبا أو جرا فإذا لم يظهر هذا الأثر قدروه. فهم قد قالوا إن (كاد) عاملة النصب في خبرها، ولما كان خبرها فعلا أو جملة فعلية لا يظهر عليها النصب جعلوها في محل نصب، رغم أنهم يدركون أن هذا لا فائدة ولا طائل من ورائه لا في المعنى ولا في مكافحة اللحن في النطق أو الكتابة ولا في أي شيء آخر. والقول الواضح والسهل والوظيفي في وظيفة (كاد) في الكلام أنها أداة مقاربة. تتحول الجملة الفعلية بعد دخولها عليه إلى الزمن المقاربي، فإذا قلنا: (يقوم محمد) كانت الجملة أصلية. وإذا أدخلنا عليها (كاد) أصبحت محولة: (كاد يقوم محمد). وقد يقع تحويل آخر في الترتيب بتقديم المسند إليه على المسند لغرض التوكيد والتخصيص فيقال: (كاد محمد يقوم). وليس هناك البتة خبر منصوب أو مجرور.

هذا ، وقد يستغرق موضوع نقد المنحنى الشكلي في نحو البصريين عامة وفي مقرر النحو للمدرسة الأساسية المسند منه خاصة كتابا ضخما. لأن هذا النحو قد بني جله على أساس شكليّ هو منهج نظرية العامل القائمة على ثلاثة دعائم: العمل أو الأثر. العامل، والمعمول. وما عدا هذا هو مهمل أو زائد. ولا ينتظر عاقل البتة من نحو هذه هي دعائمه أن يكون وظيفيا معبرا عن أساليب الكلام وطرائق استعمالها. وعن المعاني ودقائقها; بل إنّ ما يتوقّع منه هو أن يكون شكليا لا يهمّ فيه إلا تحقق الأثر الإعرابي في العمولات عن طريق العوامل وما وراء ذلك هو فضول لا يلتفت إليه إلا لماما وعلى استحياء، بل إن ما يتعارض مع مقتضى العامل من معان وظيفية نحوية يعبث به ولا يقام له وزن فإن فإذا قالت -مثلا- قوانين العامل الشكلية إن هذه الأداة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها أو العكس، وكان المعنى يوجب أو يقتضي خلاف ذلك، يهدر المعنى هدرا ويخضع التحليل كليا لمقتضى العامل، أو ما يسميه النحاة القدامى مقتضى الصناعة النحوية.

أثر العولمة في اللسان الرسمي
(العربية نموذجا)

الدكتور حلام جيلالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

إن ظاهره العولمة ــــ في منظور الشمولية الكونية ـ باتت تتطاول على المجتمعات الوطنية والقومية في مقوماتها الثقافية الأساسية: الفكر، واللغة، والآداب. والفنون والتاريخ والعادات. والتقاليد. وحتى أنماط العيش والسلوك. مما يضع الدول أمام أخطر تحد ـ بعد زوال الاستعمار الاستيطاني والحرب الباردة ـ وهي نستشرق الألفية Iالثالثة.

وتأتي هذه الورقة لتطرح إشكالية العولمة. وأثرها في اللسان الرسمي للأمة. وتتمحور حول مفهوم العولمة. وأثرها في المجال اللغوي. وكيف يمكن اللسان العربي أن يواجه تحدياتها علميا وإعلاميا.

تشير القرائن والمعطيات الماثلة في الساحة الدولية المعاصرة أن الصراع القادم ـ خلال الألفية الثالثة ـ إنما هو صراع حضاري. مناطه القيم الرمزية والثقافية للأمة أكثر مما هو صراع اقتصادي على المنافع المادية. وإن كانا متلازمين.

ولا شك أن "ثمة جهودا خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة. ولا ريب أن الحصيلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي[1] وهو مجال يشمل بمعناه الإنساني (الأنثروبولوجي) كل ما أبدعه الإنسان أو ما اكتسبه. بما في ذلك الجانب الموضوعي المتصل بالممارسات الفكرية والفنية والأدبية والاجتماعية. أو الجانب الذاتي المتصل بالقيم العقلية والنفسية والروحية واللغوية. أي: ما يشكل في جملته المرجعيات الحضارية للأمة.

---

[1]- هانس بيتر مارين ونار الدشومان، فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ت/ عدنان عباس علي عدد 238 / 1989 عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ص490.

ومن هذه الوجهة تسعى العولمة لتجعل العالم المتعدد والتمايز والمختلف في جغرافيته. لغته وثقافته. وقيمه الحضارية. كتلة واحدة يحركها ويهيمن عليها جهاز أحادي القطب. هدفه تدويل الخدمات العامة[2] وخوصصة المؤسسات والكيانات المستقلة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا. وفتحها على العام أو عولمتها. فالعولمة الاقتصادية ليست بمنأى عن العولمة السياسية. وليست هذه بمنأى عن العولمة الثقافية. والخوصصة في النظام العالمي الجديد مرحلة تمهيدية في طرين العولمة كما هو الشأن في تفكيك السلطة إلى أحزاب متعددة الاتجاهات. وتجزئة الوحدة الوطنية الى أقاليم جهوية وأقليات. والقيم الرمزية إلى ثقافات ولهجات. ومؤسسات الإنتاج إلى شركات متعددة الجنسيات. مما يسهل توجيهها والهيمنة عليها. فهي من هذه الوجهة تقوم على منطق المغالبة: من لم يصل إلى تطوير مصادر قوته ويحافظ على قيمه الرمزية ويشارك في تصدير إنتاجه الاقتصادي والثقافي ينضو تحت طائلة أو هيمنتها العولمة.

مفهوم العولمة: إن العولمة مصطلح مقاسي (Standard) يشمل كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. وإن وجدناه في أساسه يرتكز على المضمون الاقتصادي. وهي تعني لغة: الكلية الجغرافية والبشرية ومقوماتها **المادية** والروحية، مما يجعلها تقابل في الألسن اللاتينية كلا من (Mondialisation) و(Globalisation).

ولكن أحسن تعريف لها ما ذكره عابد الجابري، وهو أنها " تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل- وجعله في مستوى التسخير العالي،

---

[2]- بريهو براجا– تدويل الخدمات وتأثيره في الدول النامية. مجلة التمويل والتنمية / عدد مارس 1996 واشنطن/ امريكا من نتائج العولمة في تدويل الخدمات ما يعرف بالخمس الثري. حيث إن قلة من السكان والدول تستأثر بأكثر من 85 % من الناتج العلمي في المجالات الاقتصادية والثقافية في ضوء حضارة التي تسعى العولمة لفرضها .

بحيث ينقل من المحدود المراقب إلى غير المحدود الذي ينأى عن المراقبة" [3]، ويقوم هذا التعريف على مبدأ تغيير الثوابت ويشد إلى العنصرين الآتيين:

أ – المحدود **المراقب**: وهو أساس الدولة الوطنية أو القومية أو الأمة، ويشمل: الحدود الجغرافية ، والسيادة السياسية وغيرها من مقومات البنية التحتية والفوقية في الدولة.

ب - غير المحدود وغير المراقب: وهو العالم، وتمثله هنا القوة المهيمنة في شكل دولا أو مجموعة من الدول أحادية القطب. ويقوم بإلغاء الرقابة على المقومات السابقة وتوسيع دائرتها وتوجيهها استهلاكيا لتبقى مسيرة من قبل شركات معينة ومسخرة وفق أهداف مرسومة.

ويرى المفكر محمود أمين العالم أن العولمة مفهوم مركب: سياسي، اقتصادي، ثقافي، يصبح معها الاستتباع كلها والسيطرة عامة: اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا وإعلاميا وإيديولوجيا ولغويا وثقافيا وحضاريا[4].

ويذهب كل من عقلة عرسان. وسمير أمين. وصادق جلال العظم وغيرهم. مذهبا قريبا مما سبق خلاصته أن العولمة تعني هيمنة دول المركز وسيطرتها -في ظل نظام عالمي- على بقية الدول الأخرى في جميع المجالات الحيوية. كوحدة سيبيرنية

---

[3]- محمد عابد الجابري: العولمة في الساحة الفكرية الراهنة. جريدة الرأي عدد 21 مارس 1999 وهران الجزائر.

[4]- محمود أمين العالم: الثقافة والعولمة النص الجديد ع/ 8/ 1988 دار الخشرمي المملكة العربية السعودية ص: 18

موجهة[5] أو هي (رسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره)[6] .

كما يذهب بعض الدارسين أنه مادامت ممارسة هذا النسق من التغيير في العصر الحديث مرتبطا بأمريكا. وأمها إنجلترا. وحفيدتها إسرائيل فقد بات هذا المصطلح يعني (الأمركة) ليصبح المفهوم السابق يعني تعميم الطابع الأمريكي في نموذج ما بعد الرأسمالية. وهو نوع من الاستعمار المفتن حيث سمى الخارجية الأمريكية الجديدة إلى البحث عن إجماع على سياستها الاحتوائية بواسطة قوى الإدماج المتمثلة في المؤسسات العالمية التي خضعت وظائفها للمراجعة وممارسة البعد العولمي بعد انتهاء الحرب الباردة[7] .

*** اللّغة والهوية الثقافية :**

إن التمايز أمر طبيعي في المجتمع الواحد. غير أن عنصر الانتماء الثقافي يظل بعدا حضاريا يعلن عن وجود الأمة واستمرار مشروعها المستقبلي المتميز، وتشكل الهوية الثقافية في هذا المجال تلك الحصيلة المشتركة بين الدين واللغة، والمعرفة والعمل. والفن، والأدب والتراث. والقيم. والتقاليد والأخلاق. والتاريخ، والوجدان. ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات وليست هذه العناصر ثابتة، بل متحركة ومتطورة أبدا باعتبارها مشروعا مستقبليا يواكب مستجدات العصر، وهي قابلة لتأثير والتأثر، كما يوجد

---

[5]- انظر: عقلة عرسان. الأسبوع الأدبي. سوريا عدد 5 / 5/ 1998 ص1. وانظر الجابري م-س وانظر Finance et développement. Septembre 1998 USA WASHIHNTONE P:36.

[6]- محمد عابد الجابري. م . س١ب. ص.11.

[7] - عقلة عرسان الأسبوع الأدبي سوريا عدد 5/5 / 1998 . ص: 1 .

قدر كبير من الثقافه إنساني آت من ا لتوا صل والتفاعل بين ثقافات الأم المختلفة. يوجد قدر خاص يحفظ هوية مجتمع من المجتمعات. وتمثل اللّغة أخص خصائص هذه الهوية...

والمقصود بعولمة الثقافة هو جعلها تصب في أهداف النظام العالمي الجديد. حيث تفرض نموذجا لغويا معينا. وآخر استهلاكيا بساعد على هيمنة الأقوياء وإضعاف طموح الأمم الأخرى ذات الحضارات العرقية. أو تلك الأمم التي تحمل بديلا فكريا وثقافيا. كما يحدث الآن في بعض دول العالم الثالث. العربية الإسلامية بخاصة.

ويبدو أن الحضارة الغربية قد خططت لهذا المنحنى. منذ أمد بعيد. وربما ظهرت بعض اثاره في الاقتصاد ولما تتضح معالمه في الثقافة، ومع ذلك، فإن العولة في المجال الثقافي تسير بسرعة فائقة مستعملة وسائل تكنولوجية متطورة كبنوك المعلومات. ووسائل الإعلام. والأقمار الصناعية ومراكز المعلوماتية عبر شبكات الأنترنيت. وبرامجها محررة غالبا بألسن محدودة ومقصودة.

ومن هذا المنطلق سيكون للعولمة تأثير خطير في عناصر تشكيل الهوية الثقافية للأمة. وخاصة وسيلة التواصل التي هي اللّغة. لأن تأثيرها في اللسان بات أمرا واقعا. وسيبلغ التسابق إلى الصدارة بين اللغات الضعيفة. التي لا تستطيع أن تواكب مستحدثات تكنولوجية متطورة.

وبدأ عولمة اللّغة مع محادثة التعامل الخارجي في تواصل الجماهير المباشر. إذ تفرض الشركات. والبنوك والمنظمات والمؤسسات العالمية والإعلامية التابعة لبعض الدول المتطورة تكنولوجيا. هيمنتها على دول أخرى قصد استغلال مجالاتها الثقافية الاقتصادية والسياسية إلى أن تصبح حقا مشاعا تستثمره القوى العالمية في تحقيق اغراضها، (7) وأكثر ما تعتمد في هذا المنحى على المعرفة العلمية والتقنية التكنولوجية والاتصال المعلوماتي، وهي ظاهرة تخول للأقوياء دخول كيانات الأمم في شكل خدمات اقتصادية أو ثقافية أو علمية أو عسكرية، وسرعان ما يمتد تأثيرها إلى الجانب. التواصلي،

فتعمل لغرض لغة أجنبية. باعتبارها لغة المعلوماتية - لتزاحم اللّغة الرسمية، في شكل ازدواجية تسهل التواصل والخدمات العامة، إلى أن تتغلب عليها.

ولعل الحديث عن اللّغة العربية والعولمة موضوع متشعب ليس في وسع باحث واحد أن يتناول كل قضاياه، لذلك تقتصر مداخلتنا على تأثير العولمة في اللّغة، وكيفية مواجهتها في هذا المجال.

***أثر العولمة في المجال اللغوي:**

من المقولات الاستشرافية في هذا التوجه، ما أشار إليه الكاتب صموئيل هافتينغتون، في قول له: إن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية[8]. ويقول السياسي الفرنسي بينو **Pinot** (وزير سابق في الحكومة الفرنسية): (لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية)[9] . وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية. وقد نكرت في إثارة أن عولمة الاقتصاد لا تتم بمنأى عن المجال الرمزي والثقافي للأمة. وتعد اللّغة أخص هذه المقومات الرمزية. وسعى النظام العالمي الجديد منذ أمد في تكريس هيمنة لغات معينة ونشرها بشتى الطرق والوسائل. وروج لها باعتبارها لغات العلم والعمل. حتى بات يعتقد ان اللغات الأنغلو سكسونية هي سر التقدم.

ومن الطروح الساذجة التي ينبذها التاريخ أن يربط التخلف والتقدم بلغة معينة. إذ لو كان الأمر كذلك لاكتفت الشعوب المتخلفة بتعميم استعمال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو اليابانية، ولأصبحت الدول الفرنكوفونية والأنغلوسكونية متقدمة.

---

[8]- د. بوزيد بومدين. العربية متعبة ،بأهلها. الخبر/ الجزائر 29 / 7 / 89 . ص: 21.

[9]- يرجع إلى .pinot

إن ربط التقدم والتخلف بطبيعة اللّغة أصبح أطروحة بالية لأن اللغة وسيلة وليست غاية، والتحكم في التكنولوجيا والمعلوماتية وإنتاجهما لا يقومان على لغة دون أخرى، بل إن اللغة الأم هي اللبنة الأساسية لأي إبداع، ولا توجد أمة من الأمم أسست حضارة بغير لغتها الرسمية.

ومن المؤشرات الدالة على بداية الصراع اللغوي في السنوات الأخيرة ما يأتي:

1- التنافس الرهيب في مجال المعلوماتية وشبكات الأنترنيت، ومحطات الإرسال التلفزيوني بلغات معينة ومحدودة. مما يحاصر كثيرا اللغات القومية.

2-العمل وإنتاج ثقافة استهلاكية تخدم النظام العالمي الجديد، وتوجيه المقومات الأساسية لدولة ما وتقليص خصوصيتها وبخاصة في الدول غير القادرة على الإنتاج الثقافي المتميز بلغتها الرسمية مما يسهل استتباعها حضاريا للغرب.

3-- محاولة إضعاف اقتصاديات بعض الأمم، من أجل تفويض حضارتها وإضعاف لغاتها مع تشجيع الأقليات اللغوية ودفعها إلى خلق صراعات داخلية كما هو الشأن في الاتحاد السوفياتي (سابقا) والعراق والجزائر وغيرها.

4- التأثير في ذاكرة الأمة، بالسعي إلى طمس تراثها الثقافي الأصيل ومحاولة تشويهه[10] وفقا لنظرية الحتمية اللغوية التي قام بها الفيلسوف الألماني ولها لم همبولت (1767 - 1835 W.HUMBOLDT) ثم أثارها اللغوي الأمريكي إدوار سابير E.SPIR، ونظرتهم إلى الكون، للعادات التي اكتسبوها من خلال استعمالهم لغة قومهم[11].

---

[10]- تأثيرات العولمة في ذاكرة الأمة، ندوة القاهرة الخبر 4 / 8 / 89 ص: 21

[11]-الشاذلي الفيتوري: اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت دار الشرق، 1982، ص 86 وما بعدها.

5 – استغلال صدمة الحداثة من أجل تحقيق العولمة وتصدير ثقافات لغات معروفة بوسائل متطورة إلى شعوب لا تقوى على مواجهتها مما يؤدي في النهاية إلى الاستسلام والتقاعس يقول العالم الأمريكي مارك شارل Marc RICHELLE : إنّ في الاصطدام الثقافي شقما حقيقيا ينتاب الثقافة المصدومة[12].

6 – ويتضح من هذا أن المعركة في الميدان اللغوي من الغزو أو الاستعمار الطوعي، يمارس على كل أمّة لإضعاف مقوماتها الحضارية وفي مجال اللغة يمون اللسان المبين المواكب لتكنولوجيا العصر هو الذي يفرض نفسه على الآخرين ويدخل المحافل الدولية، أو بمعنى آخر فإنّ اللسان القوي هو المتحدث واللسان الضعيف هو المستمع وشتان بين الموقفين ويبدو من الناحية أن للعولمة جانبا إيجابيا من حيث إنّها "قادرة على فرض وإنتاجه ثقافة ذات طابع كوني بمشاركة مفتوحة من كافة الأمم[13]. غير أنّ هذه المشاركة غالبا ما تكون جائزة ويكون فيها التأثير الأكبر للدولة المتقدمة التي تملك وسائل لغوية واتصالية قوية ومتطورة.

وتؤكد الشواهد التاريخية أن فناء الأمم نادرا ما يكون بسبب الإبادة الجسدية عسكريا أو بسبب الانتماء السياسي أو اختلاف الأجناس، وإنّما يكون بسبب اختفاء لغاتهم.

ومن الثابت أن القوة المادية تكون نتيجة القوة الرمزية فالقوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية كثيرا ما تكون عرضة للانهيار إن لم تمتلك كيانا ثقافيا وقيما حضارية تصونها، وأكثر ما تتجلى هذه القيم في اللسان

---

[12]- الشاذلي الفيتوري: اللغة العربية والوعي القومي، م.س.ص 159..

[13]-رؤوف عباس ندوة القاهرة الخبر م.س.ص 21

المتكلم، ولذلك تحرص كل أمّة على تطويره وصيانته ونشره بشتى الوسائل والطرق.

ولا شك أن اللسان العربية هو أبرز ما يميز المجتمعات العربية اليوم، ويؤكد وجودهم في المجتمع الدولي، نظرا إلى ما يتميز به من قدرة تعبيرية وطاقة لفظية مكنته من استيعاب تراث العالم ومغالبة الاستعمار الثقافي ومواجهة التحديات الحضارية وما أبدعته المدنية المعاصرة.

مظاهر عولمة اللغات:

إن عولمة اللغات ليست جديدة، بل ظهرت جذورها مع موجات الاستعمار الاستيطاني في العالم الثالث عامّة وفي العالم العربي بخاصة وقد بررت تلك الهجمات في المظاهر الآتية:

1 – محاولة إلغاء اللسان العربي واستبدال الإنجليزي، في المشرق العربية واللسان الفرنسي في المغرب العربي ومن أمثلة ذلك القرار الفرنسي سنة 1949 ونص ترجمته: "لا ننسى أن لغتنا (نعني الفرنسية) هي اللغة الحاكمة، فإن قضاءنا المدني والجزافي يصدر بأعظم ما يمكن من السرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي يجب أن يعتني بها قبل كل شيء هي السعي لجعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذي عقدنا العزم على استمالتهم إلينا واندماجهم فينا وجعلهم فرنسيين[14] وقد طبق هذا القرار في كل الدول العربية التي كانت مستعمرة فرنسيا أو إنجليزيا أو إسبانيا.

[14]-ساطع الحصري، اللغة العربية والقومية بيروت 1976، دار القدس ص 44

2 – محاولة استبدال اللهجات المحلية باللغة العربية الفصحى، أو كتابها بالحروف اللاتينية، كما حدث في تركيا والفيليبين مع تشجيع أكثر من لهجة في القطر الواحد[15] ومن أمثلة ذلك إنشاء الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1962 بعد استقلال الجزائر من قبل الحكومة الفرنسية من أجل بعث التيار المعارض، وقد جاء في وثيقة صادرة عن هذه الأكايمية بتاريخ 1973/01/25 ما ترجمته: 5إن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن كله تزييف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العربية)[16] وقد وجدت هذه الدعوة عددا من الأنصار من أمثال سلامة موسى في مصر، وسعيد عقل في لبنان وموفود معمري في الجزائر وغيرهم ومن الثابت أنّ موقف هؤلاء لا ينبعث من اعتقادهم بعجز اللغة العربية بقدر ما هو نتيجة إعجاب يصل إلى حدّ الاستسلام للحضارة الغربية[17].

3 – السعي للتقليل من أهمية اللسان العربية باعتباره لغة ثانية في الأقطار المستعمرة آنذاك، كما حدث في مصر على لسان المستشرق وليم ولكوكس (1852-1932) الذي دهب إلى القول إنّ المصري يقرأ العربية ثم يترجم ما قرأه إلى العاميّة وأن عليه في هذه الحالة أن يرسم العاميّة بالحروف اللاتينية أو يتبنى اللسان الإنجليزي[18].

4 – ومن المفارقات القاصرة في هذا الصدد الذهاب إلى تحميل العربية تبعات التخلف الحاصل في المجتمعات العربية في المجالات العلمية

---

[15]-كمال خيربك، حركة الحداثة للشعر العربية المعاصر، بيروت دار الشرق، 1982، ص 86 وما بعدها.
[16]-الدكتور أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدإ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1981.
[17]- صالح أحمد العلي، اللغة والوعي العومي م.س.ص 178.
[18]- حصاد الفكر العربي في اللغة العربية، بيروت مؤسسة ناصر الثقافة، ط/1982.ص32

والتكنولوجية ومن المسلّم به أن اللغة العربية أداة للتعبير ووسيلة للتفكير وليست هي التفكير نفسه.

وانطلاقا من هذه المظاهر يبدو أنّ الهدف من هذه الدعوات هو العمل لتشويه اللسان العربية الفصيح ومحاولة تمزيقه وتفريقه بين اللهجات المتباعدة، مما يؤدي إلى وجود ركام من اللهجات العربية الهزيلة سواء من حيث الرصيد اللفظي أم المفردي أم من حيث النظام اللساني، وتكون نتيجة ذلك هجر هذه اللهجات وتبني اللسان الأجنبي لغة رسمية كما حدث في المستعمرات.

وأزعم أنّ الألفية الثالثة ستكون ميقاتا لجعل العلم يقبل على إقصاء كثير من اللغات غير القادرة على مواكبة التحولات العلمية فإذا كانت اللغات المستعملة اليوم في المدى المتوسط زهاء 25 خمس وعشرين لغة مكتوبة ومتكلما بها، منها ست لغات في المقدمة (العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإسبانية، الروسية) فإن هذا العدد سيتقلص إلى زهاء 15 خمس عشرة لغة أما اللهجات المحلية والإقليمية والجهوية فسيزول أكثرها في خضم عولمة القيم الرمزية للأمم.

مواجهة العولمة لغويا: لقد باتت العربية تشكل قطبا حضاريا يحسب له ألف حساب في مقابل لغات منافسة، وبخاصة أنها حققت في سالف عهدها ما لم تحققه أية لغة أخرى، ولذلك منافسة، وبخاصة أنها حققت في سالف عهدها ما لم تحققه أية لغة أخرى، ولذلك بفضل أصالتها، واتساعها، وقدرتها على التوليد والنمو وسهولة مواكبة مستجدات كل عصر.

وتأتي العربية في مقدمة اللغات المستهدفة لعدة أسباب منه:

1 – أنها لغة أصيلة، فما أضيف إلى العربية من مفردات دخيلة ومعربة في العصر الحديث لا يتجاوز (5)، علما بأن جل ما أضيف إلى المعجم العربية عبارة عن مصطلحات هادية لا تتعلق بالمظاهر الفكرية والعاطفية والاجتماعية[19] مما يجعلها قادرة على مغالبة العولمة والحفاظ على هويتها الحضارية ومواكبة المستجدات.

2 – إنها لغة متجددة مع العصر، قادرة على العطاء والنمو والتوالد بما تملكه من ثراء في آليات التوليد الصوري والدلالي.

3 – إنها لغة حفظت أكثر من نصف تراث الكرة الأرضية من الاندثار والضياع وفتحت للإنسانية آفاقا رحبة في العلم والمعرفة في عصر خيم فيه الظلام على أكثر شعوب المعمورة.

4 – إنها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الذي يدين به أكثر من مليار مسلم، كما أنها حاملة لأعظم رسالة تشريعية شاملة تنظّم الكون وتضمن سلامته عبر الزمن.

5 – إنها لغة متميزة بخصائصها الأسلوبية، والبيانية، والثقافية، والعلمية والفنية.

وهذه الأسباب وغيرها، بقدر ما تجعل العربية مستهدفة، تثير الغبرة في أهلها للحفاظ على سلامتها وتطويرها وجعلها قادرة على الصعود أمام تحديات العولمة.

ولا غرابة أن نجد اليوم الأمم المتطورة دائمة المتابعة للغاتها، تسعى إلى تنقيح أساليبها وإثراء معجمها بالألفاظ الحضارية، والمصطلحات العلمية والعمل لنشرها بين الشعوب بشتى الوسائل ومنها المنح الدراسية،

---

[19]- صالح أحمد علي، م.س.ص.ص:167

والرحلات العلمية المجانية، والندوات والملتقيات الدورية والتبرع بالكتب والأشرطة التلفزيونية والأسطوانات الحاسوبية والأجهزة السمعية البصرية وشبكات الاتصال.

وليست الغيرة على سلامة اللغة العربية بدعا في حياة العرب والمسلمين، فقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهم يلحن في كلامه فاعتبر اللحن ضلال قال: "أرشدوا أخاكم فقد ضل[20] كما شدد الخلفاء بعده على صيانة اللسان وتطويره.

ولا يخفى ما لهذا الربط بين اللحن في اللغة والضلال الاجتماعي، وجاء في الشواهد التاريخية القديمة أن كونفوشيوس (551-479 ق.م) فليسوف الصين، سئل عما يصنع أول الأمر إذا كلف بأمر البلاد، فقال: "إصلاح اللغة بالتأكيد، الإنجاز لن ينجز، وإذا لم ينجز ما يستحق الإنجاز، فإن الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط، وإذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة سوف تنحرف، وإذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطربين لا حول لهم."[21]

ويذهب أكثر علماء اللغة المعاصرين مثل عبد السلام المسدي وحسان تمام وجوليا كرستيفاوتوم تشومسكي وغيرهم، أن اللغة ترتبط بالبنى الاجتماعية ارتباطا وثيقا ومؤثرا[22]، وتسير في أشكال مترجحة طرفها الأول هو مستوى ثراؤ اللغة وطرفها الثاني مدى الرقي الحضاري للأمة.

---

[20]- ابن جني، الخصائص دار الكتاب العربي، بيروت 1952 ج3/ص 264.
[21]-زكي الجابر: اللغة العربية والإعلام الجماهري المجلة العربية للثقافية م.س.ص87
[22]-زكي الجابر.م.س.ص 87

وأمام هذه النقلة الحضارية التي يشهدها العالم، فليسمح لنا الخالدون من علماء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية في الوطن وكذا أصحاب القرار-مع تقديرنا الكامل لجهودهم الجبارة – أن نعتب عليهم تماطلهم في مواكبة مستجدات العصر بما يتطلبه من معاجم لغوية ومختصة وموسوعات علمية عادية ومرحلية، وأشرطة علمية، وإعلام موجه عبر شبكات الأنترنيت والأقمار الصناعية لترقية اللسان العربية المعاصر.

صحيح أن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية العربية قد بذلت جهودا مضنية وأبلت البلاء الحسن في سبيل ترقية اللسان العربي، غير أن ذلك يظل غير كاف في عصر تتجدد فيه الثقافة بسرعة الضوء، عصر يواجه فيه اللسان العربي تحديات كبرى واستراتيجيات مدروسة.

إن تحديات العولمة في المجال اللغوي لا يمكن مواجهتها إلا بانبثاق (عوربة) قادرة على تحصين العربية في الممارسة اليومية ضمن جملة من الشروط يأتي في مقدمتها:

1- بعث الإرادة الحضارية في متكلمي لغة الضاد باعتبار اللسان منطلقا لتشكيل شخصا نية الفرد والمجتمع من حيث الوجود، والتمايز، والبقاء، وجعله عضوا منتجا وشريكا في صناعة الدفع الحضاري لا تابعا ومستهلكا.
2- إيقاظ مشاعر الهوية الوطنية المعززة بالقيم الحضارية الثابتة، لتقف سدا منيعا أو حصينا أمام الاختراق اللغوي والثقافي، وتشارك في صياغة مستقبل الوطن العربي، "فالتفكير على نحو كوني والعمل على نحو محلي أمران حسنان إلا أن الأحسن منهما هو أن يكون العمل مشتركا عبر الحدود الوطنية[23].

[23]-هانس بيتر: م.س.ص399.

3- إثراء الرصيد المفردي أو اللفظي بالمستجدات من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي تدخل في هندسة الخطاب التقني والتكنولوجي المعاصر.
4- توفير المعجم الوظيفي العادي والحاسوبي بأنواعه المختلفة (اللغوي-المختص-الموسوعي)، الأحادي والثنائي والمتعدد الألسن.
5- إغناء المكتبة العربية بالكتب العلمية تأليفا وترجمة، استعدادا لاستكمال تعريب التعليم العالي بجميع شعبه.
6- إنشاء مخبر لتصنيع البرامج الحاسوبية وبرامج شبكات الأنترنيت في جميع المعارف الإنسانية بلسان عربي مبين، وتطوير بدائل المنافسة اللغوية في التواصل العلمي والثقافي، مع تأسيس شبكات عربية موجهة عبر الأقمار الصناعية لبنوك المعلومات والحصص التلفزيونية العلمية والثقافية الهادفة ابتغاء منع الاحتراق اللغوي والثقافي، وإعطاء الباحث العربي بديلا مناسبا وثريا.
7- إصدار نشرية أو دورية موحدة ومنمطة لمواليد المصطلحات العلمية، تتولى إصدارها المجامع اللغوية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتنسيق مع الجامعات والمؤسسات التعليمية والصناعية في الوطن العربي.

ونحن نعتقد في النهاية أن اللسان العربية مكتمل وقادر على المواجهة ولا يحتاج إلاّ إلى الإدارة الحضارية والفعل الآتي، (ومن توفرت فيه هذه الإدارة وعمل على ترجمتها فهو دون شك، يكون قد أمسك بناصية الحل، وحاز مفتاح الباب السري لعملية التقدم[24] والدخول

[24]-الدكتور حسن جابر، اللغة والتحول الحضاري المنطلق، عدد 1991/79، بيروت، ص3

غلى الألفية الثالثة بلسان عربي مبين قادر على المواجهة وإثراء الثقافة العالمية، وأزعم أن ليس هناك إستراتيجية لمواجهة العولمة لغويا أعظم من الاعتزاز باللسان العربية والاعتقاد الراسخ بأنه لغة علم وعمل، والتصدي للمؤامرات التي تصاغ لتوظف نفسيا، في إطار عملية الإحباط والهزيمة الداخلية وفق خطة استلاب إرادة الأمة وشخصيتها ومصادرتها[25] وخير سبيل لجعل العربية قادرة على مسايرة اللغات الأخرى في الألفية الثالثة هي أن تعاد الثقة في قدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر، وذلك باستخدامها في جميع المجالات التربوية، والثقافية، والعلمية، ووسائل الاتصال الجماهيري وتخصيص نسبة من الميزانية العربية لتشجيع المجامع اللغوية على مواكبة العصر تأليفا وترجمة، مع المشاركة الإيجابية في ظاهرة العولمة التي يفرضها العصر بإعناء المكتبة العربية ومؤسسات الإعلام بإدخال برامج متطورة لجميع أنواع معارف العصر عبر شبكات الأنترنيت وربط اللسان العربية بالتعامل الاقتصادي والسياسي والعلمي في المعاملات الرسمية محليا ودوليا.

---

[25]-الدكتور حسن جابر، م.س.ص:3

ملامح تادرس السيميائي
في الموروث العربي

الأستاذ: بلقاسم دفة
مكلف بالدروس كبية الآداب
والعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربية جامعة
محمد خيضر بسكرة

ملخص: لم يكن علم السيمياء وليد العمر الحديث كما يزعم البعض، بل هو قديم النشأة؛ فقد اهتم القدامى من عرب وغرب بهذا الجانب من علوم اللسانيات منذ أكثر من ألفي سنة. وظهرت أفكار وتأملات سيميائية على يد العلماء العرب المسلمين كابن سبنا والفارابي والغزالي والجرجاني والقرطاجني وغيرهم، وأشار علماء اللّغة إلى ما تمتاز به الحروف من خواص تعبيرية، أي: علاقة طبيعية مع المدلول، ولذلك كانت الحروف أدوات للتعبير عن ظواهر شتى كالحركة والخفة والاضطراب والطموح والعظمة والاستبطان وغير ذلك. وربطوا بين هذه المعطيات وما سموه بعلم السيمياء، أي: علم أسرار الحروف.

مقدمه:

لقد أثارت الظاهرة اللغوية من حيث هي نظام تواصلي انتباه المفكرين والفلاسفة واللغويين والبلاغيين منذ القدم، الأمر الذي جعلها تحظى بنصيب وافر من الدراسة التي تهدف إلى استكشاف البنية الجوهرية لهذا النظام.

ومما لا شك فيه أن دراسة النظام الإشاري في التراث العربي هي دراسة قديمة قدم الدرس اللساني. إلا أن الأفكار والتأملات السيميائية التي وصلت ظلت في إطار التجربة الذاتية، ولم تتجسد في إطار التجربة العلمية الموضوعية، ومن ثم فالمنطلقات السيميائية للدراسة العربية تنقصها الإجراءات التطبيقية الموسعة.

مفهوم علم السيمياء

أتحدث بادئ ذي بدئ عن معنى السيميائية لغة، ثم أتعرض لـ معناها اصطلاحا.

أ- معنى سيمياء لغة :

السيمياء: العلامة، مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وسم"، وأصلها "وسْمى"؛ ووزنها «عِقلى»، وهي في الصورة «فِعلى»؛ يدل على ذلك قولهم: سِمَة، فإن أصلها: وسْمة ويقولون: سيمى

بالقصر. وسيماء بالمد وسيمياء بزيادة الياء والمد، ويقولون: «سوَم» إذا جعل سمة. وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصّل إلى التخفيف لهذه الأوزان؟ لأنّ قلب عين الكلمة متأت بخلاف قلب فائها، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من «سوم» المقلوب؛ وإنّما سمع منه فعل مضاعف في قولهم: سوّم فرسه، أي جعل عليه السّيمة. وقيل: الخيل المسوّمة هي التي عليها السّيما والسّومة. وهي العلامة[1].

وقد ورد هذا المعنى في القرن الكريم في خمسة مواضع. منها قوله تعالى: (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا)[2] .

وقوله: (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم)[3] . وقوله: (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام)[4].

ووردت - كذلك - في الشعر. ومنه قول أسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميلة حين قاسمه ماله:

غلام رماه الله بالحسن يافعا   له سيمياء لا تشقّ على البصر

كأن الثريا علّقت فوق نحره   وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر[5]

---

[1]- ينظر ابن منظور. لعان العرب. سوم. البقرة.273.

[2]- البقرة . 273

[3]- الأعراف.48.

[4]- الرحمان.41.

[5]- ذكره الجوهري في الصحاح. دار العلم للملايين. بيروت. ط 3. 1984. 5/ 1956 . وابن منظور في لسان العرب.312/12. مادة(سوم).

يتضح مما أوردناه أن كلمة سيمياء مشتقة. وهي بمعنى العلامة أو الآية.' أي: «signe[1]». والأولى استخدام هذا المصطلح دون غيره من مثل سيميوطيقا. وسيميولوجيا.. لأنه مصطلح ضارب في الأصل العربي. ومصطلح «سيمياء» العربي يقابل مصطلح «سيميولوجيا». وكلمة «سيميولوجيا» منقولة عن اللّغة الإنجليزية، يعبر عنها بمصطلحين هما: «semiologie» «semiotiqe». وهذان المصطلحان من الأصل اليوناني **semeion** أي: الإشارة أو العلامة. وهذا المعنى ينطبق على المصطلح العربي «سيمياء».

ب - معنى «سيمياء» اصطلاحا:

ان مصطلح «سيمياء» يعني في أبسط تعريفاته وأكثرها استخداما نظام السمة أو شبكة من العلاقات النظمية المتسلسلة[2] وفق قواعد لغوية متغق عليها في بيئة معينة. إن السيمياء «هي عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب. وتحديد البنيات العميقة الثاوبة وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا»[3] وهي «دراسة شكلانية للمضمون، تمر عبر الشكل لمساءلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى»[4].

---

[1]- ينظر، عبد العزيز بن عبد الله. الدلالاتية المقارنة في خدمة تاريخ الحضارة المقارن. مجلة اللسان العربي. العدد23. الدورة المالية.1982.1983،. ص166.

[2]- 7 j، acoutee. semiotique . hachette^paris . 1979 >p 339.
j greimas

[3]- جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت المجلد 25. العدد 3 مارس 1997 ، ص **79**.

[4]- المرجع السابق. ص 79.

والسيمياء أو السيميولوجيا حسب تعبير بيير جيرو (**P-guiraud**) «علم يدرس أنساق الإشارات: لغات، أنماط، إشارات المرور، إلى آخره. وهذا التعريف يجعل اللّغة جزءا من العلامة»[1].

يتضح من هذا التعريف أن هناك إجماعا يقرر «بأن للكلام بنيته المتميزة والمستقلة والتي تسمح بتحديد السيمياء بالدراسة التي تتناول أنظمة العلامات غير الألسنية، مما يحتم علينا تبني ذلك التحديد»[2]. فالسيمياء «هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها. وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة. وهكذا فإن السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية»[3].

إن السيمياء أو السيميولوجيا كما صممها فرديناند دوسوسير (**F. desausure**)

هي عبارة عن علم يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية. والنص الذي يتلى دائما هو «اللّغة نظام علامات، يعبر عن أفكار، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجدية الصم البكم، بأشكال اللياقة، بالإشارات العسكرية، وبالطقوس الرمزية، إلخ... على أن اللّغة هي أهم هذه النظم على الإطلاق»[4].

إن سوسير يحصر العلامات داخل أحضان المجتمع، ويجعل اللسانيات فرعا عن السيمياء خلاف غيره من الباحثين، وهكذا فإن علم السيمياء هو ذلك العلم الذي يدرس حياة الإشارات في قلب المجتمع،

---

[1]- بيير جيرو، علم الإشارة – السميولوجيا – ترجمة عن الفرنسية ، منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1. 1988، ص: 23.

[2]- جميل حمداوي. مجلة عالم الفكر. الكويت. ص 81

[3]- مازن الوعر. مقلمة علم الإشارة – السيميولوجيا – لبيير جيرو، ص 9.

[4]- بيير جيرو. علم الإشارة – الميميولوجيا – ص 23. 24.

ويهتم بإنتاج الإشارات أو العلامات واستعمالها، بحيث تبرز الأنظمة السيميائية من خلال العلاقات بين العلامات.

والواقع إن السيميولوجيا لم تصبح علما قائما بذاته إلا بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي بيرس (c. peirce).

فالسيميولوجيا تبعا لرؤيته هي علم الإشارة الذي ينظم جميع العلوم الإنسانية والطبيعية، حيث يقول: « ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات، والأخلاق... وعلم النفس، وعلم الصوتيات، وعلم الاقتصاد... إلا على أنه نظام سيميولوجي»[1] .

إن نظام **بيرس** السيميولوجي هو عبارة عن مثلث «تتشكل الإشارة فيه الضلع الأول الذي له صلة حقيقية بالموضع الذي يشكل الضلع الثاني المحدد للمعنى، وهذا الضلع الثالث - أي المعنى- هو إشارة كذلك تعود على موضوعها الذي أنتج المعنى»[2].

فالعلامة عنده متعددة الأوجه على خلاف العلامة عند دوسوسير، فإنها ذات وجهين: دال ومدلول.

وتبعا لرؤية بيرس فإن كل العلامات تدرك من خلال المستويات الثلاثة (الإشارة، الموضوع، المعنى). ولهذا فإن المدلول هو معنى الإشارة، أي: أنه يمثل العلاقة الأفقية بين إشارة وأخرى. وهذا هو الذي يجعل من المدلول إشارة أيضا تحتاج إلى مدلول آخر يفسر غموضها ويوضح إبهامها.

1- C. peirce 14 .32 to lady Welly . edi. c. lieb new haven 1953 P

collected pape۲15 .156 s vol 2 combbdge mass 1960 P

2- اش ءد،4 .

الذ ٠حل، 16.

القاص عبد الجبار. المعني، ص 186.

يلحظ أن بيرس يركز على الوظيفة المنطقية للإشارة، بينما يركز دوسوسير على الوظيفة الاجتماعية. ولكن المظهرين على علاقة متينة. والمصطلحان سيميولوجيا (sémiologie)، وسيميوطيقا (sémiotique) يغطيان اليوم نظاما واحدا متكاملا، فالأوربيون يستخدمون الأول، بينما يستخدم الثاني كل الناطقين بالإنجليزية.

ملامح الدرس السيميائي في الموروث اللساني العربي:

نتناول الموضوع من حيث النقاط الاتية:

1- العلامة في التراث:

إن الموروث الفكري العربي لا يعدو أن يكون في كنهه مخزونا علميا أو ثقافيا، يظهر في شكل نظام من العلامات الدالة. وتتجلى سيميائية هذا النظام في إطاره اللغوي والثقافي والحضاري.

وقد تبلور علم السيمياء على يد علماء الأصول والتفسير والفلسفة والمنطق واللّغة والبلاغة. وكان الباعث والموجه للدرس السيميائي هو القرآن الكريم. إذ منذ نزوله، كان التأمل في العلامة بغية اكتشاف بنيتها الدلالية. فقد أرشد القرآن الكريم في مواضع عدة إلى تدبرها، من ذلك قوله تعالى: « إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» [1].

وقوله : «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» [2].

ففي هذا التوجيه الرباني كان التعامل مع العلامة قصد فهم دلالتها الروحية والعقيدية والكونية، والاستدلال بحاضرها على غائبها، يقول القاضي عبد الجبار:« إن من حق الأسماء أن يعلم معناها في الشاهد، ثم يبنى عليها الغائب»[3]. وقد أشار إلى هذا - كذلك - الراغب الأصبهاني، وذلك حينما تحدث عن الفقه. فيقول: « إن الفقه هو معرفة علم غائب

[1]- الرعد ، 4

[2]- النحل، 16

[3]- القاضي عبد الجبار، المعني، ص: 186

بعلم شاهد»[1]، من هذه الوجهة تعامل العلماء مع العلامة من حيث هي علامة تدل على حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى علامة دالة على حقيقة مجردة غائبة.

2-ماهية العلامة:

الواقع إن دراسة نظام العلامات قديم قدم الحياة نفسها، ولكن المنطلقات النظرية لهذه الدراسة اختلفت من عصر إلى عصر ومن أمة إلى أخرى. وذلك لاختلاف الحقب التاريخية، واختلاف الحضارات، وقد وصلت بعض الأفكار السيميائية من حضارات قديمة كالحضارة اليونانية والعربية، إلا أن تلك الأفكار السيميائية ظلت في إطار التجربة الذاتية. ولم تدخل في إطار التجربة العلمية الموضوعية[2] .

فقد رأى الباحثون أن القدامى من عرب وعجم اهتموا بهذا الجانب من علوم اللسان منذ أكثر من ألفي سنة. فقد أفرد الفيلسوف أفلاطون بالتأليف، وأكد أن للأشياء جوهرا ثابتا، وأن الكلمة أداة التعبير عن الحقيقة، وبذلك يكون تبيين الكلمة وحقيقتها الدالة عليها، أي بين الدال والمدلول، أو المبنى والمعنى تلاؤما طبيعيا. فلهذا كان اللفظ يعبر عن جوهر الأشياء، وكانت الكلمة تظهر أول ما تظهر في وسط بدائي فطري، وهذا ما حدا سقراط إلى القول بأن المجتمع البدائي هو المنبع الأصيل للكلمة .[3] وقد أشار أفلاطون إلى ما تمتاز به الحروف من خواص تعبيرية، أي

---

[1]- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية. (د.ت) مادة فقه.

[2]- ينظر، مازن الوعر، مقدمة علم الإشارة لبيير جيرو، ص: 10.

[3]- ينظر، عبد العزيز بن عبد الله، التعريب ومستقبل اللّغة العربية، صدر عن مبحث البحوث والدراسات العربية، 1975، ص: 78، 79

علاقة طبيعية مع المدلول أو المعنى، ولذلك كانت الحروف أدوات للتعبير عن معان كثيرة كالحركة والخفة والطموح والاضطراب والاستبطان والعظمة والطول والقصر، وغير ذلك[1].

وقديما ربط علماء اللّغة العرب بين هذه العطيات وبين ما أسموه بعلم أسرار الحروف، أي: علم السيمياء. وقد تعددت في ذلك دراسات أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي، صاحب كتاب الرسالة الموضحة، وأحمد بن علي البوني، المتصوف الغربي الأصل، وهو من أشهر الكتاب العرب في العلوم الخفية (السحر)[2]. وإذا كانت السيمياء تتناول العلامة، فقد اهتم الدارسون العرب القدامى بتعريفها. ويتقارب مفهومها عندهم مع مفهوم السمة والأمارة والأثر والدليل. فكل ذلك يتعلق بالدلالة. وهي في اعتقادهم « كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»[3] .

يقول أحمد بن فارس حين كلامه عن مادة(دلّ):«... أصل يدل على إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والدليل الأمارة في الشيء»[4].

ويقول أبو هلال السكري في هذا الأمر حين كان بصدد العلامة والدلالة: «يمكن أن يستدل بها، أقصد فاعلها ذلك، أم لم يقصد، والشاهد أن أفعال البهائم تدل على حدثها، وليس لها قصد إلى ذلك.... وآثار اللص تدل عليه، وهو لم يقصد ذلك، .... وما هو معروف في عرف اللغويين يقولون استدللنا عليه بأثره، وليس هو فاعلا لأثره من قصد»[5]

---

[1]- ينظر، المرجع السابق: ص: 79

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص: 79

[3]- الجرجاني علي بن محمد كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1 1985، ص: 139

[4]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، 259/2، مادة (دلّ)

[5]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللّغة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 4 ، 1963، ص: 13

هذه إماءة من أبي هلال إلى إشكالية القصدية في العلامة، وهي الإشكالية التي تعد في الفكر السيميائي الحديث موضوع نقاش بين اتجاهين: اتجاه يؤكد على الطبيعة الإبلاغية التواصلية للعلامة، ويمثل هذا الاتجاه كل من مونان، ومارتيني، وبيربيطو في الفكر السيميائي الفرنسي. وهم يعتقدون أن العلامة تتألف في أساسها من دال ومدلول وقصد. واتجاه آخر يركز على الجانب التأويلي للعلامة، أي: من حيث إمكانية العلامة للتأويل بالنسبة للمتلقي. ويمثل هذا الاتجاه رولان بارث الفرنسي وهو اتجاه يوصف بالسيميائية الدلالية.

نجد هذا التصور نفسه للعلامة عند الراغب ١الأصبهاني، إذ يقول: «الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالات الإشارات والرموز والكتابة، وسواء أكان ذلك بقصد من يجعله دلالة، أم لم يكن يقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي»[1]. ويستشهد الأصبهاني على قوله هذا بها ورد في قوله تعالى: «ما دَلّهُم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته»[2]. فالراغب بهذا المفهوم للدلالة بوسع المجال التطبيقي الإجرائي للعلامة لتشمل أنماطا سيميائية، هي (الألفاظ، الإشارات، الرموز، الكتابة، الهيئة). ثم يركز على مسألة الدلالة القصدية وعدمها في العلامة. وقد كان مدركا عندما جسد ذلك بصورة سليمان -كما ورد في الآية الكريمة -حيث ظل بعد وفاته عاما منتصبا ومستندا على منسأته(عصاه). هذه الهيئة أو النصبة كما يسميها الجاحظ[3] أولها الجن بدلالة الحياة، لذلك كانت تعمل، وكأنها مأمورة. وبالتقادم الزمني أكلت الأرضة منسأته، فخر ساقطا. وهذه الهيئة هي علامة موت وفناء. وهذه الصورة التي مثل بها الأصبهاني تنطبق على أية هيئة.

---

[1]- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (دلّ)

[2]- سبأ ، 14

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد الملام محمد هارون، ط: 3، (د.ت)، 76/1

يتضح مما سبق أن التأويل وجد طريقه في الدراسات العربية، وبخاصة في الدراسات القرآنية. وقد اتسعت دائرته لدى الشيعة والمتصوفة والفلاسفة والمعتزلة وإخوان الصفا... واتخذ بعضهم المصحف جله موضع تأويل رغم اختلاف مستويات خطاب النص القرآني، وانتقى آخرون نصوصا تخدم مقاصدهم المختلفة إلا أنه يمكن القول إن المفسرين على اختلاف مشاربهم استثمروا النصوص الواردة فيها التشبه بكيفية صريحة أو مجازية.

ولم يقتصر منظور القدامى لمفهوم العلامة التأويلية على النص القرآني، وإنما تجاوز إلى كل ما له علاقة بالعمل الأدبي، فقد تعاملوا مع الإشارة الموحية، وهو نوع من الأساليب البلاغية التي تخرج إلى المعنى المجازي.

3 - طبيعة العلامة:

لقد اهتم الدارسون القدامى على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم العلمية من لغويين وفلاسفة وعلماء أصول بطبيعة العلامة من حيث هي شيء محسوس بديل عن شيء مجرد غائب عن الأعيان. يقول ابن سينا: «إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية. فترتسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا، وإن غابت عن الحس... ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم. ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه[1] .

إذا تدبرنا مفهوم ابن سينا لدلالة اللفظ نجده يتفق ومفهوم دوسوسير للعلامة. فالعلامة في منظور ابن سينا ثنائية المبنى، تتألف من مسموع، ومعنى(مفهوم). وبهذا التصور يلغى من مفهوم العلامة المرجع الذي تحيل إليه العلامة، وذلك ما نجده عند دوسوسير أيضا، إذ تتألف العلامة عنده من صورة سمعية، وتصور (مفهوم). وهناك بعض العلماء يعدون

[1]- ابن سينا، العبارة (الشفاء)، تحقيق محمود الحضيري، القاهرة، 1970، ص: 3، 4.

المرجع طرفا أساسيا في العلامة. من أولئك أبو حامد الغزالي الذي يرى أن الأشياء في الوجود لها أربع مراتب، إذ يقول: « إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان»[1]

يبدو أن الغزالي قد أدرك أهمية اللّغة في إبداع النظام التواصلي، إذ أن الإنسان يكيف تعامله مع الواقع الخارجي من خلال كفاءته العقلية التي تسمح له بابتكار النمط الترميزي الدال وفق التصور الحسي، وما يوفره المحيط الاجتماعي مع إشارات ورموز ترتبط بعالم الأشياء المحسوسة، وقد أصبح هذا التصور لعالم الأشياء محورا أساسيا في النظرية الدلالية الإحالية التي جاء بها ريتشاردز وأوجدن (**Richards Ogden et**) في ملفهما(**The meaning Ofmeaning**) أي معنى المعنى، الذي أصدراه سنة 1923 م، حيث أشارا إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الألفاظ والأفكار من جهة، والأشياء المشار إليها من جهة ثانية. وقد أوجزا فكرتهما في شكل مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية[2].

فالعلاقة بين الموجود في الألفاظ (الرمز)، والموجود في الأذهان (الفكرة) علاقة سببية؛ **أي: أن** الدال يتطلب في ذهن المتلقي المدلول، كما **أن** المدلول يتطلب هو الآخر في ذهن المتكلم الدال اللازم له. لذلك فإن المفاهيم المستوحاة من المرجع الخارجي قابلة لأن تكون مشتركة بين أفراد المجتمع، بينما هذه الخاصية تفتقر إليها الموجودات في الألفاظ (الدوال) وارتباطها بالمدلولات، لأنها تواضعية اصطلاحية، وقد ذكر ذلك الغزالي بصريح قوله: «الوجود في الأعيان والأذهان لا

---

[1]- الغزالي، معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص: 35، 36

[2]- ينظر، كمال بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعارف بمصر، ط 3، 1971، ص:159.
وعاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 234.

يختلف باختلاف البلاد والأمم بخلاف الألفاظ والكتابة. فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح»[1].

نجد هذا المفهوم للعلامة بأطرافها المذكورة عند حازم القرطاجي، حيث يقول: «قد تبين أن المعاني لها حقائق، موجودة في الاعيان؛ ولها صور موجودة في الأذهان، ولها من جهة على ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام والأذهان»[2].

وتبعا لهذه الرؤية، فإن كل العلامات تدرك من خلال تلك المستويات الثلاثة. ولهذا فإن المدلول هو معنى الإشارة، أي: أنه يمثل العلاقة الأفقية بين إشارة وأخرى. وهذا هو الذي يجعل المدلول إشارة أيضا تحتاج إلى مدلول آخر يفسر غموضا ويزيح إبهاما.

4- أنواع العلامات ومجالها الدلالي:

إذا كانت السيمياء تبدأ بالعلامة، فقد اهتم العلماء بتصنيف العلامات وتمييزها

وتعليلها من أجل إدراك مجال أوسع لماهيتها، وتوصلوا إلى أن النظام السيميائي للعلامة يتأسس على أنواع من العلامات، يمكن الإشارة إليها فيها يأتي:

1. إذا نظرنا إلى العلامة من حيث طبيعة الدال، فهي إما أن تكون لفظية أو غير لفظية[3].

2. أما إذا نظرنا إلى العلامة اللفظية الوضعية أو الاصطلاحية، فهي لا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث وهي: الطابقة والتضمن والالتزام. فإن لغظ «البيت» يدل على معنى البيت بطريق

---

[1]- الغزالي، معيار العلم، 76، 75.

[2]- حانم القرطاجي، منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ص19.

[3]- عادل فاخوري. علم الدلالة عند العرب. دار الطليعة. بيروت، ط1 1985، ص، 13،17

المطابقة، ويدل على السقف بطريق التضمن، لأن البيت يتضمن السقف، وأما دلالة الالتزام فهي كدلالة لغير السقف على الحائط، فهو كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفصل عنه [1].

3. وإذا نظرنا إلى العلامة من حيث طبيعة العلاقة القائمة بين طرفي الدال والمدلول. فهي إما وضعية أو طبيعية أو عقلية[2]. ويمكن توضيح هذه المفاهيم في الآتي:

أ- الوضعية: هي العلامة الاصطلاحية المتفق عليها في وسط اجتماعي، أو المتواضع عليها بين أفراد المجتمع، ويضم هذا النوع كل العلامات اللفظية.

ب- العلامة الطبيعية: المقصود بالعلامة الطبيعية هي تلك العلامة الناتجة عن أحداث طبيعته، سواء كانت طبيعية اللفظ أم طبيعية الحامل المادي للعلامة. فكل العلامات التي تعكس أصوات الطبيعة تنسحب ضمن هذا النوع، وكذلك الأصوات الملازمة للانفعالات، والتغييرات الفزيولوجية، كملامح الوجه، وتغير لونه من حالة إلى أخرى[3].

ت- العلامة العقلية: المراد بها دلالة الأثر على المؤثر، كدلالة السحاب على المطر، والدخان على النار، فالعلامة العقلية في الموروث العربي تنحصر في علاقة السببية، أي: يجد العقل ثمة علاقة ذاتية بين طرفي الدال والمدلول.

إن العلامة بنمطها السيميائي ذات فضائي دلالي، ليس من السهل إخضاعه لثنائية الدال والمدلول، لأن العلامة في أساسها تتسم

---

[1]- الغزالى، المستصفى من علم الأصول تحقيق وتعليق – مصطفى أبو العلاء، شركة الطباعة الفنية المتحدة 1971ص41 وماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد،1980،ص 286

[2]- ينظر، الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة الحلبي وشركائه، القاهرة. 1967 17/1 ومحمد رضا المظفر، مطبعة النعمان، ط1 ، 1972 ص36.38.

[3]- عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، ص: 18 وما بعدها.

بديناميكية وحركية، وبالأحرى فهي انزياحيه، وتكتسب دلالتها من الوسط الاجتماعي.

وقد بين الجرجاني الميدان الاجرائي للعلامة حين صنف نوع الخطاب المنجز في الفكر الإنساني، فيقول: «الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده. وضرب آخر أنت تصل منه اللفظ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الغرض»[1].

وإذا تأملنا قول الجرجاني فإننا نجده يماثل مفهوم بيرس للعلامة من حيث قابلية المفسرة لأن تتحول إلى متوالية من العلامات، لها فضاء دلالي غير محدد فيقول: «المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى هو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يقضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[2] .

يتضح من هذا البحث المتواضع حول ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي أن القدامى قد تفطنوا في وقت مبكر إلى قيمة العلامة من حيث هي حقيقة حسية تقود وتحيل إلى حقيقة مجردة غائبة، وكانت دراستهم التطبيقية تتمركز حول الدراسات القرآنية، فالقرآن هو الوجه والباعث الحقيقي للدرس السيميائي.

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت 1984، ص: 202

[2]- المرجع السابق، ص: 203.

إشكالية الإعراب في اللغة العربية
قديما وحديثا

الدكتور: سالم علوي أستاذ محاضر
بكلية الآداب واللغات
جامعة الجزائر

ما علمتُ مصطلحا أصابه التحريف، وقصور الفهم مثل ما أصاب مفهوم الإعراب المشتق من لفظ «العرب» لما يعزى إليهم ٠ن الفصاحة والبيان ...لأن الإعراب أجلّ علوم القرآن، إليه يفتقر كل بيان وهو الذي يفتح من الألفاظ الإغلاق، ويستخرج ض فحواها الأعلاق، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز ,بين سقيمه وسقيمه حتى يرجع إليه، وقد روي عن النبي (ص) أنه قال: " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[1] .

إن هذه الرؤية العلمية الفسيحة للإعراب التي تجدها في مؤلفات العلماء الأصلاء، والمبثوثة في مؤلفاتهم المختلفة : الفقهية والأصولية والنحوية والأدبية وغيرها هي التي افتقدها العلماء العرب المتأخرون، وحصروا مصطلح الإعراب في خان ضيق يعنون به الحركات الثلاث: الرفع والنصب والجر التي تتجلى في أواخر الأسماء المعربة والأفعال المضارعة لها من الكلم المفردة التي لا يمازجها الإعراب في عرف العلماء الأصلاء "لأن الاسم إذا كان وحده مفردا من غير ضميمة إليه لم يستحق الإعراب، لأن الإعراب إنما به المفرق بين العاني. فإذا كان وحده كان كصوت تُصوِّت به، فإن ركبته، مع غيره تركيبا تحمل به الفائدة نحو قولك: زيدٌ منطلقٌ، وقام بَكرٌ .... فحينئذ يستحق الإعراب لإخبارك عنه[2].

أجل إن هذه الحركات دلالات معربة عن مقاصد وأغراض داخل تضاريس النص اللغوي، وليست هذه الحركات دلالات معزولة عن المكونات الأساسية الأخرى في التركيبة ا لنحوية للكلام العربي، فالإعراب يستتشف أسرار التراكيب ويتوخّاها عبر تجلياتها المتعددة

---

[1]- **الطبرسي: " مجمع البيان في تفسير القرآن م 1 .ص: 27**

[2]- ابن يعيش: "شرح مفصل الزمخشري" ج1. ص: 72.

كالهيئة والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير" فعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خيراً أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادئ الكلام أو في الجواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلّة أو كثرة إلى غير ذلك "[1]

وعلى هذا الأساس يكون مفهوم الإعراب ضعن المقاعد وصدق المعاني المتوخاة من استقامة التراكيب النحوية التواطإ عليها في اللسان العربي "الذي جعله اللهو شيا لكلامها، وحِليةً لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلاميين المتكافئين. كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلاّ الإعراب، ولو أن قائلا قال: " هذا قاتلُ أخي " بالتنوين، وقال آخر: "هذا قاتلُ أخي" بالإضافة لدلّ التنوين على أنّه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله.

ولو أن قارئا قرأ: {فلا يَحْزُكَ قَوْلُهُمْ، إناَّ نعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَّ} [2]، وترك طريق الابتداء بـ (أن) بالقول ينصبها بالضن فيها بالتنصيب على مذهب من ينصب (أن) بالقول كما ينصبها بالظن لَقَلبَ المعنى من جهته وأزاله عن طريقته وجعل النبي محزونا لقولهم إن الله يعلم ما يعلنون، وهذا كفر ممن تعمده، ط وضَرْب من اللحن لا تجوز الصلاة به.

وقد قال رسول الله (ص): لا يُقْتَلُ قُرَشِي صبرا بعد اليوم"..

فمن رواه جزْما أوجب ظاهر الكلام للقرشي أن لا يقتل، إن ارتدّ ولا يقتصّ منه إن قتل.

---

[1]- تزركشي بدر الدين: ،لبرهان في علوم القرآن ج1 .ص: 301.

[2]- سورة يس 76.

صبرا : أصلع الحبس، والصبر نصب الإنسان للقتل.

ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتدّ منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل"[1] ، ومن هنا نعلم أن الإعراب ليس حلية يتحلى بها الكلام العربي بل هو دلالات لإصدار الأحكام الفقهية والجراحية التي تقتضيها الشريعة الإسلامية، فحركة التنوين دلت على حدث مضى وانتهى، وتركها دليل على توعد وارتجاء، وكسْر همزة إن وفتحها تؤديان إلى مفهومين متضادين تمام التضاد، فكسرها هاد إلى سواء السبيل، وفتحها صادٌ عنها، وهي دراسة نحوية نتداولها في دروس النحو العربي، ولا نتعمق في فهمها، وإنما نهتم بالبنية الشكلية الظاهرة دون الغوص إلى مضامينها وأغراضها المتوخاه من وراء الملفوظ، وهي مقاصد نشأت عن اجتهاد ومعاناة واستقراء واسع لمجاري كلام العرب من أفواه الأعراب، ومن النصوص الثابتة والتواتر والتعاقب، قام بها علماء أفذاذ من وعى ودراية لخصائص اللسان العربي، ومكوناته الأساسية التي منها الإعراب الذي يعني البيات والوضوح للمقاصد والأهداف، ولم يحصروه في العلامة الحركية، كما حدث عند العلماء المتأخرين الذين انساق وراءهم خلق كثير من دارسي العربية في عصرا هذا لاعتكافهم على المؤلفات القاصرة وتركهم المؤلفات العاربة، وعرفوا الإعراب بأنه: تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا، وأقسامه أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم ... فللأسماء من ذلك الرفع ولنصب وحفض و لا جزم فيها، وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم ولا خفض فيها[2].

إن هذا التحديد المخلّ لمصطلح لم يكن واردا بتاتا في مؤلفات العلماء العرب الأصلاء، فالزمخشري يقول في مفصّله : "هذا وإن الإعراب أجدى من تفاريق العصا، آثاره الحسنة عديد الحصى، ومن لم يتّق الله في تنزيله فاجترأ على تعاطي

---

[1]- ابن قتيبة: "تأويل مشكل القرآن" ص: 11-12

[2]- ابن جزم الصنهاجي: " من شرح العلامة الكفراوي" ص:24-28-29 دار الفكر بيروت. بدون تاريخ.

تأويله، وهو غير معرب فقد ركب عَ َمْياء وخَبط خبْطَ عشواء، وقال ماهو تقول وافتراء وهُراء وكلام الله منه براءُ. وهو المرقاة المنصوبة إلى علم البيان المطلع على نكت القرآن الكافل بإبراز محاسنه الوكل بإثارة معادنه، فالصادُّ عنه كالسادِّ لطرق الخير كيلا تُسْلَك ى والمريد بموارده أن تعاف وتترك. ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب، وما بني من الشفقة والحدب على أشياعي من حفدة الأدب. لإنشاء كتاب في الإعراب" [1].

وقد تمثل هذا المفهوم الجليل تمثلا بديعا عبد القاهر الجرجاني في موسوعاته العلمية وارتفع به إلى مستوى الإبداع الذي هو منتهى الدلالة البيانية بطريقته الذكية في تلمّس هذه الدلالات من خلال تحليله النصوص الأدبية وتذوقها وتبيين ما فيها من الرونق والحسن أو القُبحِ والفحش . . .

فيقول مثال ذلك أن تنظر إلى قول ابن المعتز:

وإنّي على إشفاق عيني من العِدى

لتَجْنَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثم أطْرقِ.

فترى أن هذه الطّلاوة وهذا الظرف إنما هو لأن جعل النظرة تجنح "وليس هو كذلك، بل لأنه قال في أول البيت " وإني " حتى دخل السلام في قوله: " لتجنح" ثم قوله: " مني " ثم لأنه قال: " نظرة " ولم يقل " النظر" ثم لمكان" ثم "في قوله" ثم أطرق " ... وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف وهي اعترضه بين اسم إن " وخبرها بقوله على إشفاق عيني من العِدى" .

وإن أردت أعجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر إلى قوله:

1- الزمخشري: المفصل في علم العربية ص: 4-5مطبعة. التقدم ط1 سنة 1323 هـ

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ ٱلحَيِّ حِينَ دَعَا

أنْصَارُهُ بِوُجُوهٍ كالدنانير

فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرا بتها إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد مَلُحَتْ ولطفت بمعاونتة ومؤازرته لها، وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف، فأزلْ كلاًّ منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيل، فقل: "سالت شعاب الحي بوجوه الدنانير عليه حين دعا أنصاره، ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة، وكيف تُعدم أرْيَحيتُكَ التي كانت، وكيف تذهب النشوة التي كانت، وكيف تذهب النشوة التي كنتَ تجدها"[1].

وخلاصة القول إن الكلام البشري هو مركب لغوي يحتوي على دواليب متعددة ومتناسقة ومتعاضدة تؤدي وظيفة تبليغية، ومنسجمة في تركيب نحوي.. فكل لغة تختص بنظام صوتي وإفرادي وتركيبي به تتمايز اللغات التي هي "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم:[2].

فكان من مميزات العربية أنها تجري في محورين:

أفقي صرفي، وعمودي تركيبي: Syntagmatique et Paradigmatique

---

[1]- عبد القادر الجرجاني: " دلائل الإعجاز " تحقيق محمود شاكر، ص: 98-99 ، ط2 1410هـ-1989 م ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر.

[2]- ابن جني: " الخصاءص" ج 1، ص:33.

Syntagmatiue محور تركيبي

محور صرفي

فالمفردات التي تعاقب في خط عمودي، يتكفل بها علم الصرف الذي يخضع لضوابط معلومة البناء والدلالة.

أما المحور الثاني فإنه يجري في خط أفقي يمثله علم الإعراب تتوالى فيه الكلم وفق ما اقتضاه التركيب النحوي لأي لغة كانت فتسيل الكلم في جداول أفقية تعرف بالجمل تصب فيها المعاني لتؤدي أغراضا ومقاصد ينتجها المخاطبون لقضاء مآربهم في مستويات مختلفة ترتفع إلى درجة الإبداع الفني والأدبي، ومن هذا يصح لنا أن نطلق على هذا المحور "الميزان التركيبي" الذي يضاع الميزان الصرفي للتعارف عليه.

وقد أدرك هذا المفهوم ابن فارس في مؤلفه القيم "الصاحبي في فقه اللّغة" فقال: "باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل، والفهم من السامع " يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر التصريف هذا فيمن يعرف الوجهين, فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهام السامع بوجوه يطول ذكرها من إشارة وغير ذلك. وإنما المعول على ما يقع في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله *(ص)* أو غيرهما من الكلام المشترك في اللفظ.

فأما الإعراب، فيه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلا لو قال:"ما أحسن زيد " غير معرب أو "ضرب عمروْ زيد" غير معرب لم يقف على مراده، فإذا قال: ما أحس زيدًا " أو " ما أحسن زيدٍ " أو " ما أحسن زيدُ " أبان الإعراب المعنى الذي أراده.

وهكذا يتبين لنا أنه لولا دلالة الإعراب الذي يعني البيان والتفريق بين المعاني المتداخلة ما عرفنا " ما أحسنَ زَيْدًا " أنها جملة تنطوي على التعجب والاستغراب من أمر ما حسن زيْدًا، ولو سلكنا مسلك الإعراب الموروث عن عصور التخلف لكنّا قمنا بتحليل الجملة إلى عناصرها الأساسية دون ما احتوت عليه من دلالات وفوائد. وما لنا من سبيل على ذلك سوى الإشارة الموضوعية للتعجب وهي لا تعني شيئا.

وفي الجملة الثانية "ما أحسن زيدٍ " جملة استفهامية يستخبر بها عن أمر مجهول الهُوية لدى المتكلم يبغي إفادته من المخاطب ما هو؟ أهو بصرهُ؟ أو وجههُ؟ أم أناقُته وهِندامه؟ أو ماذا فيه؟.. فهي جملة تحتاج إلى جواب، وكلتا الجملتين تندرجان في الأسلوب الإنشائي.

أما الجملة الثالثة "ما أحسنَ زَيْدٍ" فهي جملة خبرية منفية تحتمل الصدق والكذب.

10 - ابن فارس : "الصاحبي في فقه اللّغة" ص: 196-197 مكتبة بيروت. الطبعة الأولى 1414 هـ 1993م.

ونلاحظ أن " ما " في الجملتين الأوليين تنتميان إلى فئة الأسماء والثالثة تنتمي إلى الحروف. وكنا " ما أحسن" في الجملتين 3/1 تنتميان إلى فئة الأفعال، إلا أن الصيغة الأولى تنتمي إلى التراكيب الجامدة، لأن صيغة التعجب تختصُّ بهذا البناء، أما "أحسن" الثانية فإنها تنتمي إلى الأسماء على صيغة أفعل التي لا يراد بها المفاضلة والمغالبة هنا.

ويقول ابن فارس عن ا لمحور العمودي: "وما التصريف فإنَّ من فاته علمُه فاته المعظَم. لأنا نقول: "وجد" وهي كلمة مبهمة فإذا صرفناها أفصحت، فقلنا في المال " وُجْدًا " وفي الضالة " وجْدانًا " وفي الغضب " موْجدَةً" وفي الحزن " وَجْدًا".. وقال الله جل ثناؤه: {وأما الْقَاسِطونَ فَكَانوا لِجَهَنَّمَ حَطْبَا.الجن 15 وقال:§ وأقْسِطُوا إنَّ الله يُحِبُ المُقْسطِينَ§ ٠ المائدة.45

كيف تحول العنى بالتصريف ض العدل إلى الجور؟"[1]

وفي رأي ابن فارس ليست الصيغ الصرفية وحدها هي الدالة على المعاني المختلفة، وإنما الحركات هي أيضا دلالات على الأشياء المختلفة وإذ (للعرب في ذلك ما ليس لغيرها. فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين العاني، يقولون: " مِفْتَاحُ" للآلة التي يفتح بها ، و" مَفْتَحُ " لموضع الفتح و" مِقصّ " لآلة القص، و" مِقَص" للموضع الذي يكون فيه القص، و"مِحْلَبُ " للقدح يُحْلَبُ فيه، و" مِحْلَبُ " للمكان يحتلب فيه ذوات اللبن، ويقولون: "امرأة طاهر" من الحيض لأن الرجل لا يشاركها في الحيض، و"طاهرة" من العيوب، لأن الرجل يشركها في هذه الطهارة وكذلك قاعد، من الحَبْلِ و " قاعِدة " من القعود [2].

إن هذين الميزانين مرتبطان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، مع مراعاة ما يقتضيه كل ميزان من سلامة الحروف، وسلامة البنية العرقية ودلالتها الوضعية والمستعملة منها المتواطإ عليها في قاموس أمة العرب، لأن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة.[3]

1- ابن فارس، الصاحبي، ص:197.

2- المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

3- الاسترابادي: " شرح شافية ابن الحاجب "، ج1 ، ص: 06

وما قيل عن الميزان الصرفي يقال عن ميزان مجاري الكلام المعروف بالمحور التركيبي، الذي يزن الكلام المركب من كلمتين فأكثر أسندت إحداهما إلى الأخرى، مع مراعاة التقديم والتأخير الحذف والذكر والتعريف والتنكير، شريطة أن ينطوي هذا التركيب على فائدة يحسن السكوت عندها.

والتزاما منّا بالبحث العلمي الموضوعي، وابتعادا عن الذاتية المعادية للموضوعية المجردة عن كل ميل، نقول: إن هناك تباينا بين إدراك العلماء العرب الخلّص لدلالة معنى الإعراب، وبين العلماء العرب المتأخرين لهذه الدلالة، فأولئك يصدرون عن استقراء واجتهاد، وهؤلاء يصدرون عن لجاجة وعناد، فشتَّان ما بين الموقفين ، فسيبويه مؤلف " الكتاب " في العلوم اللسانية العربية يسمي الحركات الإعرابية "مجاري أواخر الكَلِمِ" ليصل إلى أن هذه الكلِمِ تتألف فيما بينها في ركنين اثنين هما " السند والمسند إليه " وهذا هو الجانب الشكلي للكلام يعقبهما بباب هام جدا سماه " استقامة الكلام وإحالته" ليبين لنا ترابط اللفظ بالمعنى لاقتناء الفائدة من هذا التركيب المتماسك، وهذا احتياط منه لأنه قد يتأتى لنا أن نكّون تركيبا مؤلفا من سند ومسند إليه ولكنه مفرغ لا ينطوي على فائدة، وضرب لنا الأمثلة الكافية على ذلك مما يدل على أن شروط التأليف متوفرة، ولكنها لا تحتوي على فائدة يقتضيها المقام، ويستسيفها النطق، ويقبلها العقل .

هذا وما وردت مادة " ع ر ب " في كتب الأوائل إلاّ وانصرف معناها إلى البيان واقيين والإفهام.. يقول ابن جني: "وما لفظة - أي الإعراب - فإنه مصدر أعربت عن الشيء إلا أوضحت عنه... ثم يقول: وأصل هذا كله قولهم " العرب" وذلك لما يعزى إليها الفصاحة، والإعراب والبيان، ومنه الحديث: الثَّيِّبُ تُعْرَبُ عن نفسِهَا

"[1] ، ولما استقرت العلوم العربية أخذ العلماء يبحثون عن الأصل والفرغ، وعن الثابت والمتغير فانتهوا إلى أن أصل الكلم البناء والحركات الإعرابية طارئة على الأسماء لإزالة الإبهام الذي قد يحصل في بعض المقامات .. فقالوا : " إن الأسماء لما كانت تَعْتورِها المعاني، فتكون فاعلة أو مفعولة، ومضافة، ومضافة إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: " ضرب زيدٌ عمراً، فدلُّوا برفع زيْد على أن الفعل له، وينصب عمرو على أن الفعل واقع به. وقالوا: "ضُرِبَ زيدُ"، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيْد على أن الفعل لما لم يسمَّ فاعله قد ناب منابَه، وقالوا: هذا غلام زيدٍ، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل.

إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني، هذا رأي جميع النحويين إلا " قطربا" فإنه عاب عليهم هذا الاعتدال" [2].

ومهما يكن من أمر فإننا إذا تمعنا في رأي قطرب في أمر الإعراب بأن الكلام "لم يعرب للدلالة على العاني، والفرق بين بعضها وبعض" فإننا نجد الخلاف بسيطا بينه وبين الجمهور، إذ يرى أن العلة صوتية " إنما أعربت العرب كلامها، لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف. فلو يبطئون عند الإدراج. فلما وصلوا أمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام"[3].

---

[1]- ابن جني: "الخصائص" ج1، ص: 36

[2]- الزجاجي : الإيضاح في علل النحو " مطبعة المدني، 1378ل— 1969 م المؤسة السعودية بمصر.

[3]- المرجع السابق نفسه والمصفحة نفسها

وعلى هذا فالاختلاف بين الجمهور وقطرب في الشكل لا في الجوهر فقال المخالفون لرأيه: لو كان كما زعم لجا ز خفضُ الفاعل مرة. ورفعه مرة أخرى ونصبه وجاز نصب المضاف إليه. لأن القصد في هذا إنما هو ١لحركة تعقب سكونا يعتدل به الكلام. وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخبر في ذلك. وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب وحكمه نظام كلامهم" [1].

هذا الموقف لم يثر في نظام العربية الصوتي والإفراد ي والتركيبي بالرغم من ادعاءات ابن مغضَّاء. ومن سار على نهجه لأنها لم تمسّ البنية الأساسية للسان العربي. وإنما طالت بعض العلل الثواني وا لثوا لث والإعراب التقديري والمحلي، إنما الآفة الكبرى ما نجم عنها من قصور في الرؤية وعجز في الإدراك لدى بعض العلماء المعاصرين المتشيعين لشيوخهم من المستشرقين النين ربطوا بين الحضارة والتقدم والإعراب والبداوة، ودعوْا إلى استعمال اللهجات المحكيَّة، لأنها متطورة ومسايرة للتقدم التكنولوجي على عكس العربية الفصحى الجامدة، إذ "الإعراب يتلاءم والحضارة، ونحن نرى في الإعراب في أي لغة بقية من البداوة"[2].

هذا هو أمر الدكتور " أنيس فريحة " في الإعراب بأنه ليس قيمة بقائية ولو أنه كان ضروريا للفهم والتفاهم لأبقت الحياة عليه. ولكنه زُخرُفْ. ولأنه بقية من بقايا العقلية القديمة في اللّغة في كل لغة. فإن الحياة نبذته. . ويستمر في هذا الكلام الذي لا يرقى إلى درجة البحث العلمي اللغوي فيقول: " إن الإعراب عقبة في سبيل التفكير، ذلك مما لا شك فيه، وسقوطه من اللهجة المحكية خطوة هامة نحو تسير الكلام حتى يصبح طريقا ممهدا للفكرّ".[3]

1- المرجع نفسه ، ص: *71*.

2- الدكتور أنيس فريحه; "نحو عربية سرة " ص: 1.23

3- المرجع السابق.ص: 184.

ويخلص إلى اقتراح مشروع علمي - في نظره - تتوفر فيه الشروط الثلاثة التالية:

- أن يكون له أدب شعبي

- أن يكتب بالحروف اللاتينية

- أن تضبط أحكامه الصوتية والصرفية والنحوية وفق اللهجات المحلية.

أن هذا المشروع يهدف إلى هدم كل المقومات الأساسية للسان العربي. وفي طليعتها الإعراب والصرف اللذان يمثلان اكدى واللحمة في نسيج العربية كما بينا آنفا، ويسعى إلى فصم الأجيال من تراثها المزبور بالحرف العربي المتواضع عليه منذ أمد مديد، لا نعلم بدايته. لكنه تجلى في الموروث الحضاري الضخم الذي أنتجه السلف الصالح من الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، واستفادت منه الإنسانية جمعاء، فكان تراثا عالميا. لهذا وذ الحاقدون على الحضارة العربية قصمها من الداخل وتفكيك نظامها اللغوي من أساسيته الذاتية، وصادف هذا الأمر هوًى في النفوس الضعيفة من بني الملة العربية أنفسهم، وزكاها المستشرقون الذي استشرى خطرهم في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد نادى قاسم أمين بتحرير اللّغة العربية من الإعراب فقال: " لى رأي في الإعراب أنكره هنا بوجه الإجمال، وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل"[1] .

ومختصر القول إنّ الإعراب مرّ بثلاث مراحل:

* المرحلة الأولى : مرحلة العفوية والفطرة الإلهية التي فتقت العبقرية العربية فكان الإعراب فيها يعني البيان والوضوح كأي أداء

1- الدكتور أحمد سليمان ياقوت: " ظاهرة الإعراب ".ص: 37. نقلا من كتاب لقاسم أمين بعنوان: " كلمات لقاسم أمين " ، ص 12 مطبعة الجريدة بمصر 1908.

لغوي متواضع عليه، حتى إذا سمع الإعرابي خَرْفَشة النحويين في المصطلحات المستجدة في الساحة العلمية الجديدة التي اقتضتها الحياة المدنية المتطورة صرخ قائلا:

ولست بنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ

ولكن سلِيقِيٌّ أقُولُ فأُعْرِبُ

وبهذا المنظور تداوله العلماء الأوائل في مؤلفاتهم دون لجاجة ولا حجاج لكن ما إن استقرت الأمور، وانتشر الجدل بين العلماء العرب حتى أصبح الإعراب مصطلحا نحويا يعتورُ الأسماء المتمكنة والأفعال الضارعة لها بحركات تباين بين العاني المتكافئة التي لولاها لجُهِل أصل الإفادة. . ولا خلاف بين العلماء فيه إلا ما كان من أمر قطرب كما رأينا.

* وفي المرحلة الثانية: أدرك العربية ركود وجمود بسبب ما حل بأهلها من ضعف في مختلف مناحي الحياة الثقافية والسياسية والتربوية، فانكمش مصطلح الإعراب على نفسه واختزل في تعريف ابن جروم له " بأنه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها، هذا. . ولم يدْعُ أحد من هؤلاء العلماء إلى طرحه.

* أما في المرحلة الثالثة: فقد نادى أقوام بإزالته من الكلام العربي كما بينا، لكن هذه الدعوة لم تعمر طويلا، وتصدّى لها العلماء الأجلاء وأسقطوها وردوا لمصطلح الإعراب دلالته الأصلية معتمدين في ذلك على ما ثبت بالنصوص الصريحة والحجج والعقلية، فخاب فأل الناعقين بسقوط الإعراب، بيد أن المعركة مازالت مستمرة، ولم يأخذ مصطلح الإعراب دلالته واستقراره، إذ مازلنا نسمع بعض من مسهم زيف الزائغين عن جادة اللسان العربي والحاقدين عليه يميلون إلى الدعوة إلى إصلاح النحو تارة وإلى حذف بعض أبوابه تارة أخرى، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا أبدا ما دامت العربية محفوظة بكتاب سماويٍّ: § لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد§ . فصلت 41.

اختصار المعاجم أهدافه وطرائقه دراسة في.
(مختار الصحاح) للرازي.

الدكتور: **على القاسمي.**

100- تقديم

قد يحسب بعضهم أن اختصار المعاجم يتعلق بمعاجم التراث الكبيرة فقط وأن عصره قد انتهى الآن، أو يظن أننا لا نحتاج إلى اختصار معجم موجود بل من الأيسر أن نصنف معجما صغيرا جديدا، أو يتوهم أن اختصار المعاجم فن يعتمد على الحذق المعجمي وفطنته وليس علما له قواعده المحددة.

غير أن أبحاث علم اللّغة التطبيقي الحديث تدلنا على أن اختصار المعاجم لإنتاج أنواع متعددة منها سيبقى ضرورة حتمية ما دامت مستويات القراء - العمرية والثقافية — متباينة، وما دامت اهتماماتهم متفاوتة، وما دامت حاجاتهم إلى استعمال المعاجم مختلفة، وأن من الأفضل أن تتبني المعاجم المتعددة على مدونة معجمية جيدة واحدة لأن في ذلك ادخارا للجهد وتوفيرا للوقت وتخفيضا للنفقات. ولهذا نجد أن المؤسسات المعجمية العالمية الكبرى مثل لاروس وأكسفورد وويستر تنج وطبعت أحجاما مختلفة للمعجم الواحد لتستجيب لمستويات القراء المتعددة واحتياجاتهم المتنوعة.

وفي هذه الدراسة المختصرة التي تتخذ من مختار الصحاح ميدانا لها، تعريف ببعض أغراض اختصار المعاجم والقواعد الواجب مراعاتها.

200-العبقرية والتعقيد:

لقد احتاج المعجميون العرب إلى أكثر من قرنين من الزمان للتخلص من تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي (100—175 هـ) عليهم. فقد ابتكر الخليل منهجية فريدة توافق عبقريته الفذة وتناسب طموحاته العريضة الرامية إلى وضع معجم يحصي فيه جميع كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء[1].

وتقوم منهجية الخليل على أسس لسانية رياضية منطقية جعلت منها منهجية معقدة لا يستطيع استيعابها إلا المختصون، في حين يصعب منالها على عامة المثقفين والمتعلمين، وهذه الأسس هي:

أولا: ترتيب مواد المعجم ترتيبا صوتيا حسب مخارج الحروف ابتداء من حروف الحلق، لأنه أبعد المخارج، والصعود تدريجيا حتى الحروف الشفهية، فجاء ترتيبه على الوجه التالي:ع ج ه غ خ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د د ن رد ن ف ب م و ي ا. وجعل الخليل بابا خاصا في معجمه لكل حرف من هذه الحروف. وهو ترتيب مبتكر يصعب استيعابه على عامة الناس الذين اعتادوا على الترتيب الألفبائي والترتيب الأبجدي الشائعين آنذاك.

ثانيا: ترتيب الكلمات في كل حرف من الحروف حسب أبنيتها الصرفية، بحيث أفردا بابا لكل كلمة بناء من الأبنية التالية : الثنائي المشدد ثانية ، والثلاثي الصحيح، والثلاثي المعتّل، واللفيف، والرباعي، والخماسي. ومن يبحث عن كلمة عليه أن يعرف أولا أصلها وبناءها.

---

[1] الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي(بغداد: دار الرشيد للنشر، 1980)ج1، ص 47.

ثالثا: اعتماد طريقة التقليبات، فهو يذكر الكلمة ثم يقلبها إلى كل وجه بحيث تتألف من مقلوباتها كلمات، فتذكر جميع تلك الكلمات في موضع واحد، ويشير إلى المستعمل والمهمل منها، مثلا: في مادة ع ك ب نجد العنوان التالي:

ع ك ب، ع ب ك،ك ع ب،ك ب ع،ب ك ع (مستعملات)، ب ع ك (مهمل) ومن يبحث عن (ش ع ل) فهو لا يجدها في كتاب الشين وإنما يجدها في كتاب العين أسبق من الشين في الترتيب الصوتي الذي ابتكره الخليل

هذه المنهجية الرائدة في تنظيم المعجم أثرت بدرجات متفتوتة، في أعمال كبار المعجمين العرب اللذين جاؤا بعد الخليل مثل معاصره أبي عمرو الشيباني (149 – 206)، في معجمه (الجيم)، وابن دريد (223 – 321)، في معجمه (الجمهرة)، وأبي منصور الأزهري (282 – 321)، في معجمه (تهذيب اللغة)، والصاحب بن عباد (385-236) في معجمه (المحيط).

وعلى الرغم من أن المعجميين اللذين حاءوا بعد الخليل بذلوا جهدا كبيرا لتسيير منهجيته وتبسيطها في هذا الجانب أو ذلم، فإنه لم يتم التخلص منها برمتها إلا على يد عبقري آخر هو الجوهري

300 — **الجوهري ومعجمه (الصحاح):**

والجوهري هو إسماعيل بن حماد (332 – 400)، أصله من فاراب في بلاد الترك، رحل إلى العراق في طلب العلم فارس على اثنين من أعظم شيوخ العربية في زمانه هما أبو علي الفارسي (288 – 356) وأبو سعيد السيرافي (284 – 368) ثم رحل إلى الحجاز وشافه الأعراب في ديارهم، وسافر إلى خرسان فالري فينيسابور حيث

أقام هناك متصديا للتدريس ومتفرغا للتأليف، وفيها ألف معجمه (الصحاح) وفيها لقي حتفه على إثر قيامه بتجربة فاشلة للطيران حين صعد إل سطح الجامع وقد ربط أجنحة إلى ذراعيه وألقى بنفسه محاولا للطيران، ولمنه سقط ميتا، فقال بعضهم إن محاولته تلك نتيجة لإصابته بسوسة أو لوثه عقلية.

ومعجمه الصحاح يشهد بعبقرية فذة جعلت ياقوت يقول عنه في معجم الأدباء:

" كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما"[2]

ولا تكمن أهمية معجم الصحاح في أن الجوهري جمع فيه الألفاظ الصحيحة، بعد تحصيلها بالعراق رواية، واتقانها دراية ومشافهته بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية كما يقول [3] فحسب. وإنما في الترتيب الذي ابتكره لتيسير المعجم كذلك. وخصائص العجم الغربية هذه جعلت الناس يقبلون على اقتنائه وتداوله ما دعا الباخرزي إلى القول:" وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم. وعليه اعتمادهم."[4] و يعلل الثعالبي ذلك بأن (الصحاح) " أحسن من (الجمهرة). وأوقع من (تهذيب اللّغة). وأقرب متناولا من (مجمل اللّغة) [5].

وتنبني منهجية الصحاح على ترتيب جميع أصول الكلمات العربية. بصرف النظر عن بنائها الصرفي. حسب قوافيها على حروف المعجم الألغبائية المعتادة. ويخصص لكل حرف باب. وفي كل باب ترتب المواد ترتيبا ألفبائيا كذلك. ففي باب الباء. مثلا. نجد المواد مرتبة ألفبائيا : أبب. أتب. أدب. أزب. ...الخ.

---

[2] ياقوت، معجم الأدباء (بيروت: دار الفكر. 1980) ج.6 ص151 - 152

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري. تاج اللّغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت : دار العلم للملايين) ج1 ص33.

[4]- علي بن أبي الحسن ا لبا خرزي، دمية القمر وعمر أهل العصر. نقلا عن مقدمة المرجع السابق ص112.

[5]- عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر. تحقيق محمد قمحية (بيروت: دار الكتب العلمية. 1983) ج.4 ص

400 — تلخيص الصحاح:

وأدى صدور هذا المعجم الرائع إلى تنشيط الحركة المعجمية تمثل في الكتابات النقدية التي تناولته والأعمال المعجمية التي انبثقت عنه تعليقا، وتكملة، وتحشية، وتلخيصا. ويكفي الجوهري فخرا أن أعظم معاجم التراث العربي بعده سارت على نهجه وأفادت منه. ومنها (القاموس) للفيروزبادي و(لسان العرب) لابن منظور ومعجما الصاغاني.

وقد أحصى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، محقق الصحاح. تسعة تعليقات. وسبع حواش. وتسع كتب جمعت الصحاح مع غيره من المعاجم، وسبع تكميلات ومستدركات، وعشرة كتب تناولت الصحاح بالنقد. وستة عشر كتابا ألفت في الدفاع عن الصحاح. وسبعة عشر مختصرا، وثماني ترجمات إلى اللغتين الفارسية والتركية، وعشرة كتب اقتبست اسم الصحاح أو سارت على منهجيته[6].

500 - الرازي ومختار الصحاح:

لا يقل محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد سنة 691 د) عن الجوهري عبقرية وطول باع في المعرفة، فالرازي لغوي، مفسر، فقيه. صوفي، أديب له نظم ونثر. ولكن أخباره قليلة ولا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته على وجه التحديد. فقد اتسم العصر الذي عاش فيه بالاضطراب السياسي والحروب الطاحنة. إذ كان الصليبيون قد شنوا حملاتهم المتتالية على العالم الإسلامي من الغرب واستولوا على بيت المقدس سنة 493 هـ واجتاح المغول العالم الإسلامي من الشرق فسيطرو على إيران كلها عام 628هـ ، ثم زحف هولاكو بجحافله إلى عاصمة الخلافة الإسلامية. بغداد، سنة 656 د واستباحها ودمرها وأحرق معاهد العلم والمكتبات فيها وقتل الخليفة وأهله.

ولهذا كله اضطربت في ذلك العصر الاتجاهات الفكرية المتباينة وا لنزعات الدينية المختلفة، وانتعش التصوف. وكان الرازي، وأصله من الري، من كبار الصوفية الذين ولعوا بالأسفار والرحلة في طلب العلم فزار مصر والشام والأناضول، واتصل بالعلماء وطلاب العلم في هذه الأقطار.

[6]إسماعيل بن حماد الجوهري. مرجع سابق. المقدمة ص4ج 1 — 212.

وللرازي مؤلفات عديدة في تفسير القرآن، واللّغة، والبلاغة، والتصوف، وله خبرة في إيجاز المعلومات واختصارها تجلت في تفسيره الوجز المعروف بـ (إنمونج جليل في أسئلة وأجوبة من آي التنزيل) [7].وفي مصنفه (ككتاب الأمثال والحكم) الذي قال عنه في مقدمته إنه مختصر جمع فيه ما تفرق من الأبيات المفردة وأنصاف الأبيات التي مازال الفضلاء يتمسكون في مكتباتهم ومخاطباتهم... [8].

هذا اللغوي المتمرس في الإيجاز، المولع فيما قلّ ودلّ، تصدى لاختصار (الصحاح) الذي يقع حاليا في ستة مجلدات مطبوعة يربو عدد صفحاتها على 2560 صفحة من الحجم الكبير، ولخصه في كتاب صغير عنوانه (مختار الصحاح) لايتجاوز عدد صفحاته 590 صفحة من القطع الصغير.

600 ـ اختصار المعاجم:

لا يعني اختصار المعاجم مجرد حذف ما زاد على كلمات المداخل ومعانيها الأولى من معلومات نحوية، ومعان ثانوية ومجازية، وتعبيرات اصطلاحية وسياقية،

شواهد وغيرها [9]. فعملية الاختصار مقيدة بالهدف منها وجمهور القراء المستهدفين . فإذا أضاف أحيانا إلى مداخل الصحاح ما يحتاج إليه الجمهور الذي يسعى الرازي إلى إفادته. ومن الأمثلة الأخرى على مقدمة المعجم. ففي حين تتألف مقدمة الجوهري لمعجمه (الصحاح) من فقرة واحدة لا تتعدى نصف صفحة، نجد أن مقدمة الرازي

---

[7] محمد بن أبي بكر الرازي، تفسير الرازي، تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت: دار الفكر، 1999م)

[8] المرجع السابق، ص9

[9]- من الأمثلة غير الموفقة على اختصار المعاجم، المعجم العربي الميسر (تونس الألكسو، 1991)، المتخلص أساسا من المعجم العربي الأساسي. فقد حذف المكلفون بإعداده كثيرا من المعلومات الأساسية الموجودة في العجم الأصلي، بما في ذلك أسماء اللغويين العرب الذين ألفوه.

لمعجمه (مختار الصحاح) تناهز ست صفحات ضمنها معلومات صرفية ونحوية تساعد القارئ على استيعاب مواد المعجم وفهم سلوكها اللغوي بصورة أفضل.

610 ـــ أهداف الاختصار ونطاقه:

في مقدمته لـ (مختار الصحاح) يبين الرازي، أولا، سبب اختياره لمعجم الصحاح دون غيره من المعاجم المطولة الأخرى فيقول: " هذا مختصر في علم اللّغة جمعته من (كتاب الصحاح) للإمام العالم العلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري رحمه الله تعالى، لما رأيته أحسن أصول اللّغة ترتيبا، وأوفرها تهذيبا، وأسهلها تناولا، وأكثرها تداولا، وسميته (مختار الصحاح).[10]

فهو هنا لا يغفل عنوان المعجم الأصلي ولا يهمل اسم مؤلفه بل يذكره بتقدير واحترام ويترحم عليه، وهذا ما تقتضيه آداب التأليف والأمانة العلمية وتواضع الأدباء.

ويوضح الرازي في مقدمته أهداف الاختصار فيذكر أنه أعدّ (مختار الصحاح) ليكون معجما أساسيا ميسرا " لكل عالم فقيه أو حافظ، أو محدث. أو أديب" [11] ليس لمتخصص في علوم اللّغة كما هو حال المعجم الأصلي- الصحاح. وإنما توخى الرازي أن يجعل (الصحاح) في متناول عامة المثقفين. حجما ومادة دون أن يجرده من مزاياه المفيدة وخصائصه المجيدة.

ولا يعني الاختصارُ الاقتصار على ما ورد في المعجم الأصلي فقط وإنما قد يرجع المعجمي إلى معاجم أخرى فيفيد منها، أو يضيف من معلوماته الخاصة استكمالا للفائدة. وهذا ما فعله الرازي وأشار إليه في مقدمته بقوله:

" وضممت إليه (أي إلى الصحاح) فوائد كثيرة من تهذيب الأزهري وغيره من أصول اللّغة للموثوق بها ومما فتح الله تعالى به عليّ

---

[10]- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار المحاح (القاهرة : المطبعة الأميرية،1922) المقدمة.

[11]- المرجع السابق

فكل موضع مكتوب فيه (قلت) فإنها **الفوائد** **التي** زدتها **على الأصل"**[12]

620 -طرائق الاختصار وقواعده:

إذن، ما **هي** المنهجية التي اتبعها الرازي في الاختصار؟ **وما هي الوسائل** التي استخدمها لتحقيق أهدافه؟

يلخص لنا الرازي منهجيته حينما يذكر في المقدمة **أنه** اقتصر **على ما** بدّ معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه **على** الألسن مما هو الأهم فالأهم. واجتنب فيه عويص اللّغة وغريبها طلبا للاختصار وتسهيلا للحفظ.

وبعد إمعان النظر في مواد (مختار الصحاح) ومقارنتها بالمواد لأصلية في (الصحاح) يمكننا أن نستخلص وسائل الاختصار في استخدمها الرازي ونلخصها في ما يلي:

621 - **اختصار المعلومات النحوية:**

يقدم المعجم الجيد لمستعمليه معلومات صرفية ونحوية تعينهم على تصريف الأفعال ونطق مشتقاتها بصورة صحيحة. ويحتاج مستعمل المعجم العربي الذي تتألف مداخله عادة من الأفعال في صيغة الماضي إلى معرفة الأفعال المضارعة وحركة عين الفعل فيها ومصدرها وأحيانا اسم الفاعل واسم المفعول به إذا كانا شاذين، لأن هذه الأمور سماعية وليست قياسية لا يستطيع القارئ معرفتها بنفسه.

وهذا النوع من المعلومات الصرفية يتطلب استعمال الشكل التام(الحركات) وذلك ما يؤدي إلى كثير من التصحيف حتى في وقتينا الحاضر التي تطورت فيه الطباعة الحاسوب بله في ذاك العصر الذي كان يعتمد فيه النشر على النسخ اليدوي والنساخُ الذين قد تعوزهم المعرفة المتخصصة ويرهقهم العمل بما يؤدي إلى اقترافهم الأخطاء الكثيرة.

وقل استخدم الرازي طريقة ذكية لاختصار المعلومات النحوية في صلب معجمه (مختار الصحاح) وتساعد في الوقت نفسه، على

---

[12]- المرجع السابق

تجنب التصحيف والتحريف. وهي طريقة تستخدمها اليوم أحدث المعاجم الإنجليزية مثل معجم كمبرج ومعجم اكسفورد للمتعلمين مع العلم أن، الجوهري لم يستعمل تلك الطريقة في معجمه (الصحاح).

وخلاصة طريقة الرازي تلك أنه ذكر في المقدمة أبواب أو أنواع الأفعال الثلاثية السنة (فَعَلَ يَفاعل، فَعَلَ يَفعِل، فَعَل يفعَل. فعِل يفعَل، فعُل يفعُل، فعِل يفعل).

ونصّ على موازين كل باب منها، وهي موازين يحفظها التلاميذ في الراحل التعليمية الأولى، مثل:

* الباب الأول -فعل يفعُل، يفتح العين في الماضي وضمها في المضارع والمذكور منه سبعة موازين: نصر ينصر نصرا، دخل يدخل دخولا، كتب يكتب كتابة، ردّ يردّ رداً، قال يقول قولا، عدا يعدو عدوا، سما يسمو سموا.

ثم أتى على بقية الأبواب وموازينها الشائعة، وذكر القواعد الصرفية التي تتحكم في بعض الموازين. أما في صلب المعجم لأنه أخذ يحيل على هذه الموازين المذكورة في المقدمة، فلا يحتاج إلى نكر الفعل المضارع، ولا تهجي المصدر، ولا تحديد حركة الحرف الأوسط من الماضي، ولا إيراد حركة عين المضارع وكل ما يحتاج إليه هو النص على الباب الذي ينتمي إليه الفعل الماضي مثلا:

" ح ل ل - (حل) العقدة: فتحها (فانحلّت). وبابه رّد يقال: يا عاقد اذكر حلاً".

وعند ذلك يعرف القارئ أن تصريف الفعل الماضي (حلّ) مماثل لتصريف الفعل (ردّ) المنصوص عليه في مقدمة العجم، وهو: حَلَّ يَحُلُّ حَلاّ.

622 - حذف الألفاظ العويصة والغريبة:

من المعروف أن الناس لا يستخدمون في أحاديثهم اليومية أكثر من ثلاث مئة كلمة. وهي التي اصطلح عليها بالمفردات الشائعة. أما أكبر الكتاب وأطولهم باعا في اللغة وأكثرهم اطلاعا على أوابدها وشواردها فإنه لا يستخدم في كتاباته أكثر من عشرة آلاف كلمة. لهذا فأن المعجم الوجيز المخصص لعامة الناس من المثقفين لا تتضمن مداخله الكلمات النادرة التي لا يحتاج إليها مستعملوه عادة. ولهذا فإن الرازي أهمل عددا كبيرا من مداخل الصحاح ذات .الألفاظ العويصة التي يصعب على الدارسين وهذه إحدى وسائل الاختصار والتسهيل التي اتبعها وأعلن عنها في مقدمة بقوله: " وجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلبا للاختصار وتسهيلا للحفظ[13].

وقد تكون المادة برمتها غريبة كما قد يكون أحد مشتقات المادة فقط غريبا. ففي الحالة الأولى يحذف الرازي تلك المادة. وفي الحالة الثانية تُبقي على المادة ويحذف المدخل الغريب فقط.

ومن الأمثلة الغريبة في الصحاح مادة (ب ج رم):

"البجارم: الدواهي " التي حذفها الرازي،

ومادة(ج ح ل) ..

" الجُخال بالضم: السَمّ وأنشد الأحمر:

جرّعه الذيْفان والجحالا

وأما الجخال بالخاء فلم يعرفه أبو سعيد.

وأبو سعيد هذا هو أبو سعيد السيرافي شيخ الجوهري صاحب الصحاح. فإذا لم يعرفه أبو سعيد فما فائدته لعامة المثقفين؟ ولهذا تركه الترازي.

---

[13]- المرجع السابق

ومن الأمثلة على مداخل الصحاح الغويصة الغريبة التي أهملها مختار الصحاح على الرغم من احتفاظه ببقية مداخل المادة، مدخل (طباقاءُ) في مادة (طبق):

(طباقاء) ويقال : جملُ طباقاء، الذي لا يضرب.

والطباقاء من الرجال: العييّ، قال جميل بن معمر:

طبقاء لم يشهد خصوصا ولم يَقُدْ وكابا إلى أكوارها حين تعكف

ويروى "عيا ياءُ، وهما بمعنى".

642- حذف المعاني العويصة والغريبة:

لا يقتصر الاختصار على حذف الألفاظ العويصة والغريبة فقط، وإنما يشمل كذلك حذف المعاني العويصة والغريبة لبعض "الألفاظ. قد يكون المدخل مشتركا لفظيا له عدة معان بعضها عويص غريب لا يحتاج إليها اقرئ المثقف، فيعمد المعجمي إلى حذفه توخيا للاختصار.

ومن الأمثلة على ذلك مدخل (الرخمة) في مادة (رخ م) والتي أورد لها الصحاح معنيين هما :

-أما الرازي فأهمل المعنى الثاني (أي الرخمة بمعنى الرحمة) واقتصر على المعنى الأول مختصرا كما يلي:

-الرَّخْمَةُ: طائر يشبه النسر في الخلقة، وجمعه (رَخَمْ) وهو للجنس.

624- حذف المعلومات الموسوعية:

إن أحد الفروق بين الموسوعة والمعجم هو اشتمال الموسوعة على أسماء الأعلام ض أشخاص. وأماكن جغرافية-مثل البلدان والجبال والأنهار والوديان -وأعياد ، ووقائع حربية، وأعمال فنية وأدبية وغيرها مما يطلق عليه عادة بالمعلومات الموسوعية. أما المعجم اللغوي فإنه يخلو من تلك المعلومات الموسوعية [14].

وقد دأب أصحاب المعاجم التراثية على إدخال المعلومات الموسوعية فيها جريا على ما سنه الخليل في معجمه الرائد. كتاب العين. ويطلق اللغويون المعاصرون على هذا النوع من المعاجم اسم المعاجم الموسوعية. ولكن المعجم اللغوي البحث لا يشتمل على أية معلومات موسوعية. فمكان المعلومات الموسوعية الصحيح هو في المعلمة أو الموسوعة أو دائرة المعارف، وليس في المعجم اللغوي. وهذا ما فعله مجمع اللّغة العربية بالقاهرة حينما أصدر المعجم الوسط خاليا من أسماء الأعلام.

وكان الرازي من أوائل اللغويين العرب الذين تنبهوا إلى هذا الفرق الأساسي بين المعجم وارب (أو ص العجم اللغوي والمعجم الموسوعي) وأفاد منه اختصار الصحاح ولم ينتبه إلى هذه الحقيقة الهامة المعجمي الشهير مجد الدين الفيروزبادي(ت 817 هـ) الذي عاش بعد الرازي بحوالي قرن ونصف قرن من الزمان .فمعجمه (القاموس المحيط) الذائع الصيت هو في حقيقة الأمر، خلاصة معجمه المسمى (اللامع المعلم العجاب بين المحكم والعباب) الذي كان يتألف من ستين سفرا. ولكن الفيروزبادي حذف في عملية الاختصار معظم الشواهد وأبقى على أسماء الأعلام وليته اقتدى بالرازي وفعل العكس.

ومن الأمثلة على المعلومات الموسوعية التي أوردها الجوهري في الصحاح وأغفلها الرازي في مختار الصحاح ما يلي:

625 - اختصار الشواهد:

والنوع الآخر من المعلومات التي عمد الرازي إلى اختصارها هو الشواهد .ونعني بالشاهد نصا قصيرا، حقيقيا أو موضوع، يرد فيه اللفظ الراد تعريفه. وقد استخدم المعجميون العرب الشواهد لأغراض متعددة أهمها:

1- إثبات وجود الكلمة في اللغة العربية، بدليل ورودها في بيت شعري أو مثل سائر أو قول مأثور أو نحوه.

2- توضيح معنى الكلمة، لأن السياق يساعد على تحديد معنى اللفظ الوارد فيه.

14- الوقوف على الفروق بين المعجم والموسوعة، انظر علي القاسمي. علم اللّغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الملك سعود. ط2: 1992) ص 43- 44.

3- مساعدة القارئ على الوقوف على سبوك الفظ النحوي عندما ستعمل في نص حي.

إضافة إلى أن الشاهد المقتبس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أوير الشعراء والأدباء يلقي أضواء كاشفة على الثقافة العربية ويثير اهتمام القارئ.

ولكن المعجميين العرب أكثروا من الشواهد أو استطردوا فيها بحيث اضطروا في أحيان كثيرة إلى شرح معنى الشاهد كله أو بعضه، لأن الشاهد أصعب من اللفظ المطلوب فهمه، ومن الأمثلة على ذلك مرّ علينا في الفقرة 624 حين اضطر الجوهري إلى شرح المشاهد الذي أورده من شعر لبيد. وقد تعامل الرازي مع شواهد الصحاح بطرق أربع:

أولا: الإبقاء على الشاهد القصير المفيد. مثلا، في مادة (س م ع) : _"السّمع: سمع الإنسان، يكون واحدا وجمعا، كقوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وسمعهم)، لأنه في الأصل مصدر قولك: -سمعت الشيء سَمعا وسَماعا، وقد يجمع على (أسماع). وجمع الأسماع (أسامع).

ثانيا: اختصار المشاهد بالإبقاء على الجزء المناسب منه مثلا، في مادة (ع ص م)ورد في الصحاح: .

" وفي المثل: (كن عصاميا ولا تكن عظاميا) يريدون به قوله:

نفسُ عصامٍ سودت عصاما

وعلمته الكرّ والإقداما

وصيّرته ملكا هاما..."

أما الرازي فقد اكتفى بإيراد الشاهد على الوجه التالي:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما.

وكان بإمكانه، طبعا، أن يقتصر على الشطر الأول فقط، ولكنه آثر أن يحتفظ بالبيت كله لأن الوزن والقافية يسهلان حفظه، فالتقصير دائما إلى التيسير.

ثالثا: إذا ذكر الجوهري عدة شواهد لمدخل واحد، فقد يكتفي الرازي بشاهد واحد، فقد يكتفي الرازي بشاهد واحد منها ومن الأمثلة على ذلك مدخل (الغرام) الذي ورد في الصحاح على الوجه التالي:

ـ ابن الأعرابي: الغرام: الشرّ الدائم والعذاب، قال بشر:

ويمُ النسار ويومُ الجفار كانا عذابا وكانا غراما

وقال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلا، فإنه لا يبالي

وقول تعالى:(إن عذابها كان غراما) . قال أبو عبيدة: أي هلاكا ولزاما لهم.

قال: ومنه رجل مغرم يحبّ النساء. ومنه قولهم: رجل مغرم من الغُرم والدَين...

في هذا المدخل من معجم الصحاح، نجد أن الجوهري أتى بثلاثة شواهد، اثنين من الشعر وواحد من القرآن الكريم. أما الرازي فقد اكتفى بشاهد واحد للاختصار، فاختار الشاهد القرآني وهو أوضح الثلاثة وأبسطها، لأنه يفسر نفسه بنفسه، وجاء المدخل في مختار الصحاح على الوجه التالي:

– الغرام: الشر الدائم والعذاب وقوله تعالي: (إن عذابها كان غراما)، قال أبو عبيدة: أي هلاكا ولزاما له. قال: ومنه رجل مغرم: يحب النساء، ورجل مُغرَم: الغُرم والدَينّ.

رابعا: حذف الشاهد بأكمله، إذا ما شعر الرازي أنه لا حاجة له أو أنه لا يخدم الغرض الذي استخدم من أجله. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مادة (ر ق ع) في الصحاح:

واسترقع الثوب: حان له أن يُرَقَع. وأما قول أبي الأسود الدؤلي:

أبى القلب إلا أمّ عمر وحبَّها عجوزا،ومن يحبّب عجوزا يفندِ
كثوب اليماني قد تقادم عهده ورُقعَتُه ما شئت في العين واليد.
فإنما عني به أصله وجوهره" أما في مختار الصحاح فنجد المدخل على الوجه التالي:

" استرقع الثوب: حان أن يرقع".

لأن الشاهد الذي ورد في الصحاح لا يتعلق ب " استرقع" بل بـ "رقعة".

— حذف المصادر والراجع:

تقتضي الأمانة العلمية ومتطلبات تيسير البحث العلمي أن يذكر المعجمي مصادره، وهذا ما دأب عليه الجوهري في المواد التي سمعها من شيوخه أو نقه من معاجم أخرى ولم يجمعها بنفسه من الأعراب الذين شافههم في البداية ولهذا نجد الصحاح مليئا بعبارات مثل: قال أبو عبيدة: " وأنشدنا أبو عمرو: "و "ابن الأعرابي أو قال ابن الأعرابي:" و" لم يعرفه أبو سعيد" و" أبو زيد و قال الفراء:".

أما الرازي فقد حذف كثيرا من هذه المصادر، لأن ما يحتاج إليه مستعمل معجمه الوجيز، مختار الصحاح، هو معنى الكلمة والمعلومات المتعلقة بها وليس اسم اللغوي الذي استقيت منه تلك المعلومات. وهذا يذكرنا بمقولة الإمام علي بن أبي طاب: لا تنظر إلى من قال بل انظر إلى ما قال". ومن أراد الوقوف على الصادر الأصلية يستطيع مراجعة الصحاح.

ومن الأمثلة على حذف الرازي للمصادر حذفه لعبارة "ابن الأعرابي: " التي ذكرناها في النقطة الثالثة من الفقرة 625.

700_الخاتمة:

في هذه الورقة الموجزة لخصنا الطرائق التي استخدمها الرازي في اختصار معجم الصحاح، وهي طرائق تقوم على تخطيط محكم وأسس علمية جعلت من معجم مختار الصحاح أشهر مختصرات الصحاح وأيسرها، ومكنته من التفوق على جميع المختصرات الأخرى حتى تلك التي أنجزها علماء مشهود لهم بالمعرفة والخبرة مثل: محمود الزنجاني (573 - 656 و) وخليل بن أيبك الصفدي (696 — 764 د) وغيرهما.

طبيعة الدرس اللغوي.

الأستاذة: زينة مداوس

لقد عرف منذ القديم شغف الإنسان بلغته وتفاخر أبناء العرب بفصاحتهم وبلاغتهم، وكان الشعر العربي وسيلتهم في ذلك؛ إذ كان الناس في كل مناسبة' خاصة في تلك الأسواق الأدبية. وكانوا إلى جانب الشعر يذودون بالأمثل و الحكم وكا ن كل هذ ا في زمن لم يكن فيه المجتمع العربي في حاجة إلى دراسة لغته؛ لأنه كل يمارسها سليمة سالمة عن سليقة، وكان يدرك ما تجعله من سرّ بليغ ذي بيان؛ هذ ا البيان الذي ازداد جلاء مع حمل اللّغة لكتاب الله الذي نزل بلسان عربي مبين بمجيء الدين الإسلامي وبداية انتشاره بدا أنّ أمراً ما قد طرأ على اللغة العربية إفراداً وتركيباً وخاصة انحراف بعض الألسنة عن الأداء اللغوي السليم؛ بسبب دخول الأعاجم في الإسلام واختلاط لغاتهم باللّغة العربية فنتجت لغة مزيج من لغتين أو أكثر وبدأت العربية تبتعد عن فصاحتها، إذ كانت هذه الأخيرة جديدة على الأعاجم الذين رغبوا في تعلمها ليتحقّق لهم الاندماج في المجتمع الإسلامي ويتسنّى لهم فهم الدين الجديد

وطبيعي أن كانت ذلك؛ ظهور انحراف لغوي على ألسنة بعض العرب أيضاً خاصة أبناء القبائل المتاخمة للبلاد الأعجمية.

وماذا يقصد بالانحراف اللغوي؟ إنّه ذاك الخروج عن نهج العرب في كلامها إفراداً وتركيباً، وهو ما يُعرف بمصطلح (اللحن) وقد عّده الرسول ضلالاً وتعدّدت مظاهر اللحن في اللغة لتشمل الصوت واللفظ المفرد والخطأ في القاعدة النحوية .. فانزعج مظاهر الحسّ اللغوي العربي من ذلك، وحرّكت الغيرة على لغة القرآن أصحاب الفكر وانطلقوا يسعون إلى إيجاد وسيلة وقائية تصون لهم لغتهم التي زاد تعلقهم بها بعد أن صارت وعاء يجوي كلام الله.

وكان لا بدّ من إيقاف ظاهرة اللحن الذي خيف أن بعمّ الألسنة ، فجاءت الدراسة اللغوية التي عملت على تفادي ما يمكن تفاديه آنذاك.

نشأة الدرس اللغوي العربي: لقد كان ظهور اللحن دافعاً قويا بالإضافة إلى عوامل أخرى ــ للانطلاق في نشاطات وبحوث لغوية عديدة ومتنوعة "فقد تقدم الكفاة من أهل عصمتها ينتهجون إليها السبيل ويقيمون عليها الدليل"[1] بغية صيانة هذه اللّغة والإبقاء على كمالها وسلامتها وتماسك عناصرها.

ومن عوامل نشأة الدرس اللغوي هو مجيء القرآن معجزا، وتعلّقت به النفوس أيّما تعلق، خاصة وأنّ فيه شرحاً وتوضيحاً لآداب وسلوك المسلم. ولذلك "مست الحاجة إلى تفسيره تفسيراً لغوياً"[2]. واستجابة لهذا المطلب إلى احتيج إلى عالم باللغة يكون وسيلة لفهم أعمق لبنى وتراكيب النص القرآني من جهة. ووقف انتشار اللحن من جهة أخرى والدي الإسلامي ـ كما نعلم ـ رسالة حضارية راقية دفعت بأصحابه إلى النهوض بها بين الأمم المتحضرة من فرس ويونان، وإلى نشرها على أوسع نطاق لذلك جعلوا محتوى النص القرآني نوراً

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب. بيروت: دار الكتاب العربي. ج I ص: 322

[2]- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللّغة. القاهرة; دار المعارف ط ص 58.

لهم، ومحور جهودهم الثقافي الذي برز في علوم لغوية مختلفة وكلها علوم أخذت منطلقها من دراسة النصّ القرآني، وعملت على توطين قيمه في نفوس المسلمين عرباً وأعاجم؛ الذين آخى الإسلام بينهم فصاروا أمة واحدة. ولكن السياسة

الأموية قلّبت الأوضاع، وأقامت ملكاً عصبياً، وأنشأت دولة عربية أعرابية فظهرت التفرقة بين المسلمين؛ العربي يتمتّع بالوظائف والولاء. واللّغة العربية عدة في يده يسيّر بها أمور الحكم، والأعجمي محروم من كل ذلك، خاصة وظائف الإمامة والقضاء. فكان هذا سبباً مباشراً في تيقظ النزعة القومية في النفوس. ورأى الموالي أنّ خير وسيلة تحقق لهم الاندماج الاجتماعي والمنزلة المحترمة هي تعلم اللّغة العربية والتفقّه فيها. وبذلك أنتخ الأعاجم بحوثا لغوية ثرية، ودفعوا الدراسة اللغوية خطوات إلى الأمام.

ونلاحظ أقه مهما تفرّعت عوامل نشأة الدرس اللغوي فهي تصب كلها في مصب واحد؛ هو السعي إلى الإحاطة العلمية بالنص القرآني والحيلولة دون أن يمسّه أي تغيير أو انحراف.

بدايات الدرس اللغوي العربي:

أ - نقط الإعراب والإعجام: تمثلت أولى المجهودات اللغوية في محاولة ضبط النص القرآني بالحركات الإعرابية، وقد تصدّى لهذه المهمّة أبو الأسود ا لدؤلي ت69هـ ولكن إنجازه لم يكن كافياً، إذ ظهرت مشكلة الحروف المتشابهة خطأً وخيف أن يلتبس الأمر على القارئ ى فقام نصر بن عاصم ت89هـ بالتصدّي لها بوضعه نقط الإعجام زمن ولاية الحجاج بن يوسف ت95هـ على العراق. وبهذين العملين أمكن تجنّب الوقوع في الخلط أثناء القراءة بين الحروف. كما قام الخليل بن أحمد ت75 هـ بعد زمن بتطوير نقط الإعراب؛ مستبدلا النُقط بعلامات أكثر وضوحاً وأكثر دلالة على الإعراب. وهكذا كان عمل هؤلاء إرهاصة أولى في مجال الدرس اللغوي العربي، وجاء بعدهم من تناول فروعا أخرى من الدرس.

ب – النحو: من نتائج الفتح الإسلامي، نشوء مجتمع جديد هو مزيج من أمم مختلفة هذا الامتزاج الاجتماعي أدى إلى ظهور الفساد اللغوي على الألسنة، وشكل هاجساً أقلق الغيورين على لغة التنزيل التي كانت مفتاحا لفهم القرآن الكريم وتشريعات الدين الجديد وكانت ثمرة هذا القلق نشأة علم النحو؛ الذي تجمع معظم الروايات على أن أبا الأسود الدؤلي هو من قدّم فيه الخطوة الأولى؛ حيث إنّه كان ينزعج من سماع من يقرؤون القرن ويخطئون فيه مما يؤدي إلى فساد المعنى كقراءة قوله تعالى آذان من الله ورسولا إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوبه التوبة 3 وكأنّها معطوفة على المشركين، وفي ذلك انحراف عن المعنى المقصود. وجاء بعد أبي الأسود تلاميذه ساروا على نهجه وهم: عنبسة الغيل، ميمون الأقرع، نصر بن عاصم. ومن هؤلاء تسلّم نحويو البصرة مهمة الدراسة النحوية المتخصصة معتمدين في ذلك على كلام العرب الخلّص.

الرواية اللغوية: الرواية لغة: هي الاستقاء والإتيان بالماء، ثم دخلت ميدان النقل الشفوي وأطلقت على أخذ الشعر أو الحديث[3]، ثم أصبحت بعد ذلك تطلق على عملية جمع المادة اللغوية من أفواه أصحابها. وقد أخذت الرواية اللغوية في الدرس العربي منحنيين: أحدهما أخذ اللّغة من المقيمين في البلد أو الوافدين من الأعراب، وثانيهما رحلة اللّغة إلى البوادي طلبا للغة من أصحاب السليقة.

الأخذ عن الأعراب: امتازت البصرة بإحدى الأسواق التي يجتمع فيها أصحاب التجارة، وتعمره حلقات الأدب؛ تلك هي سوق المربد التي يؤمها اللغويون رغبة في التقاط

كلام الوافدين إليها من الأعراب، بل كانوا يعمدون إلى أساليب وأسئلة يحملونهم بها على الاستزادة في الكلام. وكان أبو زيد الأنصاري ت216هـ يلتقط ممّن عُرف بالإلحاح في السؤال، ويحكي ذلك بقوله: " قلت لأحدهم: ما المتكأكىء؟ قال: المتأزف. قلت: وما المتأزف؟ قال: المحنبطي" [4]. وكان الأصمعي ت215هـ يلتقط اللفظ الغريب ويقيّده في ألواحه أو راحته، حتى اشتهر أمره بالغريب، وذكر ذلك قائلاً "جئت إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: من أين جئت يا

---

[3]- ينظر: محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ط1 . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة 1980م، ص 65، ورواية اللّغة، ص 37.

[4]- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللّغة، ص 71.

أصمعي؟ قلت: من المربد، قال: هاتِ ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها فأخذ يعد قائلا: شمرت في الغريب يا أصمعي[5] .

الرحلة إلى البادية: في مبدإ الأمر كانت المادة اللغوية تأتي إلى اللغويين دون عناء في الوقت الذي لم تتنام ظاهرة الاختلاط، ولما كثر الاختلاط قلت الثقة في المتعاطين للغة، ومن ذلك اتّجه سعي جمّاع اللّغة إلى البادية ليشافهوا الأعراب ويأخذوا كلامهم الفصيح؛ الذي هو ما كثر استعماله في ألسنة العرب، ودار في أكثر لغاتهم[6] . ولم تكن الرحلة لتتّجه حيثما اتّفق، ولا أن تمتد عبر الزمان مطلقاً، بل عمل روادها على تقييدها زمانياً ومكانياً حرصاً منهم على التمّسك بما ثبت صحته في اللّغة العربية فقط وإبعاد كل ما ليس من صميم اللّغة الفصيحة.

بمن احتجّ اللغويون؟ الاحتجاج: هو الأخذ بقاعدة أو كلمة أو تركيب ثبتت صحته ونسبته إلى ناطق فصيح ما زال على السليقة[7] ولهذا ا لغرض حددّت قبائل بعينها؛ إذ رأى المتحرون أن أصحابها ما زللوا يتداولون لغة سليقية صافية، أخذت اللّغة من القبائل

المتحرون أنّ أصحابها مازالوا بتداولون لغة سليقية صافية، أخذت اللّغة من القبائل العربية الواقعة وسط الجزيرة العربية, المتميزة بالبداوة "لأن البداة قد عُرف عنهم التمسك بلغاتهم وفد يدعونها إلى غيرها"[8]. والقبائل التي أخذت عنها اللّغة ليست تلك القبائل التي تداولتها الكتب, وذكرت بأنها ست قبائل فقط؛ لأن المدونة اللغوية لا

---

[5]- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللّغة، ص 70.

[6]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص 131.

[7]- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، ط1. سوريا: ، دار الفكر، ص 17.

[8]- عبد الله بن حمد الختران مراحل تطور الدرس النحوي. القاهرة: دار العرفة الجامعية بالاسكندرية 399ا، ص 167 -.

تؤيّد هذا، لاحتوائها على أشعار قبائل عديدة. كما أننا لم نصادف لغوياً يعلن بأن اللّغة يجب ألا تؤخذ إلا من قيس وتميم وأسد وكنانة وبعض طيء وهذيل ط ولكن ما في الأمر هو أنّ المتحرين وضعوا شروطا معيّنة إن توفرت أخذ بتلك اللّغة وإلا فلا يؤخذ بها.

وقد كان لغويو البصرة أكثر التزاماً وتمسكاً بتلك الشروط من الكوفيين؛ الذين نقلوا الشاذ وضمنّوه كتبهم. أما التحديد ا لزماني٠ فقد حدد بنهاية القرن الثاني للهجرة بالنسبة إلى الهجرة بالنسبة إلى الخضر، والقرن الرابع بالنسبة إلى البادية.

وتمثّلت مصادر الاحتجاج في : الشعر العربي؛ هذا الشعر الذي حُددت طبقات شعرائه في الجاهليين. والمخضرمين والإسلاميين، والمحدثين، فأخذوا بأشعار الطبقتين ونظر للطبقة الثالثة بتحفظ. واستبعدوا الطبقة الرابعة. ويضاف إلى هذا القرن الكريم بمختلف رواياته. وأما الحديث الشريف فإنه يكاد يجمع على عدم الاحتجاج به لأنه مروي بالمعنى. ١اللهمّ أن بعضهم خالف هذه القاعدة.

رُواد الرحلة إلى البادية: يعد أبو عمرو بن العلاء ت154ف من أوائل الذين شدوا الرحال إلى البادية. يشافه الأعراب ويستمع إليهم، وكان يدقق كل ما يتلقاه منهم؛ إذ

يقول: "لقيت أعرابياً بمكة فقلت له: ممن أنت؟ قال أسدي. قلت: ومن أنهم؟ قال: نهدي قلت: من أي البلاد قال: من عمان، قلت: صف لي أرضك. قال: سيف أفيح وفضاء صحصح. وجبل صردح ورمل أصبح، قلت: فما بالك؟ قال: النخل قلت: فأين أنت عن الإبل؟ قال: النخل حملها غذاء وسعفها ضياء. وجذعها بناء. وكربها صلا. وليفها رشاء، وخوصها وعاء. وقرؤها إناء"[9]. نلاحظ في هذا النص كيفية السؤال الذي ارتضاه المتحري، وكيف دقّق مع الأعرابي ليعرف من أي المناطق وبالضبط، وكل هذا له دلالته لدى المتحري، وهو معرفة فروع القبائل بدقة. كما نلاحظ أنّه طلب منه أن يصف له أرضه،

9- عبد الحميد الشلفاني. رواية ص 81.

فالسؤال يبدو قصيراً، لكنّه يحوي جزئيات تزوّد المتحري برصيد لغوي في وصف أراضي الصحراء، وقد أجاب الورد بأوصاف دقيقة لأرضه، فعرج به المتحري إلى سؤال آخر عمّا يكسب فلما رآه أجاب بلفظ واحد: النخل، أتبع ذلك بسؤال إن كان ممّن يسكون الإبل ليستدرجه للحديث عن ذلك، فعاد الرجل للحديث عن النخل، ذاكرا كل جزء في النخلة واستعماله ففيها غذاء الإنسان والحيوان. ومنها بعض الأدوات 'التي يستعملها 'الإنسان في حياته العامة وهكذا استطاع المتحري بسؤالين أو ثلاثة أن يجمع من المورد ألفاظاً في وصف الأرض، وأخرى في وصف النخيل ومكوّناته واستعمالاته.

كما عرف الأصمعي بكثرة تجواله وتنقله بين البوادي، ولم يكن هذان الرجلان وحدهما بالرحلة إلى البادية، أصبح لهذا النشاط العلمي رجال كثيرون منهم من سبق الأصمعي أمثال الخليل أحمد بن أحمد ويونس بن حبيب ت182 هـ والنضر بن شميل

204هـ وأبو عبيدة ت 210 هـ، ثمّ تأتى طبقة أخرى وعلى رأسها أبو حاتم السجستاني ت255هـ والرياشي ت 257 هـ، وكان عملهم جليلاً؛ قدموا فيه إنتاجاً لغوياً غزيراً رغم ما تفرد به أبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو زيد الأنصاري وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وهم من علماء البصرة. وتابعهم علماء الكوفة مثل القرّاء والمفضل الضبي وهكذا استمرت الرحلة إلى البادية حتى أواخر القرن الرابع الهجري، وقد قيّدت العملية بشروط ومميزات تخص موردي اللّغة وآخذيها، أقفل باب التحري اللغوي عند ذلك.

مميزات أخذ اللّغة: سبق القول إنّ مهمّة جمع اللّغة لم تكن ليقوم بها أي شخص بل تصدّى لها من كانوا على جانب كبير من العلم والمعرفة اللغوية، ويكفي أن نعلم أن أبا عمرو بن العلاء الذي قاد التحريات اللغوية كان من المسيطرين على الحركة العلمية في عصره وأنّه واضع منهج الاستقراء. وقد تميّز تلاميذه (أبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري والأصمعي) بميزات علمية جعلتهم أهلا لأن يكونوا جمّاع

ودارسي اللّغة إذ "إنّ" أبا عبيده كان أعلم الثلاثة بأيام العرب وأجمعهم لعلومهم. أما أبو زيد الأنصاري فقد وصف بأنّه أحفظ الناس وأنّه أكثرهم أخذا عن البادية، وقد كان من رواد الحديث ثقة مأموناً، وكذلك حاله في اللّغة وأما الأصمعي فقد شهد له معاصروه بأنّه أخضر جواباً وأتقن لما يحفظ، وممّا فاق به الأصمعي زملاءه هو قوة الحافظة"[10]. ويمكن تلخيص أهم مميزات جامع اللّغة في حسن السمع المرهف لما يتلقى من ألفاظ وتراكيب قوة الذاكرة، البراعة في إنطاق الأعراب ومحاورتهم القدرة على ربط الصلات بينه وبين المشافهين، رفع الكلفة...

مميزات المورد: تحرزّ اللغويون في اختيار قبائل بعينها وثقوا في أنّ فيها أعراباً فصحاء، وقد تشدّدوا في اختيار هؤلاء الذين يشافهونهم وخاصة لغويي البصرة؛ إذ كان المورد المثالي في نظرهم- هو الذي تميز بخشونة العيش؛ لأنّ ذلك يدلهم على أنّه ملازم باديته لم يبرحها، ولم يكن له اتّصال بمصدر من مصادر إفساد اللّغة، فيعلمون من ذلك أن لغته صافية. وكان البصريون يفاخرون لأخذهم اللّغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، في حين أخذها الكوفيون عن باعة الكواميخ وأكلة الشواريز. كما بحث المتحررون عمّن تميّز بالأمانة بين قومهم حتى لا يغيّروا في الكلام، حيث يروي كما سمع، وتصحب صفة الأمانة الصدق الذي يجعلهم حريصين على إسماع ما لديهم دون حذف أو إضافة. هذه الخصال التي تحراها اللغويون، لم تكن ميزة لجميع سكان البوادي، بل بعضهم فقط. ومن الذين اشتهروا في الميدان نذكر أبا خيرة العدوي وأبا مهدية الأعرابي، وأبا المنتجع وأبا سوار الغنوي... غيرأنّ الكوفيين كانوا مولعين بالنقل معتبرين كل ما نطق به العربي من العربية الفصيحة.

[10]- جامعة الجزائر(معهد العلوم اللسانية والصوتية) مجلة اللسانيات، الدراسات اللغوية عند العرب. الجزائر: 197١، مج1، ص44.

طرق أخذ اللّغة: اختلفت الكيفيات التي كانت تتّخذ طريقاً لأخذ اللّغة ومنها: السؤال المباشر، والسؤال غير المباشر. كان جامع اللّغة يعتمد أحد هذه الأساليب ووفق ما يتطلبه المقام وموضوع الحديث، فيعمد أحياناً إلى الجلوس بين جماعة من المتحدثين حيث يندمج معهم ليبقى السلوك اللغوي طبيعياً، لا تكلف فيه إذا لا حظ أنّ أحداً يدون عليه، وقد يشارك التحري في الحديث ليحثهم على الاستزادة أو التنقل من موضوع إلى آخر, أو توجيه الحديث دونما شعور من الجالسين. أما السؤال المباشر فهو محاط ببعض المشاكل من خجل وارتباك وتردد، وربما حتى التصنع أو الكذب. ولهذا تلعب براعة التحري دورها في إبعاد هذه الحالات النفسية عن الموردين وجعل الحوار طبيعياً لتحصل العفوية والتلقائية. ومن كيفيات السؤال المباشر الاستفسار عن شيء ما بصيغة: كيف، أين، متى، صف، ومثال على ذلك استنطاق الأصمعي لأعرابي؟ إذ يقول: سألت أعرابياً: ما القرب؟ فقال: سير الليل لورد الغد. فقلت: فما الطلق؟ قال: سير اليوم لورد الغيب[11] . وهكذا كان اللغويون في سعي دائم للتثبت ممّا يجمعون، وقد يكلفهم ذلك باهضاً.

جمع اللّغة والتأليف: عاد المتحرون اللغويون من رحلاتهم إلى البوادي برصيد لغوي هام اتخذه اللغويون والنحويون والدارسون مادة في تأليف معاجمهم وكتبهم وهناك ظهرت الإرهاصات الأولى للتأليف في الكتب العامة والخاصة والمعاجم، حيث ظهرت المادة الأولى في شكل كتب متخصصة مثل الكتاب أو كتب صغيرة مثل كتاب النخل. أو على شكل معاجم مثل معجم العين.

---

[11]- جامعة الجزائر(معهد العلوم اللسانية.الصوتية) مجلة للسانيات. الدراسات اللغوية عند العرب. الجزائر: 1971، مج1، ج1،ص48.

البحث النحوي:

بعدما نفض المتحرون أيديهم من عملية جمع اللّغة معتمدين على الاستقراء، قام النحاة بتصنيف وتبويب تلك المادة في مباحث نحوية، متتبعين كل الحالات. فصنفوا المفردات والتراكيب بحسب ما يجمعها من مشابه في أبواب. وتظهر فائدة الاستقراء في تيسير استنباط أحكام اللّغة. وضبط قواعدها، واستخلاص أوضاع نظمها. وبيان العلاقة القائمة بين مفرداتها في تراكيبها المختلفة وسمات تلك المفردات وأنواعها وخصائص كل نوع منها، وما يطرأ عليها من تغيير بسبب المعاني المختلفة التي تعتورها في الكلام[12] . وعن طريق الاستقراء وُجد أنّ الكلام العربي مكوّن من مسند ومسند إليه. وأليه إما جملة فعلية أو اسمية، وثبت أنّ الجملة لا تخلو من الاسم أما الفعل فقد يُستغنى عنه. إلى غير ذلك ممّا أوصلهم إليه الاستقراء وفحص المادة المجموعة. كما يلاحظ أنّ جهد النحاة اتّجه إلى فحص تلك المدونة اللغوية التي أنتجها التحري، ليستخلصوا منها أساليب وقواعد الكلام العربي السليم. فجمعوا المتشابه منها ولاحظوا المتفارق ثم بدأوا بتجريد تلك القواعد واعتماد القياس.

والقياس في اصطلاح النحاة هو: "حمل غير المنقول من كلام العرب على المنقول إذا كان في معناه"[13](13). وهو من أهم ا لوسائل التي تسهل للإنسان إنشاء كلام لم يسمعه من قبل اعتمادا على كلام سبق سماعه لوجود تشابه بين ذاك المسموع من الكلام وهذا المنتج منه، وهو من وسائل تنمية اللّغة، ولذلك اعتمده النحاة أساساً في بحوثهم لأنّه يستحيل أن تكون اللّغة كلها تعليماً وسماعاً، بل هناك بُنى وقوالب معيّنة تُكتسب ثمّ يُعتمد عليها في إنشاء الكلام. ويختلف القياس

12- عدنان محمد ملمان "الاستقراء في النحو" مجلة المجمّع العلمي العراقي.العراق: الجزء 3. مجلد 35 ص 142.

13- فتحي عبد الفتاح الدجني، لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي. ط1. بيروت: مكتبة الفلاح 1981 ص 81

بين النحاة من بصريين وكوفيين؛ حيث أخذ البصريون أصولهم عن قبائل معيّنة مما جعل القياس عندهم يتحدد بشروط ضابطة في حين توسّع الكوفيون في الأخذ عن القبائل، وكثُر لديهم المنقول واتَسع مجال القياس عندهم حتى اضطرب.

عرف البصريون القياس النحوي مع عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ت117هـ الذي كان أول من بعج النحو ومدّ القياس، وقام الخليل وسيبويه ببناء صرح النحو العربي بركيزته الأساس وهي القياس. وتتلمذ علماء من الكوفة على البصريين لكنهم خالفوا منهجهم في الدراسة النحوية التي أنجزوها.

اختلاف أسس النحو بين البصرة والكوفة: نظراً إلى اختلاف خصائص البيئتين البصرية والكونية، والفئات البشرية في كل منهما، فقد ظهر الاختلاف في أسسهم اللغوية، وبقي ذلك الاختلاف معروفاً، ونشأت عنه خلافات نحوية كثيرة، وتجلى ذلك في:

- السماع: كانت المادة اللغوية التي جمعها البصريون ذات مصادر محددة ؛ من قبائل بعينها، متّفق على كونها مواطن فصاحة، وكذلك لم تؤخذ المادة من جميع أعراب تلك البوادي، بل ممّن توفرت فيهم شروط الورد ولهذا حين بدأ البصريون تصنيفهم النحوي، لم يكونوا يعتدون بالشواهد إلا ما تحققوا من قائليها، وكذلك إذا وثقوا من كثرته وتردده في كلام العرب في الوقت الذي لم تكن البيئة الكوفية صافية فقد التجأ علماؤها إلى رواية الشعر، فكثُر الموضوع والمصنوع. وينكر خلف الأحمر رواية الكوفيين قائلا أتيت الكوفة لأكتب الشعر فبخلوا على به، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح ثم مرضت فقلت لهم: ويلكم، أنا تائب إلى الله تعالى، هذا الشعر لي فلم يقبلوا مني وبقي

منسوباً إلى العرب"[14]. واشتهر حماد الراوية أيضاء بكذبه ووضعه الشعر، وكذلك أبو زيد الأنصاري عن المفضل الضبي الكوفي لأنّه اشتهر بالصدق.

وأما القياس فهو صيانة اللّغة من أي انحراف أو دخيل لغوي، لذلك وجدنا منهج البصريين يميل إلى التحري والاستقراء ووضع القواعد على الطرد، أما ما لم يطرد فكان يوضع فيما يسمى "يحفظ ولا يقاس عليه"، ولقد امتدح شوقي ضيف هذا المنهج فقال "على أنّه ينبغي أنّ نعرف أن المدرسة البصرية حين نحت الشواذ عن قواعدها لم تحذفها ولم تسقطها، بل أثبتتها، أو على الأقل أثبتت جمهورها، نافذة في كثير منها إلى تأويلها، حتى تنحي عن قواعدها ما قد يتبادر إلى بعض الأذهان من أنّ خللاً يشوبها وحتى لا يغمض الوجه الصحيح في النطق على أوساط المتعلمين، إذ قد يظنون الشاذ صحيحاً... وهنا تتعرض الألسنة للبلبلة"[15] .

ولئن كنّا نذهب مع قول الدكتور شوقي ضيف في المبرر الذي قدّمه إلا أنّنا نرى أنّ تلك الشواهد التي اعتبرت شاذة، ربما كانت لها نظائر متعددة في لغة العرب، لكن المتحرين لم يصلوا إليها، أو ربما تعمدوا.إهمالها لسبب أو لآخر، ولذلك لم تصلنا تلك الشواهد ولم تحظ بالعناية الكافية في الدراسة النحوية. وعلى نقيض البصرة، نجد الكوفة تميزت بالإفراط في جمع كل ما يصادفها من لغة، وشملت رحلاتهم لغات العرب بلهجات قبائلها وبما لحقها من اختلال وفساد، فقد سمع الكوفيون كثيراً من الشاذ واللحن، وأخذوا عن سكان الحضر، ولما دعتهم الدراسة النحوية إلى انتهاج القياس

14- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، ص67.

15- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب 1982 ص 393.

من مؤلفات قيّمة ، فكانت الفترة بحق فترة نضج ، ويؤرخ لها بدايةً من أبي عثمان بكر ابن محمد المازني ت248هـ إمام الطبقة السادسة البصرية، ومن أبي وسف يعقوب بن إسحاق السكيت ت248ى إمام الطبقة الرابعة الكوفية، إلى أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت285هـ إمام الطبقة السابعة البصرية. وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ت291هـ إمام الطبقة الخامسة الكوفية وأهم ما ميّز هذه المرحلة هو بداية ظهور انفصال الصرف عن النحو، وتقديم صياغة جديدة للنحو على يد المبرد في كتابه المقتضب؛ حيث حاول الخروج عن نمط سيبويه في تعامله مع المادة النحوية. هذا الذي أتاه المبرد يجعلنا نطرح تساؤلاً: هل حدث تطوّر في الدرس النحوي بعد سيبويه؟ كان التطّور النحوي في مجمله منن سيبويه تطوراً ضئيلا مسّ الشكل دون الجوهر. أي: نظام التأليف لا موضوعه، ولم تظهر قضايا جديدة تطرح للمناقشة. وهذا كان في صالح الدراسة السيبويهية التي استمرت إلى أوائل القرن الخامس الهجري محاطة بشيء من التقديس والتهيّب وسوء الفهم أحياناً، إذ بقيت النظرة اللغوية ومادتها التي استنبطها سيبويه من الاستعمالات اللغوية الصحيحة في عصره، بقيت مادة في دراسات لاحقة دون تغيير أو تجديد يذكر على الرغم مما عرف به العصر من إمكانات ومواهب. إذ مثل العصر العباسي في جانبه اللغوي اهتماماً فائقاً باللّغة في معانيها وألفاظها وأساليبها فازداد شيوع المعاني الدقيقة والتصورات الجميلة والأخيلة البديعة[16]. فأصبحت اللّغة تتميّز بالسهولة والمرونة وطغى المزخرف اللفظي وكثرت المحسنات البديعية، فذهب الهمّ إلى انتقاء اللفظ السهلة والتمست الجزالة في ألفاظ القرآن الكريم، وانتشرت الاستعمالات البلاغية.

[16]عبد الله بن حمد الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي. ص 110-112.

ولكنّه ظهرت مصطلحات العلوم والفنون والإدارة من جهة، ومن جهة أخرى بدأ يطغى استعمال الدخيل في الحياة اليومية وفي كل المجالات. وبذلك انقسمت الفترة الممتدة من سيبويه إلى الزمخشري ت538ش إلى عصر أخذت فيه الدراسات اللغوية أصولها، واهتمت بدراسة الكلمة من حيث الأصل والمعنى والدلالة وفتحت مجالات الدراسات المتخصصة، فأثرى كل ذلك البحث اللغوي الذي استطاع أن ينتج الموسوعات، ولكن فترة الإثراء العلمي لم تكن مفتوحة على إطلاقها، وكأني بعصر الخمول والجمود قد حل لتنام العقوال وتعجز عن الخلق والابتكار ولو باستلهام من أفكار السابقين، فكان البحث اللغوي في مظهره العام اجتراراً لما قيل من باب الشرح والتعليق والتسهيل فكثرت الشروح والتعليقات، وأنجز أبو البركات بن الأنباري ت577د حواشي الإيضاح، وطبق في درسه النحوي منهج القياس الفقهي، وخاصة في كتابيه الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة، وكان هذا القياس الفقهي والفلسفي مما أضر الدراسة النحوية. وأصح النحو بعد ابن الأنباري مجالاً تضيع فيه الجهود وأصبحت الشروح تتلو الشروح، وشروح على الشرح.

قدّم أبو البقاء العكبري ت616هـ شرح الإيضاح، ولخّص التنبيه لابن جني، وله كذلك المنتخب من كتاب المحتسب. وشرح ابن يعيش ت 642 هـ المفصل للزمخشري وكان ما قدّمه أشبه بدائرة معارف ذات ثراء خاص. ولمعت في هذا المجال أسماء كثيرة كان لها أن سجلت إبداعاً خاصاً مثل الزمخشري والرضي وابن الحاجب وابن مالك.

ازدهرت الدراسات النحوية كثيراً في عصر المماليك ولمعت أسماء كانت أعلاماً في عصرها، واستمر أثرها العلمي قروناً بعد ذلك، ومن هؤلاء ابن هشام ت761د صاحب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب؛ حيث قدّم فيه نظرة جديدة إلى النحو، خالف فيها نظرة إمام النحاة في كثير من النواحي. وبابن هشام انبعثت الدراسات النحوية انبعاثاً جديداً، ورغم ذلك تواصلت الشروح والتعليقات قروناً متتالية

لتبلغ القرون المتأخرة؛ حيث نصادف في القرون مثلا الشيخ محمد الدسوقي ت1230هـ بحاشيته الطويلة على المفني، والشيخ حسن العطار ت1250هـ له حاشية مختصرة على شح الأزهرية ولربما عدت حاشية الشيخ محمد الحضري الدمياطي ت1270هـ أهم الشروح بعد ذلك وهي حاشية على ابن عقيل، ومهما نقول عنها فنرى أن بعضها يثن فعلاً القدرة على العطاء الفكري السخي، وبعضها بقي يعيش على الشروح والاجترار البغيض الذي مثل الجمود الفعلي.

وفي العصر الحديث بدأت تظهر تصنيفات في النحو تدعو إلى تيسيره وجعله في متناول المتعلّمين وذلك منذ أنشئت دار العلوم، ومع أوائل القرن الثالث عشر ظهرت بوادر النهضة الحديثة، حيث بدأت الجهود تؤتي ثمارها بعد الرقاد الذي أصاب العلوم عامة في العصر العثماني، حيث ظهرت المؤسسات العلمية في كل من سوريا والقاهرة وبغداد والأردن، ومؤسسات أخرى في كل أقطار الدول العربية كل يخدم جانباً من جوانب الرقي اللغوي ولكن رغم كل ذلك ما تزال الجهود دون الطموحات المعلقة عليها في تقديم مادة لغوية واضحة سهلة مسايرة للعصر دون الانفصال عن الأصالة العربية. ويبقى أهم ما نخلص إليه هو كون الحضارة الإنسانية في كل مظاهرها لا بد أن يمسها الضعف، ولا بدّ لها من عصر قوة، وكنا شأن الدرس اللغوي العربي يتأرجح بين الازدهار والانحدار، وتبرز عظمته في وصول رصيد علمي غزير من عصور غابرة إلى يومنا هذا.

اللّغة العربية ومستقبلها

الأستاذ : يوسف مقران

إن التطرق لموضوع اللّغة العربية ومستقبلها يجعل الباحث أمام خضم من التساؤلات والفرضيات، قليلاً ما تفضي به إلى نتائج وحقائق مقنعة نظراً للواقع الراهن الذي يحيط بهذه اللّغة الشرفة.

صحيح أن اللّغة العربية لغة القرآن الكريم، وبالتالي ما علينا إلا أن نأمن شرّ اندثارها ما دامت لغة الكتاب النبي حفظه الله تعالى من التحريف والتزييف. غير أنّ المحاور التي تفيد بها أنفسنا تطمح إلى توسيع مجال الموضوع والتفكير في مستقبل هذه اللّغة. بمعزل عن العناصر الروحية كالدين والقومية. بل لا نمس حقيقة انتشارها الكثيف في أقطار عديدة، لكن لن نقصي من بحثنا هذا معالجة بعض الأسرار التي كانت وراء تفوق العربية (لهجة قريش) على مثيلاتها من اللهجات في عصر التدوين ثم نعرج إلى تناول مدى قدرتها على نقل العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية آنذاك. وكيف تمكنت من منافستها بما أنتجته من الفكر. غير أننا نركز جهودنا على دراسة طبيعة اللّغة العربية وإمكاناتها على رفع التحديات التي تواجهها وهي في طريقها إلى المستقبل وأي مستقبل يكون؟

لهجة قريش تتحول إلى لغة مشتركة: وصف اللسانيون القدماء من أمثال ابن جني اللّغة بأنّها كائن حي. وازداد هذا المفهوم وضوحاً حينما أثبت المحدثون الحقيقة نفسها؛ إذ عكفوا على الدراسات المقارنة بين اللغات فلاحظوا ظاهرة تع بعضها عن الأخرى وكيف يجثم الأصل أو يبقى دون الاستعمال إلى غاية إحيائه من جديد إن أمكن ذلك.

فمن خلال هذه النظرية اللغوية نتبيّن الصراع الذي خرجت منه لهجة قريش ظافرة فحملت الشعر الجاهلي معظمه بكل خصائصه

المتميزة؛ والذي يعن سجل تاريخ العرب وديوان مفاخرهم. ولولا هذه اللّغة المحكمة وطبيعتها المرنة وطواعيتها وانسياقها لما استطاع العرب أن يرسموا ملامح حياتهم ويخلدوا بطولات روادهم. فاللّغة العربية ساهمت بكثير في إيجاد الإنسان العربي القديم؛ إذ نفست عن وجدانه ومكنته من التوغل في عالم الجمال الذي يغلب عليه الخيال الناضج والوا سع، ومع التصوير الدقيق والباع لتفاصيل حياتهم الفردية والاجتماعية، وذلك بألفاظ عذبة ساعدت على تطوير العقل العربي، وأتاحت له فرص التشخيص المبدع ووفرت له قوالب وأنماط لغوية حافظت على السمات الحقيقية لتفكيره. وإذا عدنا إلى سلامة اللّغة العربية من مستوحش اللفظ لاعترفنا لها بمدى انطباعها في كيان الإنسان العربي القديم الذي حرص على حسن تعريب الدخيل وتهذيبه وتقريب ا لغريب أو لبعاده، والكناية من المستقبح من العاني، والتصرف في الكلام المؤثر والماء ثور باختيار صريح العبارة وبليغها وبترك الغامض والمعقد والمبتذل منها والعناية بحفظ جميل القول وأقربه إلى التناول وأيسره تداولا، وتذوق جيده واستساغة أحلاه.

هذه هي بعض عوامل انتقاء العرب لهذه اللّغة ليتنافسوا في مجالاتها ويعتد بها في المنتديات الأدبية التي كانت تقام في أسواق خاصة كسوق عكاظ وغيره حتى انتشرت في أوساطهم. كما على ولادة هذه اللّغة رافقتها مداومة قريش رحلتي الشتاء والصيف تجاه اليمن والشام، وحسن استقبال وضيافة التجار الحجيج الذين يقصدون مكة (أم القرى) مما فتح لها ميداناً خصباً من التأثير والتأثر.

نستخلص مما سبق أنّ اللّغة العربية الفصحى المنطوية على طاقة لفظية ودلالية كامنة والتي عبر بها القرآن الكريم عن الكون والحياة والدين كفيلة بأن تُسخر عبقريتها في سبيل استيعاب المفاهيم المستحدثة لتتجاوز عالم الاستهلاك وتدخل عالم الإنتاج الفكري.

شهادة التاريخ على قدرة اللّغة العربية في نقل العلوم: عرفت الساحة الفكرية العربية انطلاقاً من أواخر القرن التاسع عشر أعلاماً

ساهموا في اللغويات بما أنتجوه من الدراسات القيمة التي أقاموها على التراث العربي. وقد نحكم على هذه الدراسات بكونها لا تتناول علماً ذا موضوعات خاصة بميدان معين أو أنّها تفتقر إلى منهج علمي سليم، إلا أنّها تبقى ذات أهمية في تحسيس العربي بضرورة القيام لإحياء لغته. ومن أمثال هؤلاء نجد أحمد فارس الشدياق والطراز يوسف داود مطران السريان[1] إذ أجرى هذا الأخير في كتابه (التمرنة في الأصول النحوية) مقارنة واسعة بين اللّغة العربية والسريانية والعبرية، وفيها يقول: إن العربية أعرق في الأصالة من جميع اللغات التي يتكلم بها الساميون، وأنّها أكملهن وأجمعهن لما فيها من محاسن، ولذلك تمكنت من اكتساح السريانية والعبرانية وأبادتهما منن أجيال واستولت على جميع بلادهما وردّ ذلك التفوق إلى عدة عوامل أهمها غناها واتساع ألفاظها أصلا وفرعا واشتقاقا[2] .

حركية اللّغة العربية وتحديات العصر: إن أكبر عقبة تحول دون تطور اللّغة العربية الفصحى هي أقها لغة تعيش في الكتب أكثر مما تعيش في الأسواق والبيوت والشوارع وأنّها تعتمد عوامل مصنوعة في عملية إنمائها[3] ولا تستند إلى خصائصها الطبيعية باعتبارها ترجمان الحياة الدارجة، مما أدى بالعامية تستقطب المتكلمين وتأخذ مكان الفصحى بالرغم من كمال هذه الأخيرة من حيث النظام وكونها مهذبة لم يشفع لها لدى المتكلمين. ولما شعر الرأي العام المثقف بخطورة هذه المعضلة التي تهدد مستقبل اللّغة العربية الفصيحة ومستقبل الأداة الصالحة لنقل الحضارة الحديثة أخذت بعض

---

[1]- أنور ا لجندي، ا للغة سلسلة نحو ثقافة بانية. ا لجزائر: منشورات مكتبة الطلبة لجامعة قسنطينة 1985م، ص 6-7.

[2]- أنور الجندي، اللّغة، ص 7.

[3]- محمود تيمور، مشكلات اللّغة العربية، ط1. بيروت: المطبعة النموذجية العلمية الجديدة

المؤسسات العلمية المتخصصة -بما فيها المجامع اللغوية العربية- على عاتقها أمر استطوار[1] اللّغة العربية وترقيتها.

مفهوم عملية استطوار اللّغة العربية : ليس مفهوم الاستطوار هو حمل اللّغة العربية الفصحى على التطور بتقريبها من العامية. الشيء الذي سيؤدي بها إلى التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللّغة خلال أكثر من خمسة عشر قرنا وتبلبل الألسنة وتوسيع رقعة الاختلاف بين الأفكار العربية. ثم تصبح عربية الغد شيئاً يختلف عن عربية القرن الأول الهجري، وتصبح قراءة القرآن الكريم والتراث العربي والإسلامي كله متعذرة إلا بالنسبة للمتخصصين من دراسي الآثار ومفسري الطلاسم[2]. كما أن عملية الاستطوار لا تعني أبد؛ فتح المجال أمام الازدواجية أو الازدواجيات اللغوية التي تمكن أكثر اللغات الأجنبية من ولوج هذه اللّغة ولكن مفهوم الاستطوار هو حمل هذه اللّغة على التطور والتجديد بالاعتماد على إمكاناتها وخصائصها والتركيز على وسائل مثل: تطويع الدلالات والتوسع المجازي والتوليد والاشتقاق والتداعي والنحت والإلحاق والتحوير.الوسائل اللغوية لترقية اللّغة العربية: يمكن إجمال أهم الوسائل اللغوية التي اعتمدتها المؤسسات العلمية لاستطوار اللّغة العربية الفصيحة فيما يأتي:

- تزويد اللّغة: إن المدنية العصرية الحضرية من العلوم والفنون والصناعة تفرض على مجتمعنا ألفاظاً من إنتاج لغات أجنبية، فهل نزول بها اللّغة العربية أم ندعها تفتقر إلى ما يعبر به الناطقون بها عن تلك الأدوات والعقاقير وصنوف المطاعم والمشارب وأوانيها؟ بالتأكيد لا بدّ من تزويد اللّغة بهذه الضرورات الملحة من أجل ترقيتها ومسايرتها للجديد بالاعتماد على :

---

[1]- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 994ا المصطلح ورد في الغلاف الأخير.

[2]- أنور الجندي، اللّغة، ص 28.

ـ التعريب: لقد ميّز الدكتور إبراهيم ا لسامرائي بين التعريب والترجمة عملا بما جرى عليه المتقدمون باعتبار المعرب كل دخيل جرى على أبنية العربية، والمترجم كل معنى أدخل في العربية[1]. وقد استعان العرب بالتعريب قصد احتكاكهم بغيرهم من الشعوب. خصوصا إثر انتشار الفتوحات الإسلامية واعتناق الإسلام من قبل الأعاجم مما جعل العرب يتأثرون بلغات غيرهم ويؤثر عليها. الأمر الذي حدث بين العربية والفارسية. غير أن العرب احتاطوا. فعوض أن يذوب لسانهم في صيغ وأنماط لغوية جديدة وغريبة عنهم حدث العكس؟ بحيث أخضعوا تلك المفردات الدخيلة إلى أبنية اللّغة العربية الغنية بصيغها وأساليبها. فاتّسعت بذلك مجالات الكلام العربي مما دفع بابن جني إلى القول بأن ما قيس على كلام العرب فهم من كلامهم.

ونظراً لأهمية عملية التعريب في استطوار اللّغة العربية عند كثير من المثقفين والمتخصصين في مجالات اللّغة العربية إلى القيام بدراسات حول هذه القضية لرصد أبعادها وتقويم مسارها، بل عقدت مؤتمرات خصيصا لهذه المسألة نذكر منها :

- المؤتمر الأول عام 953ام في الإسكندرية.
- المؤتمر الثاني عام 955ام في القاهرة.
- المؤتمر الثالث عام 957ام في بيروت.
- المؤتمر الرابع عام 1960 م في القاهرة.

وغيرها من المؤتمرات المحلية والعربية والمجمعية التي تدعو إلى تجاوز ترديد الشعارات والنهوض بعملية التعريب وفق منهجية مسطرة وفي إطار شروع متكامل.

---

[1]- إبراهيم السامرائي, العربية تواجه العصر، سلسلة الموسوعة الصغيرة 105بغداد : 982ا, منشورات دار الجاحظ لنشر. ص 110.

الترجمة: لقد انتشر فن الترجمة في الثقافة العربية منن أوائل المدن الهجرية وتكثّف نشاطه في العصر العباسي خصوصا بعد تأسيس بيت الحكمة، الحكمة أنّ لتلك الترجمة عيوباً؛ حيث أقحمت الكثير من الدخيل في اللغة العربية، وود وجدنا ذلك كثيراً في كتب ابن سينا ومترجمي كتب أرسطو. وعلى ذلك الأساس بادرت المؤسسات العلمية إلى تبقي الترجمة وسيلة لاستطوار اللغة العربية وفق منهجية مدروسة مطّلعة على عيوب الترجمة القديمة لكي تتفادي الوقوع فيها كما اعتمدت اللسانيات الحديثة وسيلتها في ذلك، وبذلك أكدت أن الترجمة سبيل التطور وطريقة من طرائق وضع المصطلح العلمي.

- مشكلة المصطلح العلمي: يعرف الكل أنّ اللّغة تقاس بمدى تمكنها من نقل المفاهيم العلمية الدقيقة والتعبير عنها بكل وضوح ودون أي تعقيد أو ضبابية، وذلك وفق طبيعتها وخصائصها وطرقها واللّغة العربية قد غزتها المصطلحات العلمية الخاصة بغيرها من اللغات الأجنبية بدعوى عالمية العلم والمعرفة، وبالتالي ضرورة نقل المصطلح بحروفه الأصلية وبكل حذافيره، غير أنّ التخصصين رأوا أن يترجم المصطلح بمعناه إذا أمكن، أو تعريبه أو الاستعانة بالتوليد الدلالي وعلى١لرغم من وجود بعض الخلافات بين المجمعيين في هذا المجال، إلا أنّه وقع الاتفاق على ضرورة تحري الدقة في وضع المصطلح، والعمل على توحيده.

التوليد الدلالي: يعتبر التوليد الدلالي إحدى الوسائل المعتمدة منذ أقدم عصور اللّغة العربيّة من أجل تطويرها، ويعد كل من القياس والاشتقاق من المباحث التي خاض فيها الملف في البحث، ونظراً إلى حاجة العصر إلى المصطلحات اعتمد المجمع العلمي العربي وسيلة التوليد الدلالي لإثراء اللّغة العربية، فأباح مثلاً الاشتقاق من أسماء الأعيان، واستغل بذلك الاشتقاق بالمقارنة مع المجاز الذي كثيراُ ما يؤدي إلى الغموض أو النحت الذي لا تقبله اللّغة العربيّة سهولة. لكن هذا لا يعني أنّ الباحثين قد أهملوا كلاً من المجاز والنحت، فقد انفرد

على الجارم ت949م بمقالاته اللغوية في المجاز اللغوي، وذلك لحرصه واهتمامه بهذه الطريقة في التوليد الدلالي لتوسيع اللّغة.

- تيسير النحو: إنّ اعتبار النحو مشكلة خطأ ارتكبه دعاة العامية، إذ يعتبر النحو من مقومات اللّغة وأصولها، والتخلي عنه معناه تهديم ركن أساسي في بنية اللّغة غير أنّ المشكل الحقيقي في النحو يعود إلى طريقة الدارسين في تناوله وتعليمه، مما جعله علما معقداً كثير الفصول والأبواب، شقّ به المتقدمون والمتأخرون، وسادته مناهج أبعد ما تكون من شيء ندعوه علم اللّغة؛ وذلك ما يلاحظ في مسألة العلة والعامل "ومعنى ذلك أنّ الأعراب في آخر الكلمة عندهم أثر يجلبه العامل، فكأن ذلك هو النتيجة التي تعقب السبب ألا نرى أن الأولاد الشداة في عصورنا مضطرون أن يقولوا في قوله (يكتب زيد) أنّ الفعل (يكتب) مرفوع، ولم يكتفوا بذلك، بل يقولون (لتجرده من الناصب والجازم). إنّ مسألة التجرّد هذه لتشعر الدارس أنّ الوضع في النحو قد ذهب بعيداً في مسألة العامل والعلة حتى أحال النحو إلى شيء يبتعد كل الإبتعاد عن كونه علما لغويا. وبسبب هذا التغريب في أسلوب الدرس النحو العربي علماً مهمته البحث في العلل والعوامل [1](7).

ولكن لأسف إذا حولنا نظرنا إلى عصرنا نجد التغريب يسوده. مشتملاً على رقعة فسيحة من الثقافة العربية بما فيها النحو. إذ مسّ طرائق التعبير مما يدخل في باب الأساليب، ويعلق إبراهيم السامرائي على هذه الظاهرة قائلا" ومن الطبيعي أن يكون في هذه العربية هذا اللون الجديد الذي يتناول أبنيتها كما يتناول أصواتها. وقد يتجاوز هذا القدر فيؤثر في طبيعتها وقد يحدث أكثر من ذلك من حيث قبول بعض الطرائق الغريبة في إطلاق المصطلح وبناء الجملة[2] (8) .

[1]- إبراهيم ا لسامرائي. العربية تواجه العصر. ص 35-36.

[2]- إبراهيم ا لسامرائي. العربية تواجه العصر. ص 37.

فمشكلة النحو العربي من هذا المنظور تكمن أساسا في تعدد النظريات اللغوية المتضاربة أحياناً والعقدة أحياناً أخرى. كما نجدها تطرح على مستوى المناهج المتخذة لتدريسه والموروثة في مصادرها الأصلية ومصادرها المتأخرة التي يكتنفها الإكثار من لتعليل والتأويل، والنظر الخيالي. بل أحياناً يُتلقف النحو من الحواشي ويُتلمس من شروح الألفية. ويُستظهر ولكن بجهل العربية ونحوها. ذلك أنّه إزاء فرضيات ومعميات لا سبيل إلى إدراكها والاقتناع بها.

ومن نتائج هذا ولي الدارس قد يستوعب مادة النحو فيحفظ عن ظهر قلب أبيات ألفية ابن مالك ، ويعرف شرحها، ولكنه يظل عاجزا عن كتابة شيء يسير خال من اللحن.

أثر الأدب في تطوير اللّغة العربية: كلّنا متفق على أن الأديب صاحب ثقافة وهو الرامي إلى تسخيرها في خدمة المجتمع. ويصخ أفكاره بأساليب معيّنة استمدها من اللّغة نفسها فلا يستطيع العمل خارج نطاقها فهي وسيلته، وقد تكون مادته في نفس الوقت. ولكي نحكم على أدبه بالجودة عليه أن يعرض ثمار جهوده في ثوب مستساغ من الجميع فتلك هي عملية الإبداع [1] والإبداع لا يتمّ إلا بتفجير الطاقة الكامنة في اللغة المستخدمة. ودور الأديب الذي يعتمد اللّغة العربية في عمله هو البحث عن أسرار اللّغة الصحيحة والكشف عنها أو استحداث ما يحتاج إليه من التعابير والألفاظ الموحية لأغراضه والمشيرة إلى أفكاره والقادرة على حمل مفاهيمه والتعبير عن مشاعره وتصوير ما يحيط به من الأشياء المجمدة والمظاهر المحسوسة والمتحركة والتي تنبض حياةً.

فاللّغة 'العربية معروفة بثراء إنتاجها الأدبي والمعرفي وقدرتها على ترجمة الآثار 'المنتجة بغيرها هن اللّغة الأجنبية. فما على الدول العربية إلا أن تشجع هذا الاتجاه الحميد إلى ترقيه اللّغة العربية بواسطة الإنتاج الأدبي وتعزيز القراءة والمطالعة بتكثيف نشر الكتاب

[1]- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية نحو بديل في نقد الأدب. ليبيا وتونس: دار الكتاب العربي1977م.ص 120.

القيم الهادف إلى تعميم اللّغة العربية وعملية تعميم اللّغة العربية تستلزم قيام دراسات ميدانية إحصائية لوع القرّاء ودرجة ثقافتهم وطبيعة قراءاتهم واهتماماتهم في مجال الأدب لكي يتمّ اختيار الكتاب الذي يحظى بأولوية النشر هذا ولكي يكون الكاتب أو الأديب على علم بالموضوعات التي عليه أن يعالجها باللغة العربية.

أهمية في اللهجات العامية العربية: لقد عُني بدراسة اللهجات العامية العربية لتعرف على ا‌شتقاق الكلام ومنابت أصوله وخفايا جذوره، فجاءت كتبهم في فقه اللّغة زاخرة بالنظريات الخاصة بعلاقة الفصحى بالعامية.

أما الأهداف التي على الباحث العربي أن يتوخّاها من دراسته لهجات العامية العربية هي الكشف عن الألفاظ العامية التي حظيت بالانتشار والجري على]لألسنة نظراً لكونها ذات أصول عربية فصيحة؛ حيث ابتعدت عن هذه الأخيرة من جراء فسادها بألسنة المستعملين إياها فالبحث العلمي المجرد من الدعوة إلى العامية يقوم على أساس التطلع إلى المعرفة الهادفة إلى استرجاع تلك ا‌لألفاظ إلى أصولها مع محاولة الحفاظ على حياتها في المجتمع.

وإذا توفر المعجم العربي على قابل لها في الفصحى يُعمد إلى استعمالها في مقامات جديدة ومفاهيم مستحدثة والأمثلة على ذلك عديدة نكتفي بإيراد بعضاً منها:

*الطاقة/النافذة: والطاقة لغة فصيحة، وقد وردت في بعض كتابات القرن الرابع الهجري؛ فقد استخدمها بديع الزمان الهمناني في

القامة المضرية حيث قال: هذه داري كم تقدر يا مولاي أنفقت على هذه الطاقة، أنفقت والله عليها فوق الطاقة [1]. فيمكن اعتبار هاتين اللفظتين مترادفتين على مستوى اللغة العربية الفصيحة، وبالتالي إثراء للغة باستعمال كل واحدة منها النوع معين من النافذة نظراً لحاجات العصر المتطور والذي بشهد يومياً أجهزة مستحدثة وبالتالي على اللّغة الحية والمتطورة أن تجد لها ما يقابلها ويعكس معناها أو معانيها.

* المروحة: تنطقها لدينا بفتح الميم والأفصح بالكسر عندما يراد بها الآلة كما نصّ على ذلك الحريري في (درة الغواص في أوهام الخواص) تكون الراء والواو معاً للتخفيف من ثقل النطق المفتوح فهي إذن عربية ولكنّها محرفة النطق ككل عامية في الغالب[2].

وأخيراً، فممّا سبق تحليله يُمكن التأكد من وضوح الرؤية بالنسبة لمستقبل اللّغة العربية الفصيحة إذا تمثلنا التقاط التالية:

- مواصلة اللّغة العربية المقاومة والصراع في سبيل التخلّص من الدعوات المسمومة إلى إحلال العامية محلها.
- اعتبار جمود اللّغة نتيجة الجمود الفكري والخمود الوجداني اللذين يختفيان وراء تبني الازدواجية اللغوية، وذلك على حساب بقاء وترقية اللّغة العربية.
- إصلاح الفصحى البني على وسائل لغوية ناجعة كتبسيط اللّغة وتزويدها بواسطة الترجمة والتعريب والتوليد الدلالي، وكذا تيسير نحوها وضبط كتابتها.

---

[1]- مقامات الهمذاني، ص 107. ويرى الأستاذ ابن ثاوت أنّ أصل لفظ الطاقة جاء من اللفظ الفارسي طاقجة انظر: مجلة (عودة الحق) أبريل 1969 ، ص 119 . وانظر: عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، سلسلة الدراسات الكبرى. الجزائر: الشركة الوطنية لنشر ولتوزيع 1981، ص 46.

[2]- ع/ يوهان فك، العربية (دراسة في اللّغة واللهجات والأساليب)، ص 216. وانظر: عبد المالك مرتاض، العامية. الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 50.

- إنشاء أبحاث علمية هادفة لدراسة اللهجات العامية لإثراء الفصحى وتوسيع معجمها، والاستفادة من شدة انتشار ألفاظ عامية ذات أصول فصيحة، وهذا لربح الوقت في جعل الشارع يسمو إلى الفصحى بما ألفه من الألفاظ العامية.
- الوسائل الإعلامية لنشر الفصيح، وبث حصص إذاعية وتلفزية تعالج قضايا اللّغة، وتصحح النعوت السلبية التي أطلقت على قصور العربية عنوة.
- تشجيع التأليف والترجمة والنشر في الميادين العلمية باللغة العربية.

إنجاز منشورات تالة، الأبيار، الجزائر
الهاتف: 021.92.42.11 / 021.62.42.11
الفاكس: 021.79.62.42

